الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة أبي بكر بلقايد – تلمسان–
كلية العلوم الإنسانية والعلوم الإجتماعية

قسم التاريخ وعلم الآثار

شعبة التاريخ

التحولات الاقتصادية في المغرب الأوسط خلال العهدين الموحدي والزياني من القرنين (06-10هـ /12-16م) - دراسة مقارنة

مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في تاريخ المغرب الإسلامي

إعداد الطالبة :
حورية سكاكو

إشراف الأستاذ الدكتور:
مبخوت بودواية

لجنة المناقشة:

أ.د/عبدلي لخضر	أستاذ التعليم العالي	جامعة تلمسان	رئيسا
أ.د/مبخوت بودواية	أستاذ التعليم العالي	جامعة تلمسان	مشرفا
أ.د/جيلالي بلوفة عبد القادر	أستاذ التعليم العالي	جامعة تلمسان	مناقشا
د/بوجلةعبد المجيد	أستاذ محاضر(ب)	جامعة تلمسان	مناقشا

السنة الجامعية:1434هـ-1435هـ /2013م-2014م

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة أبي بكر بلقايد – تلمسان–
كلية العلوم الإنسانية والعلوم الإجتماعية

قسم التاريخ وعلم الآثار

شعبة التاريخ

التحولات الاقتصادية في المغرب الأوسط خلال العهدين الموحدي والزياني من القرنين (06-10هـ /12-16م) - دراسة مقارنة

مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في تاريخ المغرب الإسلامي

إعداد الطالبة :
حورية سكاكو

إشراف الأستاذ الدكتور:
مبخوت بودواية

لجنة المناقشة:

أ.د/عبدلي لخضر	أستاذ التعليم العالي	جامعة تلمسان	رئيسا
أ.د/مبخوت بودواية	أستاذ التعليم العالي	جامعة تلمسان	مشرفا
أ.د/جيلالي بلوفة عبد القادر	أستاذ التعليم العالي	جامعة تلمسان	مناقشا
د/بوجلةعبد المجيد	أستاذ محاضر(ب)	جامعة تلمسان	مناقشا

السنة الجامعية:1434هـ-1435 هـ /2013م-2014م

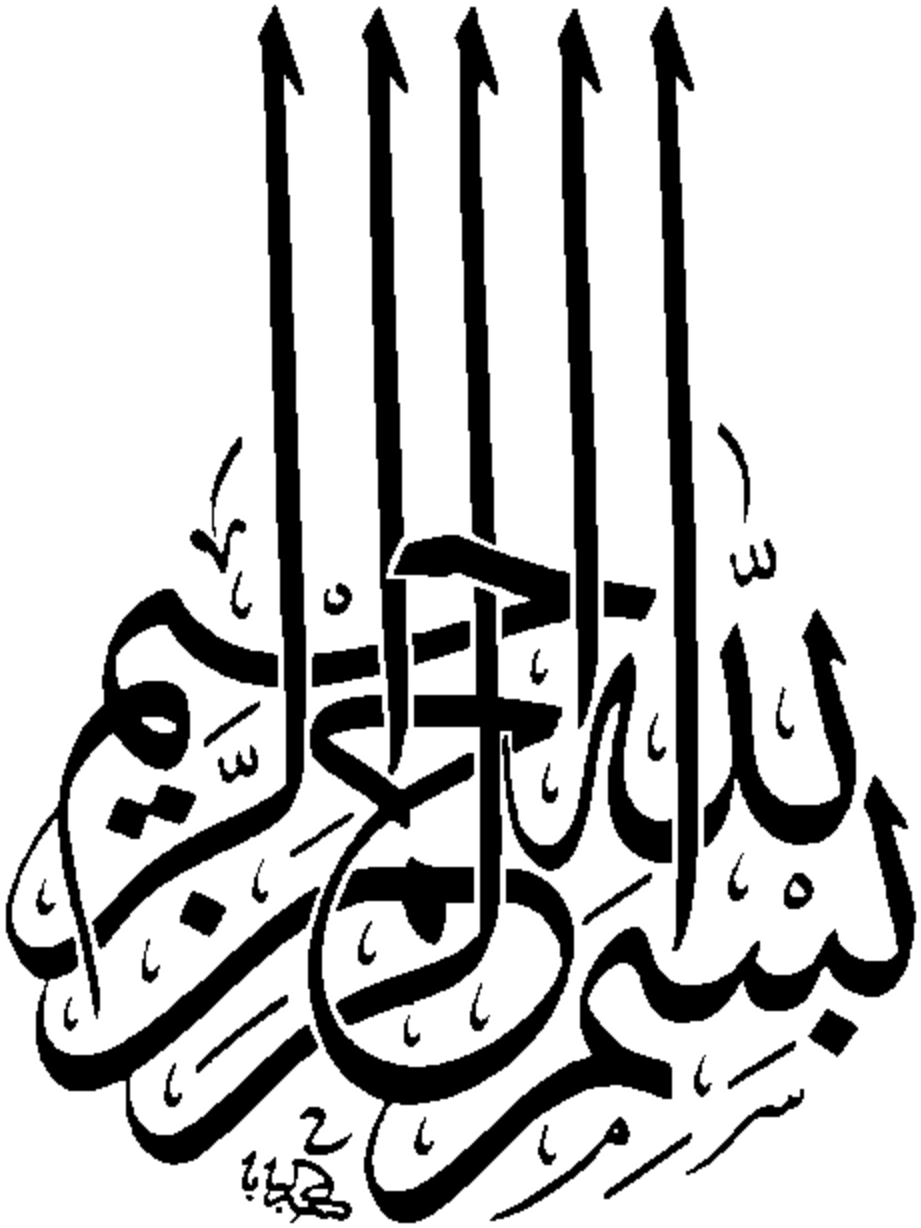
بسم الله الرحمن الرحيم

شكر وعرفان

أتوجه بالشكر الجزيل إلى الأستاذ الدكتور مبخوت بودواية الذي قبل أولا الإشراف على المذكرة ، ولطيب تعامله ،ولنصائحه وتوجيهاته خلال انجازها ، فله كل الشكر والتقدير.

كما أتقدم بالشكر الكبير إلى الأستاذة : مريم سكاكو لتوجيهها خلال مراحل إنجازي لهذه المذكرة ومساعدتها الكبيرة .

إلى الأستاذ معازيز عبد القادر لنصائحه ،وتوجيهاته القيمة ،فله كل الشكر.

إلى الأستاذ " يماني رشيد " له كل الشكر لما قدمه لي من نصائح ، وساعدني على إثراء الموضوع بكتب قيمة.

إلى الأستاذة : مريم هاشمي لمساعدتها القيمة أيضا ، فالشكر والتقدير موصول لها.

إلى جميع الأساتذة الذين أخذت منهم طيلة مساري التعليمي ، في مقدمتهم أساتذة قسم التاريخ وعلم الآثار بجامعة تلمسان.

وإلى الأخت : إكرام مسراوة على مجهودها الكبير وحرصها على إخراج هذه المذكرة في أحسن حلة ، فلها جزيل الشكر والتقدير ،والأخت مريم مسراوة ،لها كل الشكر.

إلى كل من ساعدني من قريب أو بعيد ، أوجه الشكر الجزيل.

حورية سكاكو

إهـــــــداء

إلى الوالدين الكريمين – حفظهما الله – .

إلى أخواتي : فاطمة الزهراء ، وإبتسام ومريم.

إلى أختي الكبرى وزوجها سيدي محمد والصغيرين : عائشة ، وأحمد سليمان.

إلى عائلة معازيز الكريمة ، وكل الأهل والأقارب والأصدقاء.

إلى كل زملائي دفعة ماجستير 1434 هـ / 2013 م .

حورية سكاكو

مقـــــــــدمة

مقدمة :

اكتسبت مدن المغرب الأوسط أهمية سياسية وحضارية كبيرة لما تمتعت به من حركيةعلى جميع المستويات ، حيث قامت بأدوار محورية في شتى المجالات الحيوية ، لتحظى بمكانة متميزة جعلتها عرضة لمجموعة من التأثيرات، ساهمت بشكل كبير في توجيه الأحداث بهذه المنطقة ومن تلك المجالات الحيوية نجد الشق الاقتصادي والذي تميز بدور ريادي وحاسم ، وكانت له انعكاسات مباشرة على جميع الأحداث السياسية، والاجتماعية ،والحضارية ، ككل بل وحتى توجيه السياسة الخارجية للدول المتعاقبة وتعاملاتها الخارجية ، إذ لا يمكن التطرق لتلك الجوانب دون معرفة الوضع الاقتصادي ، والذي عرف هو الآخر تحولات كثيرة كان ذلك تبعا لمجموعة من المؤثرات ذات الصلة المباشرة بتلك التحولات .

والدارس للتاريخ الاقتصادي للمنطقة يلحظ القوة الاقتصادية التي تمتعت بها طيلة المراحل التاريخية المتتالية ، وصولا إلى فترة الحكم الموحدي ، ثم الزياني بعده وهي المرحلة التي نحن بصدد دراستها ، والتي تعتبر من أزهى الفترات التي عرفتها هذه البلاد ؛ إلا أن ذلك لم يمنع تراجع القوة في أوقات كثيرة خلال تلك الفترة ، بسبب ما شهدته من صراع سياسي ، ونزاع عسكري عنيف أثر بشكل مباشر على سير الحياة بمدن هذه البلاد ، حيث سعت القوى المتنازعة للسيطرة على كبريات المدن ذات الأهمية الاقتصادية ، وعلى رأسها عاصمة ملك بني زيان تلمسان والتي احتلت موقعا متميزا جغرافيا وسياسيا ، وغيرها من مدن الغرب الأوسط والتي حظيت هي الأخرى بمكانة اقتصادية هامة وعند الحديث عن أهم تلك التحولات خلال العهدين : الموحدي ثم الزياني نجد أنه لكل عهد خصوصياته ومميزاته ، اختلفت أحيانا تبعا للظروف العامة والسياسة المنتهجة من طرف كل دولة لتتقارب أحيانا أخرى في مجالات متعددة ،وذلك ما أثر بشكل مباشر في طبيعة تلك التحولات الاقتصادية ، وعليه جاءت هذه الدراسة الموسومة بـــــــــــ:

- " التحولات الاقتصادية بالمغرب الأوسط خلال العهدين الموحدي والزياني من القرنين (ق 6ه –6ه / 12– 16م) – دراسة مقارنة – " .

ولعل أهم الأسباب التي دفعتني لاختيار هذا الموضوع :هي الرغبة في إبراز بعض الجوانب المتعلقة بالمجال الاقتصادي في هذا العهد ، والذي عرف مراحل متباينة من حيث القوة والازدهار ثم التراجع والانحطاط ، خاصة خلال المرحلة المدروسة ، فغاية البحث ليست دراسة القطاعات الاقتصادية أو الأنشطة الممارسة آنذاك ، وإنما إبراز أهم المراحل التي شهد فيها الاقتصاد مراحل الازدهار ثم التراجع ، وربطها بالأسباب ذات الصلة بها ، ثم المقارنة بين أهم تلك التغيرات الحاصلة على المستوى الاقتصادي خلال الحكم الموحدي ثم الزياني،على اعتبار مرحلة الحكم الزياني مكملة لما قبلها في بعض المواضع.

واختيار الجانب الاقتصادي راجع بالأساس لأهميته، ومدى صلته الوثيقة بجميع الجوانب الحياتية الحيوية الأخرى ، خاصة خلال هذه المرحلة من تاريخ المغرب الأوسط ، والتي شهدت مجموعة من الأحداث ذات التأثير الكبير على الجانب الاقتصادي والذي يبقى في حاجة كبيرة إلى المزيد من الدراسات وخاصة التاريخ الاقتصادي لبلاد المغرب الأوسط.

لتكون اشكالية الموضوع تتمحور حول إبراز مظاهر تلك التحولات الاقتصادية التي شهدها المغرب الأوسط تبعا للمؤثرات الداخلية والخارجية ، وما تركته من تأثيرات على الحياة العامة بمختلف جوانبها مع مقارنة أبرز معالم تلك التحولات خلال العهدين : الموحدي ثم الزياني.

ولمناقشة هذه الاشكالية لابد من الإجابة على التساؤلات التالية :

- بماذا تميزت الوضعية الاقتصادية ببلاد المغرب الأوسط ، قبيل الحكم الموحدي ؟ .
- ما هي أهم المؤثرات التي كان لها كبير الأثر على الحياة الاقتصادية خلال المرحلة المدروسة ؟ وإلى أي مدى كان التأثير الخارجي على اقتصاد المنطقة ؟.

- ما هي أهم المحطات التي شهد فيها اقتصاد البلاد تطورا وازدهارا ، ثم ما هي المراحل التي عرف فيها التدهور والأفول ، سواء على العهد الموحدي أو الزياني ؟.
- ما دور النشاط التجاري من حيث المساهمة في البناء الاقتصادي ، مقارنة بالقطاعات الاقتصادية الأخرى ؟ وحتى في تغيير الطابع العام للاقتصاد ؟ .
- ما هي ملامح التباين الاقتصادي بين فترة الحكم الموحدي ثم بعده الزياني ، من حيث السياسة الاقتصادية والتنظيمات المستخدمة والتوسع التجاري ؟.
- ما هي أهم تأثيرات تلك التحولات الاقتصادية على الحياة العامة ، سواء في حالة الرخاء أو أثناء الأزمات الاقتصادية ؟.

وقد اتبعنا في هذا البحث المنهج التاريخي الذي يعتمد على الوصف والتحليل والمقارنة بحيث كان الوصف متعلقا بطبيعة الحياة الاقتصادية خلال المرحلة محل الدراسة ، ووصف بعض مظاهر الرخاء الاقتصادي ، الذي كان يقابله وصف للأزمات الاقتصادية التي شهدها المغرب الأوسط ، وأما المنهج التحليلي كان في بعض المواضع المتعلقة خاصة بتغير أسباب تلك التحولات وما خلفته من آثار متباينة على باقي المجالات الحياتية ذات الصلة الوثيقة بالحياة الاقتصادية.

وبالنسبة للمنهج المقارن فقد تم استخدامه لإبراز مظاهر التباين في تلك التحولات من حيث الأسباب ، والمظاهر ، والآثار الناجمة ،ولتوضيح ذلك جاءت هذه الدراسة مقسمة إلى :

- **مدخل** : يبحث في الظروف العامة المحيطة بقيام دولة الموحدين بالمغرب الأقصى ثم توسعها على المغرب الأوسط ،وعلاقتها مع بني عبد الواد ،وإبراز دور الجانب الاقتصادي في تلك الظروف.
- **الفصل الأول** : متعلق بالمؤثرات الداخلية ،والخارجية في الحياة الاقتصادية ، بالمغرب الأوسط الموحدي ،والزياني ، تطرقنا فيه للمكونات الاقتصادية ،ثم المؤثرات الداخلية

والخارجية مع المقارنة في درجة تأثير كل منها ما بين مرحلة الحكم الموحدي ، ومن بعده الزياني .

- **الفصل الثاني** : مظاهر التحولات الاقتصادي خلال مراحل الازدهار مع إبراز مظاهر تراجع الدور الاقتصادي للمغرب الأوسط ،مع المقارنة بينها بالانتقال من مرحلة الحكم الموحدي إلى مرحلة الحكم الزياني.
- **الفصل الثالث** : تطرقنا فيه إلى آثار تلك التحولات الاقتصادية ، اجتماعيا ، وحضاريا مع المقارنة في تلك الآثار الناجمة.

وأخيرا خاتمة ، ثم ملاحق قصد إثراء البحث ، ودعم جانبه التوثيقي.

وقد اعتمدنا على العديد من المصادر والمراجع أهمها :

- كتب الرحلات : أهمها :

- رحلة عبد الباسط خليل المصري والمسماة أيضا بالروض الباسم في حوادث العمر والتراجم والذي زار المغرب الأوسط خلال القرن 9ه / 15 م ، تكمن أهمية الرحلة في تعرض صاحبها للحالة الأمنية السائدة خلال هذه المرحلة ، ودور الخطر الخارجي في التأثيرعلى مقومات الحياة بجميع جوانبها بما فيها الشق الاقتصادي الشديد التأثير بالوضع الأمني والسياسي.
- رحلة حسن الوازن المدعو بليون الإفريقي، وإن كانت متأخرة ؛ إلا أنها قدمت معلومات قيمة عن المدن التي كانت لها أدوار اقتصادية كبيرة ،وكانت محل صراع القوى السياسية آنذاك ، ووصف المعاملات التجارية ،مع إبراز أهمية المنطقة كوسيط تجاري اقليميا ودوليا.
- رحلة ابن بطوطة المسماة تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار ، زار فيها معظم بلدان العالم الإسلامي ، وإن كانت أهميتها ليست بالكبيرة بالنسبة للموضوع

إلا أن وصف صاحبها شمل طبيعة المعاملات التجارية مع بلاد السودان ؛وطريقة تعاملهم التجاري فيها بينهم ومع غيرهم.

بالإضافة إلى رحلات أخرى حملت معلومات أقل أهمية بالنسبة للموضوع من خلال إشارات واردة فيها عن الحياة الاقتصادية كرحلة العبدري.

- **ومن كتب النوازل نجد** : " المعيار المغرب والجامع المغرب عن فتاوى علماء إفريقية والأندلس والمغرب للونشريسي أحمد بن يحيى (ت. 914ه) ، وتتمثل أهميته في كونه نقل فتاوى الكثير من الفقهاء، حول قضايا أثيرت عن الجانب الاقتصادي، فيما يتعلق بانتشار مظاهر الغش، والتزوير ، واحتكار السلع ،وتصرفات كانت تصدر من التجار داخل أسواق مدن بلاد المغرب.
- ومن كتب التراجم والطبقات ، وعلى قلتها بالنسبة لهذا الموضوع ،نذكر البستان في ذكر الأولياء والعلماء بتلمسان لابن مريم المديوني ، اشتمل على تراجم أولياء وعلماء لمدينة تلمسان ، والتي من خلالها كانت إشارات لبعض الكوارث الطبيعية التي كانت تضرب المنطقة ، وكيف كان رد فعل الأولياء والفقهاء تجاه عامة الشعب.
- وأما كتب الجغرافيين ، فقد استفدنا منها في تحديد مواقع بعض المناطق والمدن كان أهمها الروض المعطار في خبر الأقطار للحميري محمد بن عبد المنعم ، وكتاب الاستبصار في عجائب الأمصار لمؤلف مجهول وغيرها.

وبالنسبة لكتب التاريخ العام فهي كثيرة، سواء ما تعلق منها بمرحلة الحكم الموحدي أو الزياني نقتصر على ذكر أهمها :

- نظم الجمان لترتيب ما سلف من أخبار الزمان لصاحبه ابن القطان المراكشي والذي كان وثيق الصلة بخلفاء دولة الموحدين ، قدم هو الآخر معلومات قيمةعن التاريخ

السياسي للدولة الموحدية، وأبرز بعض مظاهر قوتها وعظمتها والتي شكلت في الواقع انعكاسا للواقع الاقتصادي.

- المن بالإمامة لصاحبه عبد الملك بن صاحب الصلاة ، والذي قدم لنا معلومات ذات أهمية بالغة بالنسبة لموضوعنا ،خاصة في إبراز مظاهر القوة والازدهار الاقتصادي ، والرخاء المالي والتطور العسكري وتوسع حركة البناء والتعمير على عهد دولة الموحدين ، وتوسع قواعد الأسطول الموحدي على طول سواحل المغرب الإسلامي ككل ،وتعدد قواعده ،ودور صناعة السفن ، ودوره في حماية خطوط التجارة بالمتوسط في شقه الغربي.
- كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر لعبد الرحمن بن خلدون ، والذي احتل الجانب السياسي فيه أهمية كبرى، ويعتبر من أهم مصادر القرن الثامن الهجري الرابع عشر ميلادي كما ضم معلومات قيمة على تطور حركة البناء والتعمير، وتوسع العديد من حواضر بلاد المغرب ،وتراجعها خلال مراحل معينة ؛كنتيجة للصراع القائم والدائم بين دويلاته.
- تاريخ بني زيان ملوك تلمسان مقتطف من نظم الذر والعقيان في بيان شرف بني زيان لمحمد بن عبد الله التنسي (**ت. 899ه / 1494م**) ، تتمثل أهميته بما تضمنه من معلومات عن بعض المنجزات الصناعية ، والعمرانية ،وكذا إبراز مظاهر الأبهة والرخاء المالي عند الاحتفال بالمولد النبوي الشريف كمظهر من مظاهر الاستقرار.
- الذخيرة السنية في تاريخ الدولة المرينية، والأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس ، لابن أبي زرع الفاسي.
- دون إغفال أهمية كتاب " بغية الرواد في ذكر الملوك من بني عبد الواد " لصاحبه " يحي بن خلدون " ، والذي أبرز لنا في عديد المواضع بعض مظاهر الانحطاط والتدهور

الاقتصادي الذي عاشته بلاد المغرب الأوسط أحيانا كثيرة ، ودور سلاطين بني زيان في مواجهة الأزمات الاقتصادية.

وأما المراجع ، فكان أهمها :

- إضاءات حول تراث الغرب الإسلامي وتاريخه الاقتصادي والاجتماعي لصاحبه إبراهيم القادري بوتشيش، قدم من خلاله معلومات قيمة عن النشاط الاقتصادي ، ونظم المبادلات التجارية السائدة خلال مرحلة الحكم الموحدي ، مع ذكره لأهم المشاكل التي كانت منتشرة داخل الأسواق الموحدية.
- الموحدون في الغرب الإسلامي – تنظيمهم ونظمهم ، وأيضا النشاط الاقتصادي في المغرب الإسلامي لصاحبه عز الدين عمر موسى ، وهي من الدراسات القيمة والتي ساعدتنا كثيرا في بناء الموضوع واستنتاج بعض النظم التي كانت سائدة خلال مرحلة الحكم الموحدي.
- نظم الحكم في دولة بني عبد الواد الزيانية لصاحبه : بوزياني الدراجي، والذي قدم هو الآخر تفاصيل قيمة على الحياة الاقتصادية الزيانية.
- النظريات الاقتصادية عند ابن خلدون وأسسها من الفكر الإسلامي والواقع المجتمعي لصاحبه : عبد المجيد مزيان، والذي قدم من خلاله مقاربة عن الدور التجاري في عملية البناء الاقتصادي، من خلال عرض آراء وأفكار العديد من المؤرخين، مع شرحها ونقدها، دون أن ننسى كتابات عطا الله دهينة القيمة والتي قدم لنا من خلالها استنتاجاته، وبعض التفاصيل التي تخص الحياة الاقتصادية خلال مرحلة حكم بني زيان وغيرها.

وفيما يخص المراجع باللغة الأجنبية فقد كان أهمها :

-Les états de l'occident musulman au13 ,14 , 15 ,siècles

لصاحبه عطاء الله دهينة والذي قدم فيه تفاصيل مهمة عن الحياة الاقتصادية بالمغرب الأوسط الزياني.

- Le Maghreb centrale sous le règne du sultan zianide AbouH'ammou Mousa 2(760-91/1359-89) .

لصاحبه عبد الحميد حاجيات.

ومن المقالات ذات الأهمية البالغة في إثراء الموضوع نذكر :

- الحياة الاقتصادية بالمغرب الأوسط في العهد الزياني لصاحبها مبخوت بودواية.
- تنظيم الأسواق والحرف في بلاد المغرب الأوسط خلال العهد الزياني من القرن **13** إلى القرن **16م**،لصاحبها سعيدي العربي.

تضاف إلى ذلك المذكرات والرسائل الجامعية على رأسها :

- علاقات الدولة الحفصية مع دول المغرب والأندلس (**626ه – 981ه / 1228– 1573م**)،**لصاحبها عاشور بوشامة**،والتي تحدث من خلالها عن أوضاع المغرب الإسلامي الاقتصادي أيضا.
- الدراسة القيمة : المجاعات والأوبئة في المغرب الأوسط (**588– 927 ه / 1192 – 152م**) لـــــــــــ : سمية مزدور،والمناقشة بجامعة قسنطينة.

وأما الصعوبات التي واجهتنا في هذا البحث هي قلة المعلومات فيما يتعلق بالشق الاقتصادي في المصادر ،وإن وردت فيها إشارات؛ إلا أنها لم تكن كافية للإحاطة بجميع جوانب الموضوع وخاصة ما تعلق منها بتحديد المستوى المعيشي الحقيقي، لدى السكان وحتى تحديد طبيعة

الاقتصاد في بعض جزيئاته ، خاصة ما تعلق منها بتنظيم الدولة لاقتصادها، وهل كانت لدول المغرب الإسلامي آنذاك سياسات اقتصادية محكمة مكنتها بالفعل من مواجهة الآثار الناجمة عن تلك التحولات.

وفي الواقع لا يزال الموضوع بحاجة إلى المزيد من الإثراء والبحث ،وما محاولتنا إلا خطوة متواضعة للإجابة على بعض التساؤلات المثارة حول الشق الاقتصادي للمنطقة، مع تجديد الشكر الجزيل للأستاذ المشرف مبخوت بودواية لإشرافه على المذكرة ونصائحه وتوجيهاته ، وطيب تعامله جزاه الله عنا خير الجزاء ، وما الإصابة إلا من عند الله والخطأ من نفسي والشيطان ، وبالله التوفيق ومنه السداد.

الرمشي يوم :

11 ذو القعدة 1434 ه / الموافق ل : 17 سبتمبر 2013م

المدخل

المدخل :

حظيت تلمسان قاعدة المغرب الأوسط ،والمدن التابعة لها منذ نشأتها بأهمية بالغة حيث قامت بأدوار هامة لا فقط على الصعيد المغاربي ، وإنما على الصعيد المتوسطي ، وفي جميع المجالات السياسية منها، والحضارية، ومن ذلك الدور الاقتصادي الحيوي ،لمجموعة من المؤهلات اختصت بها اكتسبت ذلك من موقعها، ومحيطها، وعلاقاتها الداخلية منها، والخارجية.

وقد تجسد ذلك على طول الفترات التاريخية المتعاقبة [1] ، ومن خلال حكم الدويلات التي تمكنت من بسط سيطرتها على المغرب الأوسط ، وصولا إلى فترة الحكم الموحدي ،كانت للظروف التي تعرفها المنطقة الأثر البالغ في نجاح قيام تلك الدول ، ولذلك ارتأينا وقبل الولوج في الحديث عن تلك التحولات، وأسبابها ،وأطوارها خلال مرحلة الحكم الموحدي ثم الزياني ، التطرق للظروف العامة المحيطة بقيام دولة الموحدين بالمغرب الأقصى، ثم توسعها على المغرب الأوسط ،وعلاقتها مع بني عبد الواد [2] ،والذين برزوا على الساحة السياسية مع توغل الموحدين بالمغرب الأوسط لما لتلك الظروف من تأثير واضح على سير الأحداث خلال المراحل اللاحقة من عمر دولة الموحدين ،ثم دولة عبد الواد فيما بعد.

1- حيث شهدت العهد الرماني ابتداء من القرن الثالث الميلادي ، ثم عرفت الفتح العربي وعهد الولاة خلال الفترة (55- 148هـ / 675- 766م) ،ثم قيام إمارتي أبي قرة اليفرني ومحمد بن خزر المغراوي بتلمسان (148هـ - 173هـ / 766- 790م) ،لتشهد العهد الإدريسي خلال الفترة (173- 319هـ / 790- 931م)، وبعده مرحلة الحكم الفاطمي والأموي ، ثم الزحف الهلالي (319- 454هـ 931- 1063م)، ثم مرحلة الحكم الحمادي (545- 472ه / 1062- 1080م) ،ليكون العهد المرابطي (472- 542ه / 1079- 1148م) ثم الموحدي (542- 633هـ / 1147- 1235م) ؛ ينظر: ابن عبد الحكم ، فتوح مصر المغرب ، تح: عبد المنعم عامر، الهيئة العامة لقصور الثقافة ، القاهرة ،(ب.ت) ، ج1 ، ص. 260 وما بعدها ؛ الرقيق القيرواني ، تاريخ إفريقية والمغرب ، تح : محمد زينهم و محمد عزب ، دار الفرحاني ، 1994 ، ص. 40 وما بعدها ؛ مؤلف مجهول ، مفاخر البربر ، تح :عبد القادر بوباية دار أبي رقراق ، الرباط ، 2005 ، ص .83 ، 199 ؛عبد الرحمن بن خلدون ، تاريخ ابن خلدون ، دار الفكر، بيروت ، 2000 ، ج7 ، ص. 102 وما بعدها ؛ محمد بن رمضان شاوش ، باقة السوسان في التعريف بحاضرة تلمسان عاصمة دولة بني زيان ، ديوان المطبوعات الجامعية ، الجزائر ، 1995 ، ص. 51 وما بعدها ؛ لخضر عبدلي ، التاريخ السياسي لمملكة تلمسان في عهد بني زيان، ديوان المطبوعات الجامعية ، وهران ، 2008 ، ص. 19 وما بعدها ؛ لطيفة بن عميرة: " تلمسان من نشأتها إلى قيام دولة بني عبد الواد "، في مجلة: الدراسات التاريخية ، جامعة الجزائر ، ع 6 ، 1992 ، الملكية للطباعة ، الجزائر ، ص. 65 وما بعدها.

2- بنو عبد الواد : فرع من الطبقة الثانية من قبيلة زناتة ، وهم من أبناء بادين بن محمد المعروفين بين زناتة الأولى ببني واسين، وأصله عابد الوادي وهو صفة لجد لهم كان يتبتل بواد هناك ؛ ينظر :عبد الرحمن بن خلدون ، المصدر السابق ، ج 7، ص 97 ؛ أبو زكريا يحي بن خلدون ، بغية الرواد في ذكر الملوك من بني عبد الواد ، تح: عبد الحميد حاجيات ، الطباعة الشعبية للجيش، الجزائر، 2007 ، ج1 ، ص. 186 ؛لخضر عبدلي ؛ المرجع السابق ، ص .29.

لقد خلفت دولة الموحدين في حكم بلاد المغرب والأندلس دولة المرابطين [1] والتي قامت على أساس دعوة دينية إصلاحية ،تزعمها محمد المهدي بن تومرت المغربي السوسي المصمودي الهرغي [2] في منطقة السوس الأقصى [3] ، والتي كان يسكنها المصامدة [4] ، وذلك في مستهل القرن السادس الهجري / الثاني عشر الميلادي [5] .

وقد كانت دراسته بالمغرب الأقصى، ثم رحل إلى المشرق [6] ، وبعد أن قضى حوالي عشر سنوات به ، قفل ابن تومرت راجعا إلى بلاده مارا بالإسكندرية ثم طرابلس فالمهدية وتونس

1- الناشئة في منطقة الصحراء الغربية ، الواقعة جنوب وادي درعة جنوب المغرب الأقصى ، المؤسسة على يد يوسف بن تاشفين الذي اختط مراكش عام 454هـ / 1063م ؛ ينظر : عبد الرحمن بن خلدون ، المصدر السابق ، ج6 ، ص. 202 ؛ محمد بن عبد المنعم الحميري ، الروض المعطار في خبر الأقطار ، تح ، إحسان عباس ، مكتبة لبنان، بيروت ،1975 ، ص. 187 ؛ مؤلف مجهول ، الحلل الموشية في ذكر الأخبار المراكشية ، تح :سهيل زكار وعبد القادر زمامة ، دار الرشاد الحديث ، الدار البيضاء ، 1979 ، ص .17 وما بعدها ؛محمد محمود عبد الله بن بية ، الأثر السياسي للعلماء في عصر المرابطين ، دار الأندلس الخضراء، السعودية 2000 ، ص. 50 .

2- هو محمد بن عبد الله بن تومرت من أهل السوس والمولود عام 485هـ / 1092م ، بايجليز أو إيجلي إن وارغن وبالحديث عن نسبه نسجل اختلافات كثيرة بين المؤرخين ، فهناك من يثبت له نسبا عربيا ينتهي إلى نسب الرسول صلى الله عليه وسلم ، وذلك عن طريق ابنته فاطمة وزوجها علي بن أبي طالب ، كما ذكر ذلك ابن القطان ،والمراكشي عبد الواحد ،وعلي بن أبي زرع الفاسي ، حيث ذكر هذا الأخير أيضا أنه بربري من قبيلة جنفيسة " وقيل هو دعي في هذا النسب الشريف ، ذكره ابن مطروح في تاريخه وقال هو رجل من هرغة من قبائل المصامدة يعرف بمحمد بن تومرت الهرغي وقيل هو من جنفيسة والله أعلم بذلك كله "، ولم يكن هذا هو اسمه الأصلي فقد كان يحمل اسما مختلفا ،ثم استبدل به اسم محمد بعد عودته من المشرق ولم يكن هذا هو اسم أبيه الحقيقي ، إذ كان يسمى بتومرت بن وجليد ؛لمزيد من التفصيل حول نسب المهدي بن تومرت ؛ ينظر : ابن القطان المراكشي ، نظم الجمان لترتيب ما سلف من أخبار الزمان ، تح : محمود علي مكي ،دار الغرب الإسلامي ، بيروت ، ط2 ، 1990 ، ص. 109 وما بعدها؛ عبد الواحد المراكشي ، المعجب في تلخيص أخبار المغرب ، تح : محمد سعيد العريان ، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية ،القاهرة 1963 ، ص. 245 ؛أبو العباس شمن الدين بن خلكان ، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان ، تح : إحسان عباس ، دار صادر، بيروت ، م5 ، 1968 ، ص .45 وما بعدها ؛ علي بن أبي زرع الفاسي ، الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس، دارالمنصور ، الرباط ،1972 ، ص .172 ؛ أبو عبد الله محمد بن إبراهيم الزركشي ، تاريخ الدولتين الموحدية والحفصية، تح ، محمد ماضود ، المكتبة العتيقة ، تونس ، ط2 ، 1966 ، ص .3.

3- السوس الأقصى : بلاد تقع بين الأطلس الكبير والأطلس الصغير بالمغرب الأقصى ؛ ينظر : محمد ابن عبد المنعم الحميري، المصدر السابق ، ص. 330 ؛ محمد محمود عبد الله بن بية ، المرجع السابق ، ص .50.

4- المصامدة : وهم من ولد مصمود بن يونس بربر، وهو أكثر قبائل البربر وأوفرهم ،من بطونهم : برغواطة ،وغمارة ،وأهل جبل درن ، مواطنهم بالمغرب الأقصى ؛ ينظر : عبد الرحمن بن خلدون ، تاريخ ابن خلدون ، دار الفكر ، بيروت 2000 ، ج6 ، ص.275 ؛ بوزياني الدراجي ، القبائل الأمازيغية – أدوارها ، مواطنها ، أعيانها ، دار الكتاب العربي ، الجزائر ،2007 ، ج2 ، ص. 182.

5- وذلك عند الانتهاء من دراسة بالمشرق وكان ذلك آخر سنة 511ه / 1116م أو سنة 515هـ / 1120م ؛ ينظر : ابن خلكان ، المصدر السابق ، ج5 ، ص. 47 ؛ عبد الرحمن بن خلدون ، المصدر السابق ، ص .303؛ الزركشي ، المصدر السابق ، ص. 2، 3 ؛ علي عبد الله علام، الدولة الموحدية في عهد عبد المؤمن ابن علي ، الطباعة الشعبية للجيش ، الجزائر ،2007 ، ص .34.

6- أبو بكر بن علي الصنهاجي (المكنى بالبيدق) ،أخبار المهدي بن تومرت ، تح : عبد الحميد حاجيات ، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر ، ط2 ، 1986 ، ص. 29 ؛ عبد الحميد حاجيات ، تاريخ الجزائر السياسي في عهد الموحدين ،ضمن كتاب : الجزائر في التاريخ – العهد الإسلامي من الفتح إلى بداية العهد العثماني ، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر ، ج 3 ، 1984 ، ص .302 .

وقسنطينة ،ثم حل ببجاية عاصمة بني حماد آنذاك واستقر بقرية هناك تدعى " ملالة " ، حيث وقع لقاؤه بعبد المؤمن بن علي والذي أعجب بعمله وآرائه وانضم إلى رفاقه [1] .

ليواصل المهدي بن تومرت مسيره نحو الغرب عبر متيجة ،فوانشريس، ثم تلمسان، وفاس،ومراكش عاصمة المرابطين ، لينتقل إلى تينملل شمال منطقة السوس الأقصى ،وجعلها مقرا لدعوته لحصانة موقعها ،وهناك صرح بدعوته وبايعه الناس على الطاعة ونصرة الاعتقاد الصحيح [2] حسب أتباع المهدي بن تومرت.

وبعد البيعة سنة **515 ه / 1120 م** صرف ابن تومرت عنايته لتنظيم حركته سياسيا وعسكريا، لتكون المعارك سجالا بين المرابطين والموحدين ، ومن أشهرها وأكبرها معركة البحيرة الشهيرة سنة **524 ه / 1129 م** ، وفيها مني الموحدون بهزيمة كبرى، وقد كان ابن تومرت قد أصيب بمرض حين سير الجيش في اتجاه مراكش ،وعندما بلغه نبأ الهزيمة اشتد مرضه ومات بعد ذلك بقليل [3] .

ليكون خليفته عبد المؤمن بن علي، فقد عهد إليه بأمره من بعده باعتباره كبير صحابته [4] ،فكان ،فكان على هذا الأخير أن يواصل الحركة التي دعا إليها ابن تومرت ،والتي كانت ترمي إلى تأسيس دولة جديدة ، وكان ذلك يقتضي القضاء على دولة المرابطين أولا، ثم العمل على توسيع الدولة الموحدية في اتجاه أقطار المغرب الإسلامي الأخرى [5] ، وبعد أن استتب الأمر لعبد المؤمن بن علي في المغرب الأقصى، وقضائه التام على الدولة المرابطية حيث سيطر على أهم مدنه مثل

1- عبد الرحمن بن خلدون ، المصدر السابق ، ص. 303 ؛عبد الحميد حاجيات ، المرجع السابق ، ص .302.
2- كانت البيعة في رمضان 515هـ / 1120م بالمهدية في السوس الأقصى على أكثر الروايات ؛ ينظر : عبد الرحمن بن خلدون، المصدر السابق ص . 303 ؛ ابن عذاري المراكشي ، البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب- قسم الموحدين ، تح : محمد إبراهيم الكتاني وآخرون ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت، 1985 ، ج3 ، ص. 68 ؛ عز الدين عمر أحمد موسى ، دراسات في تاريخ المغرب الإسلامي ، دار الشروق ، بيروت ،1983 ، ص. 75.
3- توفي سنة 522هـ / 1127م ، وهو ابن خمسين سنة ؛ ينظر : عبد الرحمن بن خلدون ، المصدر السابق ص .205 ؛ البيدق، المصدر السابق ، ص .62 وما بعدها ؛ مؤلف مجهول ، مفاخر ... ، ص .197 ؛ وعن ابتداء دعوة الموحدين وتوسعاتهم ؛ ينظر : Le on geley , l'es pa gne des goths et des arabes , librairie liopold , Paris , 1882 , P 115.
4- عبد الرحمن بن خلدون ، المصدر السابق ، ص .305 .
5- عبد الحميد حاجيات ، المرجع السابق ، ص .304 ؛ علي عبد الله علام ، المرجع السابق ، ص .104 وما بعدها ؛ سالم عبد العزيز السيد ،المغرب الكبير - العصر الإسلامي ، دار النهضة العربية ، بيروت ، 1981 ، ج2 ، ص .782.

فاس كما قام بإخماد الثورات الأخرى، قرر أن يوسع ملكه ، فشاور كبار مشايخ الموحدين أمثال الشيخ أبو حفص الهنتاتي فوافقوه حيث أحاط مشروعه هذا بسرية تامة [1] .

شرع عبد المؤمن في بسط نفوذه على المغرب الأوسط وذلك سنة **534 ه / 1139م**، متوجها إلى أعمال تلمسان ،وهناك اصطدم بجيش المرابطين ، وفي أثناء هذه الغزوة توفي علي بن يوسف سنة **537 ه / 1142 م** ، فخلفه ابنه تاشفين حيث حدث خلاف بين لمتونة ومسوفة من قبائل المرابطين فانضمت مسوفة إلى الموحدين [2] .

وقد واصل تاشفين بن يوسف زحفه شرقا إلى مواطن زناتة ؛فأخضعها وأخضع معها قبائل مديونة ، ثم توجه إلى وهران ثم تلمسان بعد ذلك في سنة **539 ه / 1144 م** ، وأقام بها سبعة أشهر، اشتغل فيها بتنظيم شؤون الدولة ،والإدارة وولى عليها سليمان بن محمد بن وانو دين الهنتاتي وترك معه ولده يوسف مناصرا له ، ثم في سنة **544 ه / 1149 م** تم للموحدين فتح مدينة مليانة وأحوازها ،وبذلك انتهى حكم المرابطين بالمغرب الأوسط [3] ، ولعل ذلك ما أعطى للموحدين نفسا جديدا لمواصلة التوسع بباقي مناطق المغرب الإسلامي ،ومن ذلك المغرب الأدنى والذي لم يكن حاله بأحسن من باقي الربوع الأخرى.

وبالفعل وبينما كانت قوات عبد المؤمن تعمل على بسط نفوذ الموحدين في الأندلس وكذا بالمغرب الأوسط ،بلغه ما وصل إليه من أمر إفريقية من اختلاف الأمراء ، وتطاول العرب من بني سليم وهلال عليها بالعبث والفساد [4] ، كما بلغه استيلاء النور ماديين على سواحل

1- عمر راكة ، علاقات الدولة الموحدية بالإمارات الإسلامية والمماليك المسيحية في الأندلس ، (مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الإسلامي في قسم التاريخ) ، جامعة تلمسان ، 2010/ 2011 ،ص.40ومابعدها.

2- عبد الرحمن بن خلدون ، المصدر السابق ، ص 306. 307 ؛ عبد الرحمن بن محمد الجيلالي ، تاريخ الجزائر العام ، ديوان المطبوعات الجامعية ، الجزائر ، ط7 ، 1994 ، ج2 ، ص .8.

3- ابن عذارى المراكشي ، المصدر السابق ، ص .16 ؛ عبد الحميد حاجيات ، المرجع السابق ، ص .306 ؛ محمد بن رمضان شاوش ، المرجع السابق ، ص. 68 وما بعدها ؛ سالم عبد العزيز السيد ، المرجع السابق ، ص. 783.

4- جاءت الموجة الهلالية بعد أن خلع المعز بن باديس طاعة الفاطميين وقطع صلتهم به، وألغى العمل بمذهبهم سنة 440هـ / 1047م ، فلم يلقى هذا العمل من بني زيري القبول من طرف الفاطميين والذين قاموا بإطلاق أعراب بني هلال وسليم على بلاد المغرب الإسلامي وأباحوا لهم مجاز النيل ، فاضطربت الأمور وانعدم الأمن ، وتوقفت الزراعة وتعطلت التجارة ، وأهملت الصناعة؛ ينظر : مراجع عقيلة الغناي ، قيام دولة الموحدين ، دار الكتب الوطنية ، ليبيا ، ط2 ، 2008 ، ص. 337. وما بعدها.

إفريقية حيث كان استيلاؤهم على المهدية عاصمة بني زيري في سنة **543 ه / 1148 م** ،لتزحف الجيوش الموحدية وقامت بحصار النصارى في المهدية ، حيث تم التغلب عليها ،بينما جاءت وفود أهل طرابلس الغرب ،وقصور إفريقية ،وجبل نفوسة، وسوسة ،وصفاقس وقدمت طاعتها للموحدين [1] .

ثم توجه في أواخر سنة **546 ه / 1152 م** إلى بجاية ؛فاستولى عليها بدون قتال وأعلن أهلها الولاء والطاعة سنة **547 ه / 1152 م** ، ليسير إلى قلعة بني حماد معقل الصنهاجيين الأعظم واستولى عليها ، وقضى على تمرد عرب الأثبج، ورياح ،وهلال بالقرب من سطيف ، ورأى أن يحسن إليهم ، فنقل بعض أشيا خهم إلى مراكش، ورد إليهم حريمهم ،وأموالهم لضمان مشاركتهم في حروبه المستقبلية [2] .

هذا فيما يتعلق بالظروف السياسية وسير العمليات الحربية المحيطة بنشأة الدولة الموحدية ثم توسعاتها بباقي مناطق المغرب الإسلامي خاصة الأوسط ،والذي هو محور الدراسة، ولاشك أن لذلك تأثيرا بالغ الخطورة على المجالات الأخرى ،خاصة الاجتماعية منها والاقتصادية ، فقد كانت من الآثار الوخيمة للحروب بين المرابطين والموحدين أن اضطربت الحياة الاقتصادية اضطرابا لا مثيل له فقلت الأسعار والأقوات ، وساد الفزع وانتشر اللصوص بسبب انعدام شروط الأمن[3] وهذا ما ذكره ابن عذاري من انتشار للغلاء وتدهور لمستوى معيشة لسكان حيث قال :

" ... وفي أثناء مدة هذه الحركة الطويلة الأعوام اتصلت الحروب ببلاد اللثام وغلت الأسعار بمراكش حتى وصل فيها ربع من الدقيق بمثقال حشمى ذهبي وتولاها الجدب حتى جفت

1- مراجع عقبلة الغناي ، المرجع السابق ، ص. 344.
2- عمر راكة ، المرجع السابق ، ص. 43 ؛ أمينة بوتشيش ، بجاية دراسة تاريخية وحضارية بين القرنين السادس والسابع هجرين (مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في تاريخ المغرب الإسلامي في العصر الوسيط في قسم التاريخ) ، جامعة تلمسان ، 2007 /2008 ، ص .18 .
3- مراجع عقيلة الغناي ، المرجع السابق ، ص. 346 ؛ صالح بن قربة ، عبد المؤمن بن علي موحد بلاد المغرب ، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية ، الجزائر ، 1985 ، ص. 81 ، 82 .

في الأرض مذانبها واغبرت جوانبها وقلت المجابي بهذه الفتن ، وكثرت اللوازم على الرعايا بالعدوتين ... [1] ".

فكان للمغرب الأوسط نصيب من هذه الأزمة ،والتي كانت مشتعلة أصلا بمجيء غزوة بني هلال وسليم ، حيث تركت آثارا مدمرة لاقتصاديات المنطقة ، خاصة المغربين الأدنى والأوسط فقد دمروا كل ما وصلوا إليه من مدن عامرة ما ترتب عليه انعدام للأمن، وتعطيل لجميع المقومات التي يقوم على أساسها الاقتصاد ؛ مما ترتب عليه قلة المال، وانخفاض قيمته ،وارتفاع الأسعار لقلة الإنتاج، ومما زاد الأمر سواءا أن بلاد المغرب قاطبة والأندلس في الفترة السابقة لقيام دولة الموحدين مرت بسنوات جدب وقحط نتيجة لقلة الأمطار وانعدامها في أغلب الأحيان ، بل أن هذه البلاد هاجمتها أفواج هائلة من الجراد أتت على البقية الباقية ؛ أدى ذلك إلى موت أعداد هائلة من الناس جوعا وانتشرت الأوبئة الخطيرة ففتكت بالبلاد [2] .

ولعل كل هذه الظروف ساهمت بشكل كبير في المساعدة على تقبل الناس لقيام دولة جديدة، تكون بمثابة المنقذ من هذه الأزمات التي كانت تمر بها البلاد ، فكانت تلك الدولة هي الدولة الموحدية، التي تمكنت من بسط نفوذها على كامل بلاد المغرب الإسلامي ،وما يهمنا من خلال هذه الدراسة بلاد المغرب الأوسط ، والتي كانت هدفا للموحدين منذ قيام دعوتهم بالمغرب الأقصى لأسباب تتعلق بسعيهم لتحقيق الوحدة الإسلامية الشاملة ،ثم أيضا للأهمية الاقتصادية التي تتمتع بها كونها حلقة وصل بين الشرق المنفتح على العالم الإسلامي من جهة ،ومن الغرب من جهة أخرى، وحتى التوغل إلى أقاصي الصحراء عن طريق القواعد الكائنة على حدوده الجنوبية.

1- المصدر السابق ، ص. 16 .
2- مراجع عقيلة الغناي ، المرجع السابق ، ص. 347.

إن محاولة الموحدين السيطرة على المغرب الأوسط وتوجههم منذ البداية إلى قاعدته تلمسان لم يكن وليد الصدفة؛ وإنما جاء كنتيجة لظروف ومواقف معينة، دفعت بهم للتوجه والسيطرة على تلمسان أولا ، ثم كان التوسع إلى باقي مدن المغرب الأوسط.

من تلك الظروف ذلك الصراع الحاد الذي قام بالمغرب الأوسط بين قبيلتي بني يلومي [1] حلفاء المرابطين وبني ومانو [2] ، وقد جاء ذلك الصراع بالأساس من أجل زعامة زناتة [3] بتلك المنطقة ، خاصة بعد تحالف بني عبد الواد مع بني يلومي، بمهاجمة بني ومانو حلفاء الموحدين وقتل زعيمهم زيري بن ماخوخ ؛ ما دفع عبد المؤمن بن علي للتحرك نحو تلمسان، ودخولها بصحبة تاشفين بن ماخوخ سنة **536 ه / 1142 م** لفترة قصيرة ثم غادرها [4] .

ولعل ذلك التحالف الزياني ممثلا في قبيلة بني يلومي والمرابطين، شكل حاجزا ضد التوسع الموحدي في المنطقة ،خصوصا بعد كسب الموحدين يحي بن إسحاق المعروف بانكمار، أو بانجمار والي تلمسان المرابطي، والذي التحق بعبد المؤمن وهو بالريف ، فقامت الدولة المرابطية بطرد الوالي

1- بنو يلومي : هم من الطبقة الأولى من زناتة وكانوا يستقرون على الضفة الغربية لوادي مينا، والبطحاء ،وسيق ،وسيرات، وجبل هوارة ، وجبل بني راشد ؛ ينظر : عبد الرحمن بن خلدون ، تاريخ ابن خلدون ،دار الفكر ، بيروت ،2000 ، ج7 ، ص. 74؛ لخضر عبدلي ، المرجع السابق ، ص. 28 ؛ عبد العزيز فيلالي ، تلمسان في العهد الزياني ، موقم للنشر ، الجزائر ،2002 ، ج1 ، ص. 32 ؛ بوزياني الدراجي ، المرجع السابق ، ج1 ، ص. 193 .

2- بنو ومانو : ينتسبون إلى زناتة ، وكانوا يستقرون إلى الشرق من وادي ميناس (مينا) ؛ ينظر : عبد الرحمن بن خلدون، المصدر السابق ، ج7 ، ص. 74 ؛ لخضر عبدلي ، المرجع السابق ، ص. 28 ؛ عبد العزيز فيلالي ، المرجع السابق ، ص. 32 ؛ بوزياني الدراجي ، المرجع السابق ، ج1 ، ص .190.

3- زناتة : من أقوى القبائل البربرية تتكون من بطون عديدة يذكرها ابن خلدون "شعوب زناته" لكثرتها، وتتواجد أكثرية بطونها "بالمغرب الأوسط" كانت تقطن من وادي ملوية غربا إلى وادي شلف والزاب شرقا ، ومن ساحل شرشال ووهران شمالا، إلى إقليم تيهرت جنوبا، قسمها ابن خلدون إلى فرعين أساسين: الأول يتكون من جراوة، بني يفرن ، مغراوة، بني يلومي، وومانو ، والثاني بني واسين، وهي التي عرفت فيما بعد ببني عبد الواد وبني مرين وبني توجين بين القرنين الأول والسابع الهجريين/ السابع والثالث عشر ميلادي ؛ ينظر : عبد الرحمن بن خلدون ، المصدر السابق ، ج7 ، ص. 3 وما بعدها ؛ عبد العزيز فيلالي ، المرجع السابق ، ص 30.

4- عبد الحميد حاجيات ، المرجع السابق ، ص 304 ؛بسام كامل عبد الرزاق شقدان ، تلمسان في العهد الزياني (633 – 962هـ 1235 – 1555م)، (رسالة مقدمة لنيل درجة الماجستير في التاريخ) ، جامعة النجاح الوطنية ، فلسطين 1422ه / 2002م ، ص. 58.

ووضع محمد بن يحي فانوا واليا جديدا على تلمسان؛ مما استدعى تدخل الدولة الموحدية لإنقاذ حليفها الولي المعزول [1] .

وقد كان دخول الموحدين على مرحلتين الأولى سنة **538 ه / 1144 م** بقيادة عبد المؤمن بن علي، وعسكروا عند جبل الصخرتين قرب كهف الضحاك المطل على تلمسان ، وبعد مناوشات مع المرابطين دخل الموحدون تاكرارت بعد حصارها عدة أشهر ، وأما الثانية فقد حاصر خلالها الموحدون أجادير [2] بقيادة إبراهيم بن جامع [3] ، لمدة سنة نصب خلالها الموحدون المجانيق وأبراج الخشب والدبابات ،ولم يستطع الموحدون دخول المدينة إلا بعد خروج الحامية المرابطين منها [4] .

وتجدر الإشارة إلى تأثر تلمسان الكبير بالدخول الموحدي إليها ،حيث" نهبت الأموال وسبيت الذراري والحرم وبيع من لم يقتل بأبخس الأثمان وأخذ من الأموال والجواهر مالا يحصى ، وكان عدة من قتل مائة ألف [5] " ؛ غير أن اهتمام الدولة الموحدية بتلمسان أعاد إليها مكانتها حيث أعادوا بناءها ،وجلبوا إليها الناس وأسكنوهم فيها لإعادة اعمارها ،لتصبح مركزا للولاية الممتدة من ملوية غربا إلى نهر مينة شرقا ، حيث كان الوالي [6] مسؤولا عن القبائل الهلالية ومراقبتها ، وكانت المدينة مركزا للجيوش الموحدية المتجهة نحو الشرق [7].

1- عبد الحميد حاجيات ، المرجع السابق ، ص. 105 ؛ بسام كامل شقدان ، المرجع السابق ، ص. 58.
2- محمد بن رمضان شاوش ، المرجع السابق ، ص. 68 وما بعدها ؛بسام كامل شقدان ، المرجع السابق ، ص. 58. 59 ؛ عبد الرحمن بن محمد الجيلالي ، المرجع السابق ، ص. 9.
3- علي عبد الله علام ، المرجع السابق ، ص. 131 ؛بسام كامل شقدان ، المرجع السابق ، ص. 49 .
4- بسام كامل شقدان ، المرجع السابق ، ص. 49.
5- شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب النويري ، نهاية الأرب في فنون الأدب ، تح : عبد المجيد ترحيني ، دار الكتب العلمية، بيروت ، (ب،ت) ، ج24 ، ص. 162 .
6- حيث تولى ولاية تلمسان من الموحدين كل من سليمان بن محمد واندين الهنتاتي، وعمه يوسف من بداية الفتح إلى سنة 549هـ / 1155م ، ثم أبي حفص عمر ابن الخليفة الموحدي عبد المؤمن، ثم أبي عمران موسى بن عبد المؤمن سنة 556هـ / 1160م ، ثم خلفه أبو الحسن علي بن عمر بن عبد المؤمن سنة 571هـ / 1175م ، ثم أبو ربيع سليمان بن عبد الله بن عبد المؤمن سنة 576هـ / 1180م ، ثم أبو زيد بن يوجان سنة 605هـ / 624هـ ، ثم أبو سعيد الخليفة الموحدي إدريس المأمون ؛ ينظر : عبد الرحمن بن خلدون ، المصدر السابق ، ج7 ، ص. 104 ؛ بسام كامل شقدان ، المرجع السابق ، ص. 50 وما بعدها.
7- النويري ، المصدر السابق ، ص. 166 وما بعدها ؛ بسام كامل شقدان ، المرجع السابق ، ص .50.

والظاهر أن بني عبد الواد قد أدركوا أنه ليس بمقدورهم مقاومة الموحدين بعد وقوفهم ضد تقدمهم نحو المغرب الأوسط ؛ لذلك خرج زعمائهم أمثال لعدوي بن يكنيمن ، وعبد الحق بن منغفاد وحمامة بن مطهر إلى عبد المؤمن بن علي أثناء حصاره لمدينة وهران سنة **540 ه / 1145م**، وقد مواله الطاعة ودخلوا خدمته [1] .

وما زاد من قوة تلك العلاقة بين الموحدين وبني عبد الواد ،هو إعادة بني عبد الواد لغنائم الموحدين التي استولى عليها زعيم بني مرين المخضب بن عسكر والمتوجهة من المغرب الأوسط إلى تينملل مركز الموحدين بالمغرب الأقصى، وذلك بعد هزيمتهم – أي بني مرين – في معركة منداس سنة **541 ه / 1146 م** [2] ، حيث حاول بنو مرين الانتقام بهذه الحركة ؛غير أنهم فشلوا في ذلك فكانت مكافأة الموحدين لنبي عبد الواد بمنحهم إقطاعا في أحواز تلمسان وبلاد زناتة ، والتي كانت لبني ومانو وبني يلومي، فترك بنو عبد الواد الصحراء واستقروا في التل ، فضمنوا لأنفسهم منطقة رعوية واسعة دون الحاجة للاصطدام مع باقي القوى في المنطقة سواء الموحدين أو القبائل الأخرى.

ومن جهة أخرى حصل بنو عبد الواد على ثقة الموحدين فاتخذوهم بهذه أنصارا وحماة للدولة بإقليم تلمسان [3] ، تلك هي الظروف العامة خاصة منها السياسية والاقتصادية والتي أحاطت نشأة الدولة الموحدية وكيفية توغلها داخل المغرب الأوسط وحصولها على حلفاء القبائل البربرية وحتى العربية وذلك من خلال تبادل المصالح ومنها الاقتصادية وكان على رأس تلك القبائل بنو

1- لخضر عبدلي ، المرجع السابق ، ص. 37 ؛ بسام كامل شقدان ، المرجع السابق ، ص .57 .

2 - Hajiat Abd el Hamid, Le Maghreb central sous le règne du sultan zianide Abou H' ammou Mou sa 2 (760- 791 / 1359- 1389), Eatition Errached, Alger, 2009, P73.

3- عبد الرحمن بن خلدون ، المصدر السابق ، ج7 ، ص 98 ؛ لخضر عبدلي ، المرجع السابق ، ص. 37 ؛كامل بسام شقدان، المرجع السابق ، ص 59 ؛ ولمزيد من التفصيل حول كيفية تأسيس الدولة العبداوية وانتقال الحكم من جابر بن يوسف بعد دخوله تلمسان ، ثم إلى ابنه الحسن ومن بعده إلى أخيه عثمان سنة (630هـ / 1232م) ثم ابن عمه زيدان (630- 631هـ / 1232-1233م) والذي قتل سنة (633هـ / 1235م) ، حيث خلفه أخوه يغمراسن بن زيان سنة 633هـ / 1235م ؛ ينظر : عبد الرحمن ابن خلدون ، المصدر السابق ، ج7 ، ص .105 وما بعدها ؛ عبد الحميد حاجيات ، أبو حمو موسى الزياني حياته وآثاره ، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع ، الجزائر ، 1974 ، ص. 11 وما بعدها؛عبد الحميد حاجيات وآخرون ، كتاب مرجعي حول تاريخ =الجزائر في العصر الوسيط ، منشورات المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر 1954 ، الجزائر، ص. 132 وما بعدها.

عبد الواد والذين كان لهم الدور الريادي في المنطقة منذ قيام الدولة الموحدية ، ثم خلال فترة حكمها لهذه الربوع وبعد سقوطها ،حيث كان لذلك الاقطاع الممنوح لبني عبد الواد الدور الكبير في جعلهم مستعدين للدفاع عن تلمسان ومنطقتها أمام أطماع القبائل الأخرى ، خاصة وأن الظروف السياسية للمنطقة والمصالح الاقتصادية لتلك القبائل كانت تحتم عليها انتهاج سياسات تتلاءم وطبيعة تلك الظروف والمصالح.

تنضاف إلى ذلك مجموعة من التأثيرات الخارجية ما كان له كبير الأثر في حدوث تحولات في مختلف مناحي الحياة وما يهمنا منها التحولات الاقتصادية محل الدراسة والتي لا يمكن الحديث عنها دون ربطها بالحالة الاقتصادية للمنطقة المعنية من ازدهار وتراجع ، والذي هو بيان حدوث تلك التحولات وذلك خلال مرحلة الحكم الموحدي ومن بعده الزياني بالمغرب الأوسط والشديد التأثر بالظروف الداخلية والخارجية والتي كانت تشهدها المنطقة ، وأيضا التأثير في باقي الأوضاع وما هي إذن أهم العوامل المؤثرة في اقتصاد المنطقة في الفترة محل الدراسة ؟ ثم ما هي مظاهر تلك التحولات بالانتقال من مراحل الازدهار إلى التراجع ؟ وكيف أثرت على باقي المجالات الأخرى؟

الفصل الأول :

الحياة الاقتصادية بالمغرب الأوسط خلال العهدين الموحدي والزياني (بين المؤثرات الداخلية والخارجية) :

المبحث الأول : مكونات الاقتصاد الموحدي والزياني

1- الفلاحة.
2- الصنائع.
3- النشاط التجاري.

المبحث الثاني : المؤثرات الداخلية في اقتصاد المغرب الأوسط :

1- الخصائص الطبيعية.
2- الأوضاع الأمنية والسياسية :

2-1- الصراعات الداخلية.

2-2- ضغط القبائل البربرية والعربية.

3- التحول العمراني.

المبحث الثالث : المؤثرات الخارجية في اقتصاد المغرب الأوسط :

1- الضغط الخارجي (المنافسة على المجالات الاقتصادية).
2- الهجرة الأندلسية ودروها في التطوير الاقتصادي.

المبحث الرابع : دور المؤثرات الداخلية والخارجية في اقتصاد المغرب الأوسط

(مقارنة في درجة التأثير ما بين العهدين الموحدي والزياني).

تمهيد :

اختصت الحياة الاقتصادية خلال العهدين الموحدي والزياني بمجموعة من المميزات ، والكائنة ضمن مجال جغرافي متميز يقابله وضع سياسي تتجاذبه القوى المسيطرة على بلاد المغرب الإسلامي آنذاك ، والشديدة التأثير في الوضع الأمني والسياسي والاجتماعي وكذا التأثر بها ، حيث كانت للمصالح الاقتصادية أدوارا معتبرة في توجيه السياسات الداخلية والخارجية لدويلات المنطقة ، خلال مراحل الازدهار والانفتاح أو خلال مراحل الضعف والتقهقر؛ لذلك عرفت تحولات [1] متعددة غيرت من الطبيعة العامة لذلك الاقتصاد ،متأثرة بمجموعة من العوامل، وقبل الحديث عن أهم تلك المؤثرات لابد من التطرق لأهم القطاعات الاقتصادية والتي شكلت القاعدة الاقتصادية للمغرب الأوسط خلال المرحلة قيد الدراسة.

المبحث الأول : مكونات الاقتصاد الموحدي والزياني

الاقتصاد أولا كلمة عامة يراد بها كل ما يشمله معنى تدبير المعاش وإنماء الثروة بكل أنواع الكسب والاحتراف ، مهما تعددت الألوان واختلفت المظاهر من جميع أنواع الحرف والصنائع، وما تقتضيه المعاملات التجارية بين الناس في مختلف أنواع السلع والبضائع ، وكل ذلك دفعا للإعسار وتمتعا بالايسار وجلبا للرفاهية العامة ، كل ذلك كان ولا يزال تأثيره قويا على حياة المجتمعات، ذلك ما ذكره عبد الرحمن بن خلدون عند حديثه عن مسألة تحكم المعاش في أحوال الناس [2] .ويسمى هذا العلم في وقتنا هذا بالاقتصاد السياسي ، وقد عرفه المسلمون في القرون الوسطى وسموه علم المعاش أخذا من قوله تعالى : " ولقد مكناكم في الأرض وجعلنا لكم فيها

1- المقصود بالتحولات في هذه الدراسة هو تتبع مراحل الازدهار والتراجع الاقتصادي ؛أي المراحل التي شهد فيها الاقتصاد الانفتاح والتطور ثم مراحل الأزمات الاقتصادية ، والتي شهدها العهد الموحدي والزياني، كمظاهر تعكس الصورة الحقيقية لتلك التحولات وكبيان على حدوثها، والتي من خلالها أي تلك المراحل تجسدت تلك التحولات بشكل جلي في جميع مكونات اقتصاد المغرب الأوسط خلال الفترة الزمنية مدار البحث.

2- وهو يقصد بذلك شدة تأثير المعاش على الناس والذين بالغوا في طلب الدنيا ، حيث عقد فصلا عرف فيه المعاش وبين وجوهه وأصنافه ومذاهبه ؛ ينظر : عبد الرحمن بن خلدون، المقدمة ، دار الفكر، بيروت ، 2007 ، ص. 387 وما بعدها ؛ خالد كبير علال أخطاء المؤرخ ابن خلدون في كتابه المقدمة ، دار الإمام مالك للكتاب ، الجزائر ،2005 ، ص. 83 ؛ عبد الرحمن الجيلالي ، المرجع السابق ، ص. 231، 232 ؛ محمد بن رمضان شاوش ، المرجع السابق ، ص. 319 .

معايش " [1]؛أي ما تعيشون به وتحيون من المطاعم والمشارب ،وغيرها من المكاسب التي يتوصل بها إلى ذلك [2] ؛ولذلك اعتبر ابن خلدون أن النشاط الاقتصادي هو الركيزة الأساسية للمجتمعات البشرية ،حيث اهتم بأنواع هذا النشاط وقسمه إلى : نشاط زراعي وصناعي وتجاري [3] ، وهو ما ينطبق على المغرب الأوسط حيث عرف هذه الأنشطة الاقتصادية ويمكن إيجاز ذلك من خلال التالي :

1- الفلاحة [4] :

بما فيها الزراعة وتربية الحيوانات حيث تميزت بلاد المغرب الأوسط بازدهارها في المجال الزراعي، ساعدت في ذلك طبيعة البلاد نفسها فهي معروفة إلى الآن بخصوبة تربتها ، بحيث أنها تناسب مختلف أنواع المزروعات إضافة إلى وقوعها في المنطقة المعتدلة الدافئة [5] ، وعلى مر العهود ساهمت تلك الطبيعة إضافة إلى عوامل أخرى في بناء اقتصاد المنطقة، وخلال العهد الموحدي ظلت البلاد تتمتع بالازدهار في هذا المجال، على أن ذلك مرتبط بتحولات تبعا لمجموعة من المؤثرات سيأتي ذكرها لاحقا، دون إغفال أهمية الاستفادة الكبيرة من الخبرة الأندلسية في المجال ، والتي ساهمت هي الأخرى في تطويره.

وقد اهتم الموحدون بالجانب الفلاحي من خلال غرس الأشجار،ومد قنوات المياه إلى البساتين والدور [6] ، وتجلى ذلك الاهتمام أيضا بمراقبة الدولة لأحوال الزراعة وتقديم النصائح العملية للزراع [7] ،ولعل خير دليل على التوسع الزراعي وكثرة المحاصيل وتنوعها، ما أورده

1- الآية "10" من سورة الأعراف .
2- محمد بن رمضان شاوش ، المرجع السابق ، ص. 319.
3- عبد الرحمن بن خلدون ، المقدمة ، ص. 387 وما بعدها ؛ أحمد فريد مصطفى ومحمد سهير السيد حسن ، تطور الفكر والوقائع الاقتصادية ، مؤسسة شباب الجامعة ، الإسكندرية ،2000 ، ص .36.37 .
4- وهي كما عرفها ابن خلدون : " ... أقدم الصنائع لما أنها محملة للقوت المكمل لحياة الإنسان غالبا ... " ؛ ينظر : المقدمة ، ص. 410.
5- يوسف جودت عبد الكريم ، الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية في المغرب الأوسط خلال القرنيين (3) و (4) الهجريين (9-10م) ، ديوان المطبوعات الجامعية ، الجزائر ، 1992 ، ص .25.26.
6- الحسن السائح ، الحضارة الإسلامية في المغرب ، دار الثقافة ، الدار البيضاء ، ط2 ، 1986 ، ص .243 .
7- صالح بن قربة ، عبد المؤمن بن علي موحد بلاد المغرب ، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية ، الجزائر، 1985 ، ص .84.

الرحالة والجغرافيون الذين زاروا المنطقة خلال المرحلة ، ومن ذلك ما ذكره صاحب الاستبصار عن عديد مدن المغرب الأوسط ومنها بجاية والتي كانت " ... كثيرة الفواكه والأنهار ، وجميع الخيرات ... " [1] وتلمسان التي ذكرها الإدريسي حيث كانت: " غلاتها ومزارعها كثيرة وفواكهها جمة وخيراتها شاملة..."[2] .

ونفس الأمر عند الحديث عن بني زيان حيث اعتبر النشاط الفلاحي بهذه الدولة بمثابة العمود الفقري لاقتصادها لاحتراف نسبة كبيرة جدا من سكانها له ، على اعتبار معظم مجتمعها مجتمعا فلاحيا [3] ،ولعل خير مثال على ذلك تلمسان قاعدة المغرب الأوسط والتي كانت ولا تزال تزال منطقة فلاحية ،وأيضا بقية المناطق والمدن التابعة لها وذلك لوجود السهول المساعدة على الزراعة[4] غرب وشمال تلمسان منها : سهل المنية ، وسهل وادي شلف، وسهل متيجة ،وأيضا لتوفر مياه الأنهار والينابيع الصالحة للري مثل : وادي متشكانة وعين لوريط وعين الفوارة [5] .

إضافة إلى اشتغال العديد من السكان في هذا المجال ، كما سبق الذكر وهو ما ساهم في ازدهار القطاع، أو كما قال يحي بن خلدون المعاصر لدولة بني عبد الواد عند حديثه عن السكان من أن " ... غالب تكسبهم الفلاحة وحوك الصوف ... " [6] ، ووصف العبدري الذي زار

1- كتاب الاستبصار في عجائب الأمصار- وصف مكة والمدينة ، ومصر وبلاد المغرب ، دار النشر المغربية ، الدار البيضاء 1985 ، ص. 128

2- الشريف الإدريسي ، نزهة المشتاق في اختراق الأفاق ، مكتبة الثقافة الدينية ، مصر ، (ب،ت) ،م1 ، ص. 248.

3- بو زياني الدراجي ، نظم الحكم في دولة بني عبد الواد الزيانية ، ديوان المطبوعات الجامعية ، الجزائر، 1993 ، ص. 208 .

4- والتي كانت تتم بصورة خاصة في دولة بني عبد الواد ،وعلى شكلين الزراعة الفعلية غير الدائمة ، والتي تعمل بها القبائل الرحالة التي لا تستقر لكي تواصل الاعتناء بالأرض والشكل الثاني في يتمثل في الزراعة المستقرة والدائمة ، أصحابها أكثر خبرة وكفاءة يمارسه جل سكان الأمصار عبر السهول ؛ ينظر : بوزياني الدراجي ،نظم الحكم ... ، ص. 211.

Atallah dhina, les états de l'occident musulman au 13 ,14 et15Siecle, OP.U, Alger, 1984 PP 336- 338.

5- بسام كامل شقدان ، المرجع السابق ، ص. 172.

6- المصدر السابق ، ص. 92.

مدينة تلمسان سنة **688 ه/ 1290 م** " والدائر بالبلد كله مغروس بالكرم وأنواع الثمار " [1] .

وعموما تنوع الانتاج بالمنطقة حسب نوعية التربة وكمية الأمطار ومن ذلك :

- **الحبوب** : وتتمثل في القمح، والشعير ،والذرة، والأرز ،والقمح أكثرها انتشارا ؛لأنه ينمو في التربة المتماسكة حيث تركز الانتاج حول مدينة تلمسان في سهل تسالا، والذي يوفر تقريبا حاجة سكان المدينة إضافة لأهم المناطق المنتجة للحبوب : سهل متيجة ، برشك تنس ، مستغانم ، وهران ، هنين، مليانة ، تاهرت ، مازونة ، ندرومة .... [2] .

ويزرع الشعير والذرة في السهول الداخلية ،والمنحدرات السفلى ،وهوامش الصحراء في سهل إسيلي، وتزرع الحنطة حول أرزيو وتنس هذا إضافة إلى :

- **الأشجار المتنوعة** : ذكرها يحي بن خلدون " وتحف بخارجها والخمائل الألفاف والأدواح الأشبة والحدائق الغلب ، بما تشتهيه الأنفس وتلذ الأعين من الفواكه والرمان والتين والزيتون ... " [3] .

وكانت أشجار الفاكهة تنتشر بالأخص في السهول والمرتفعات مثل: الكروم ،والكرز، والمشمش والزيتون المشهور بكثرة وجودته ،والخروب في عدة جهات من الإمارة [4] ، وأما التمور فقد انحصر إنتاجها بنواحي تلمسان وتيكورارين شمال توات [5] ، وأما العسل والشمع فقد اشتهرت

1- رحلة العبدري ،ص؛ محمد مبارك الميلي ، تاريخ الجزائر في القديم والحديث ، المؤسسة الوطنية للكتاب الجزائر ، (ب،ت) ، ج2 ص. 446.

2- لطيفة بن عميرة :" الأوضاع الاقتصادية في الإمارة الزيانية " ، في مجلة : الدراسات التاريخية ، معهد التاريخ ، ع8 1993-1994 ، الجزائر ، ص .73 بودواية مبخوت : " الحياة الاقتصادية بالمغرب الأوسط في العهد الزياني " ، في مجلة : قرطاس الدراسات الحضارية والفكرية ، مخبر الدراسات الحضارية والفكرية ، تلمسان ، ع تجريبي ديسمبر 2008 ، الجزائر ، ص. 55.

3- المصدر السابق ، ص. 86 ؛ في ذلك ينظر أيضا : مارمول كربخال ، إفريقيا ، تر : محمد حجي وآخرون ،دار نشر المعرفة، الرباط 1989 ، ج2 ، ص. 299.

4- لطيفة بن عميرة ، " الأوضاع الاقتصادية " ، ص. 73 ؛ محمد بن رمضان شاوش ، المرجع السابق ، ص .321.

5- توات : والتي كانت تتشكل من عدة واحات تمتد على هيئة شريط تتورع فيه القصور والبقع المزروعة ، حيث توفرت فيها كل أسباب العيش للقوافل التجارية ،حتى ذكر أنه من أهم أسباب سميتها بتلك هو أنها مأخوذة من كلمة أتوات ؛أي لوجود الخيرات بها

بإنتاجها مدينة الجزائر وتنس واشتهرت بإنتاج القطن والكتان : برشك ، هنين ، مستغانم ، ندرومة ،والحرير بشرشال [1] .

وبالحديث عن النشاط الزراعي لابد من التطرق إلى نظام تقسيم الأراضي وملكيتها [2]؛ أي الملكيات العقارية بما فيها : الملكيات العامة والملكيات الخاصة حيث اتبع الموحدون سياسة مختلفة بالنسبة لتملك الدولة للأراضي الزراعية حيث كفر ابن تومرت كل من لم يؤمن بأفكاره [3] ، ولكن بعد الثورات التي قامت في وجه الدولة الموحدية عدل الخليفة عبد المؤمن بن علي عن سياسته أي مواجهة وملاحقة القبائل ،وبدأ ينتهج سياسة توحيد القبائل في دولة واحدة ، فأكد على احترام الملكية الخاصة وعدم التعرض لها لأنها مخالفة لأحكام الشرع ،فسمح لتلك القبائل الثائرة بالعودة إلى أراضيها وفلاحتها [4] حيث اعتبر أنه :" من الرأي الذميم والسعي المنقوم ، ما

وتعتبر من أهم المدن الواقعة على طول المسالك الرابطة بين الغرب الأوسط والسودان الغربي ؛ ينظر : بودواية مبخوت، العلاقات الثقافية والتجارية بين المغرب الأوسط والسودان الغربي في عهد دولة بني زيان (رسالة مقدمة لنيل درجة دكتوراه دولة في التاريخ الإسلامي في قسم التاريخ) ، جامعة تلمسان ، 2005/ 2006 ، ص .311 ؛ الزهراء بوكرابيلية، الرحلة التجارية بين إقليم توات والسودان الغربي ودورها في تمتين الروابط الثقافية ما بين القرنيين 7- 10هـ / 13- 16م، (مذكرة تخرج لنيل شهادة الماجستير في التاريخ في قسم التاريخ) جامعة تلمسان ، 2010/ 2011 ، ص. 25 وما بعدها.

1- بودواية مبخوت ، العلاقات ... ، ص 266. 268.

2- الملكية عموما هي تلك العلاقة التي أقرها الشارع بين الإنسان والمال وجعله مختصا به ، حيث يمكن من الانتفاع به بكل الطرق الجائزة شرعا وتنقسم إلى ملكية عين : وهي ملك ذات الشيء لملك العقار المنقول من الأموال أو الأعيان وملكية منفعة وهي أن يملك الإنسان حق الانتفاع والاستفادة من الشيء المملوك فقط مع المحافظة على عين ما يستفيد منه ، وفيما يتعلق بالملكية الخاصة أو الفردية ، فقد تعددت سبلها ، إما هبة من الدولة أو اقطاعا منها أو بطريق الإرث والشراء ، وتتمثل أساسا في ملكية الأموال وهي النقود (ذهبا أو فضة) وملكية الزروع أو الثمار وملكية الحيوان وملكية الأرض والتي كانت من أهم صور الملكية في المجتمع الإسلامي لأنها كانت تمثل النسبة الكبرى في ثروته القومية وبالنسبة لبلاد المغرب ، فقد قسمت إلى أنواع بعد تمييز مواقعهم أي الأرض التي فتحت عنوة أي بعد محاربة أصحابها والانتصار عليهم أو المفتوحة صلحا ، أو الذين دخلوا الإسلام ولكن كيفما كان فتح بلاد المغرب فإن العرب المسلمين قد أبقوا أراضي البربر على حالها في أيديهم ,أجروا عليها حكم الأرض المفتوحة صلحا أي فرض الخراج عليها ؛ ينظر في ذلك : محمد عبد المنعم الجمال ،موسوعة الاقتصاد الإسلامي ، دار الكتاب المصري ، دار الكتاب اللبناني ، القاهرة ، بيروت ، 1987،ص.187 ؛صالح بن قرية ، تاريخ الجزائر في العصر الوسيط من خلال المصادر ، منشورات المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر 1954 الجزائر ، 2007 ، ص .78 ؛ عبد الكريم يوسف جودت، المرجع السابق ، ص. 10 ؛ يحي أبو المعاطي محمد عباسي ، الملكيات الزراعية وآثارها في المغرب والأندلس (238- 488هـ) (582 – 1095م) دراسة تاريخية مقارنة ،(رسالة مقدمة لنيل درجة الدكتوراه في التاريخ الإسلامي)، جامعة القاهرة 1412هـ/ 2000م ، ص. 4.

3- ومن ذلك تكفيره للمرابطين واتهامهم بأنهم مجسمة وبالتالي قتالهم كقتال الكفار ثم لما كانت " سنة 517ه جهز ابن تومرت جيشا عظيما من المصامدة ... وقال لهم أقصدوا هؤلاء المارقين المبدلين الذين سموا بالمرابطين فادعوهم إلى أماته المنكر ... فإن أجابوكم فهم إخوانكم ... وإن لم يفعلوا فقاتلوهم فقد أباحت لكم السنة قتالهم"؛ ينظر : أبو العباس أحمد بن خالد الناصري ، الاستقصاالأخبار دول المغرب الأقصى ، تح : جعفر الناصري ومحمد الناصري ، دار الكتاب ،الدار البيضاء ، 1954 ، ج2 ، ص. 81.82 ؛ عبد الواحد المراكشي، المعجب في تخليص أخبار المغرب ، تح : محمد سعيد العريان ، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية الإمارات العربية المتحدة ، (ب.ت) ، ص. 259. وما بعدها.

4- سامية مصطفى محمد مسعد ، الحياة الاقتصادية والاجتماعية في إقليم غرناطة في عصري المرابطين والموحدين من 484 إلى 620هـ / 1092- 1223م ، مكتبة الثقافة الدينية ، القاهرة، 2003 ، ص. 92 وما بعدها.

ذكر لنا في أمر المسافرين الذين يدون الرجوع إلى أوطانهم وعمارتها والطوائف المارة على البلاد بمعنى تجارتها يتسبب إليهم قوم من هؤلاء الظلمة ... " [1] .

وبالنسبة للثوار الذين كانوا يخرجون عن الدولة الموحدية من وقت لآخر فقد تملك الموحدون أراضيهم تأديبا وعقابا لهم [2] .

وبالانتقال إلى بني زيان فقد تميز النشاط الفلاحي عندهم بطابعه الاقطاعي[3] حيث كانت الاستمرارية في العمل بذلك النظام، حتى أن دولتهم قامت على هذا الأساس بعد أن حصلوا على اقطاعات من الموحدين في أحواز تلمسان [4] ، حيث كانت معظم الأراضي في هذه الدولة عبارة عن اقطاعات للقبائل والعشائر البربرية والعربية [5] .

وأول من عمل بنظام الاقطاع في دولة عبد الواد هو السلطان يغمراسن بن زيان مؤسس الدولة ،حيث اقطع مشايخ قبيلة سويد العامرية بلاد البطحاء وسيرات وهوارة ،وتبعه في ذلك بنوه من سلاطين الدولة [6] ، فظاهرة الاقطاع ومنح الأراضي شاعت وانتشرت انتشارا كبيرا سواء على العهد الموحدي أو الزياني ،وخاصة في مرحلة ضعفهم حيث ساندتها القبائل في محنها وفي صد

1- ابن القطان المراكشي ، المصدر السابق ، ص. 194 .
2- سامية مصطفى محمد مسعد ، المرجع السابق ، ص. 99.
3- الاقطاع : لغة هو تمليك الأرض أو إعطاء قطعة من الأرض وشرعا جعل بعض الأراضي الموات مختصة ببعض الأشخاص أو هو تسويغ الإمام من مال الله شئت لمن يراه أهلا لذلك والاقطاع قديم في الدول وأصله أن الملك إذا فتح بلادا وأراد استبقاءها واسغلالها فرقها على قواده في مقابل حربهم وأتعابهم كأنها أجرة لهم وهو مختلف عن المنظم الاقطاعي الذي ظهر في بأروبا الغربية على عهد الامبراطورية الرومانية ، ويختلف أيضا عن المفهوم الحديث له (الاستغلالي والاستعبادي) وربما اختلف كذلك عن المفهوم الإسلامي الذي نفذه الرسول صلى الله عليه وسلم ، وخلفاؤه الراشدون ، ويمكن تسميته بصيغة أدق بالالتزام لأن الغرض من الاقتطاع في الإسلام هو التشجيع على استطلاح الأراضي من جهة ومواصلة خدمتها والالتزام باستثمارها من جهة أخرى ؛ ينظر : أحمد فريد مصطفى وسهير محمد السيد حسن ،المرجع السابق ، ص. 23 ؛ بوزياني الدراجي ، نظم الحكم .... ، ص. 208 ، 209؛ يحي أبو المعاطي محمد عباسي ، المرجع السابق، ص .32. 33 .
4- لخضر عبدلي ، المرجع السابق ، ص .37 ؛ بسام كامل شقدان ، المرجع السابق ، ص. 58 ؛بوزياني الدراجي ، نظم .... ، ص. 209.
5- محمد مكيوي ، الأوضاع السياسية والثقافية للدولة العبد الوادية منذ قيامها حتى نهاية عهد أبي تاشفين الأول (633هـ -1236م / 738هـ – 1337م)، (رسالة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الإسلامي في قسم الثقافة الشعبية) ، جامعة تلمسان 2000/ 2001 ، ص .22.
6- بوزياني الدراجي ، نظم الحكم ... ، ص. 209.

ضربات الأعداء [1] ،حيث كان المغرب الأوسط على عهدين زيان مسرحا لأهداف وأطماع الجارتين المرينية والحفصية.

وبالإضافة إلى النشاط الزراعي نجد الثروة الحيوانية والتي ظلت ممارسة بجميع مناطق المغرب الأوسط على مر العصور، فاختلفت الأغراض من ذلك سواء مستغلة في الزراعة أو توفير بعض اللوازم الحياتية ،أو تلك التي كانت تستخدم لأهداف عسكرية [2] .

2- الصنائع [3] :

شجع الموحدون الصنائع لازدياد حاجة الدولة للصنائع العسكرية ،واتساع رقعتها حيث ساهمت الخبرة الأندلسية الصناعية في تطويرها [4] ، فظهرت ببلاد المغرب الأوسط صنائع عديدة على عهد الموحدين ثم بني زيان، إذ كانت تختلف من مجتمع لآخر باختلاف درجة التطور، ففي المجتمع البدوي أو في الريف تركزت حول توفير الطعام والملبس والخيام ، بينما داخل المدن اشتهرت بنشاط ومهارة الصناع ؛لذلك انتشرت حرف تعتمد على تصنيع الانتاج الزراعي ،والحيواني وبعض ما يستخرج من باطن الأرض، وعند تسجيل الفائض في الانتاج كان التصدير إلى البلدان المجاورة ، وتميز من أنواع الصنائع : صناعة النسيج والجلود ودباغتها، والفخار ،وصناعة مواد البناء وصناعة الورق والذهب والنحاس والخردوات [5] ، على أن صناعة المعادن الثمينة ذهبا ،أو فضة كانت دوما من اهتمامات اليهود [6] .

1- عبد العزيز فيلالي ، المرجع السابق ، ج1 ، ص .20.
2- بوداوية مبخوت : الحياة الاقتصادية ... ، ص 56. 57 ؛يوسف جودت عبد الكريم ، المرجع السابق ، ص .65 ؛ وما بعدها لخضر عبدلي ، المرجع السابق ، ص .53 وما بعدها.
3- قسمها ابن خلدون إلى ما يختص بأمر المعاش من الحياكة والجزارة، والنجارة ،والحدادة وأمثالها ،وإلى ما يختص بالأفكار من العلوم والصنائع ،والسياسة ومنها النسخ ،والغناء، والشعر، وتعليم العلم ؛ ينظر : المقدمة ، ص .45.
4- خيرة بلعربي ، المسالك والدروب وأثرها في تفعيل الحركة التجارية والثقافية في المغرب الإسلامي (5- 10هـ / 11- 12م) (مذكرة تخرج لنيل شهادة الماجستير في التاريخ في قسم التاريخ) ، جامعة تلمسان، 2010/2009 ،ص.
5- بودواية مبخوت، " الحياة الاقتصادية ... ، ص. 57؛ بسام كامل شقدان ، المرجع السابق ، ص. 187 وما بعدها.
6- عمر سعيدان ، علاقات إسبانيا القطلانية بتلمسان خلال الثلثين الأول والثاني من القرن 14م ، منشورات تالة ، الجزائر،2011، الجزائر،2011، ص .31.

ولعل خير دليل على الإهتمام بالجانب الصناعي ،هو أنه عندما قامت الدولة الموحدية حرص الخليفة عبد المؤمن بن علي على حماية الصناع ، كما أسقط جميع القبالات [1] على الصناعات ،وذلك حسب الصناع من صنعهم ،وترك تقديرها وتحصيلها لأمين كل صنعة في كل مدينة [2] ، كما عرف المغرب الأوسط الزياني حركة صناعية قوية أو كما ذكر ذلك يحي بن خلدون عند حديثه عن سكان تلمسان ، كأبرز أنموذج يعكس التنوع وجودة الصناعة المحلية حيث قال عنهم : " ... غالب تكسبهم الفلاحة وحوك الصوف يتغايون في عمل أثوابه الرقاق فتلفي الكساء أو البرنس عندهم من ثماني أواق والأحرام من خمس بذلك عرفوا في القديم والحديث ومن لدنهم يجلب إلى الأمصار شرقا وغربا " [3] ، مما يدل على قدم الصنائع بالمغرب الأوسط.

3- التجارة [4] :

وأما التجارة فقد شهدت هي الأخرى تطورا كبيرا لموقع المغرب الأوسط الاستراتيجي والذي جعله منطقة عبور تجاري ،وكذا محطة تجارية مهمة في حلقة ذلك التواصل القائم بين جميع المناطق بين الشرق والغرب، وكذا الشمال والجنوب هذا ما أعطاها الثراء وأوصلها إلى مصادر الثروة.

وبالحديث عن التجارة لابد من التطرق لأهم المرافق الأساسية،والتي شكلت قاعدة ذلك التطور الذي عرفته التجارة بشقيها الداخلي والخارجي، فأما الداخلي فكانت ركيزته الأسواق [5] [5] والتي جسدت بحق عصب الحياة الاقتصادية في المجتمع الإسلامي، ككل خلال العصر الوسيط

1- القبالة : (م. قبالات) وهي في الأصل الضريبة التي تدفع لبيت المال ، وقد أطلق استعمال هذا اللفظ على الضرائب الزائدة عن الشرع وكانت هذه الكلمة تستخدم في المغرب والأندلس للدلالة على الضرائب التي كان يؤديها أهل الحرف ، أو بائعوا السلع الرئيسية ؛ ينظر : سامية مصطفى مسعد ، المرجع السابق ، ص .125.

2- سامية مصطفى مسعد ، المرجع السابق ، ص .125.

3- يحي بن خلدون ، المصدر السابق ، ج1 ، ص .92.

4- عرفها ابن خلدون ، بأنها محاولة الكسب بتنمية المال شراء السلع بالرخص وبيعها بالغلاء أياما كانت السلعة وذلك القدر النامي يسمى ربحا ؛ ينظر: المقدمة ، ص. 399.

5 - السوق : لغة هي التي يتعامل فيها وسميت كذلك لأن التجارة تجلب إليها والمبيعات تساق نحوها ، عرفها عبد الرحمن ابن خلدون بقوله : " اعلم أن الأسواق كلها تشمل على حاجات الناس فمنها الضروري وهي الأقوات من الحنطة والشعيروما في معناهما ... ومنها الحاجي والكمالي ... "؛ ينظر : عبد الرحمن بن خلدون ، المقدمة ، ص .367.

[1] حيث كانت تقوم الأسواق حيث توجد تجمعات سكانية، فيخصصون مكانا يجتمعون فيه للتبادل التجاري ، وللتزود بما يحتاجون وكانت الأسواق موجودة في كل مدينة أو قرية [2] ، حيث ارتبطت من خلالها الحواضر بالبوادي والمدن الداخلية بالمدن الداخلية ، وهو ماساهم في تفعيل النشاط التجاري على المستوى المحلي ،والذي ساهم بدوره في تطوير المبادلات التجارية الخارجية.

ولعل موقع مدينة تلمسان كأبرز حواضر المغرب الأوسط هو الذي جعلها تتحكم في تجارة المغرب؛ لأننا نجد الطريق الوحيد الذي يربط بين المغرب الأقصى والأوسط يمر عبر ممر تازا [3] دون إغفال أهمية باقي مدن المغرب الأوسط الأخرى من الناحية الاقتصادية ،وكمدينة بجاية مثلا والتي اشتهرت بشمعها والذي كان يصدر إلى أوربا حتى اشتهرت تسميتها في فرنسا باسم (Bougie أي الشمعة [4] ،إضافة إلى القواعد التجارية الصحراوية.

كل ذلك ساهم في تفعيل الحركية التجارية داخل الأسواق والتي قسمت كغيرها من أسواق المغرب الإسلامي إلى :

- **الأسواق العسكرية** : والتي كانت تصاحب عادة الجيش في تنقلاته أثناء غزواته.
- **الأسواق الأسبوعية** : والتي كانت تعقد في أيام معينة من الأسبوع.
- **الأسواق الموسمية** : خلال مواسم معينة في السنة.
- **الأسواق اليومية** : والتي كانت موجودة بصفة دائمة في كل مدن الغرب الإسلامي [5]

[5] ومن أمثلة تلك الأسواق : السوق الذي كان يعقد في معسكر بإقليم بني راشد كل يوم خميس ،وفي عنابة كان السوق يعقد في كل يوم جمعة أسوار المدينة ويستمر

1- إبراهيم القادري بوتشيش ، إضاءات حول تراث الغرب الإسلامي وتاريخه الاقتصادي والاجتماعي ، دار الطليعة للطباعة والنشر ، بيروت، 2002 ، ص. 98.
2- خالد بلعربي ، الدولة الزيانية في عهد يغمراسن – دراسة تاريخية وحضارية (633- 681هـ / 1235- 1282م) ، دار الألمعية للنشر والتوزيع ، الجزائر، 2011 ، ص. 245.
3- خيرة بلعربي ، المرجع السابق ، ص .91.
4- عبد الواحد المراكشي ، وثائق المرابطين والموحدين ، تح : حسين مؤنس ، مكتبة الثقافة الدينية مصر ، (ب.ت) ، ص. 231.
5- إبراهيم القادري بوتشيش ، المرجع السابق ، ص. 98. 99 ؛ خيرة بلعربي ، المرجع السابق ، ص. 92.

إلى المساء وفي جبال الجزائر، وقسنطينة كانت تعقد أسواق تجارية تباع فيها الحيوانات والحبوب والصوف [1] ،وفي الواقع ما تلك الأسواق إلا امتداد لذلك التبادل التجاري المقام في مدن المغرب الأوسط على اختلاف العهود المتعاقبة عليها ،كتعبير عن ممارسة نشاطات يومية اعتيادية لابد منها لقضاء الاحتياجات الضرورية.

وعلى غرار المدن الإسلامية الأخرى كانت أسواق المغرب الأوسط تخضع لمجموعة من التنظيمات، على أن أسواق المدن كانت أكثر تنظيما من أسواق البوادي والأرياف، ولعل ذلك يعود إلى نوعية هذه الأسواق، وإلى المواقع التي أنشأت عليها فأغلبها كان مسقوفا وبعضها مكشوف، وكان لكل صنعة أو سلعة أو تجارة سوق مفردة بها يعرف باسمهم [2].

وعلى العصر الموحدي بلغ دور الدولة مداه في بناء الأسواق ورعايتها وتشييد القساريات والفنادق، واستمر الأمر على العهد الزياني ، فتلمسان مثلا قدمت بدقة أبلغ صورة عن سير حركة التجارة داخل الأسواق على اعتبارها مركز أعمال ،ومقر صناعة وتجارة هام بالمغرب الأوسط، فقد سهل لها موقعها وقربها من الموانئ الساحلية الشمالية، ووجودها في مكان تلتقي فيه الطرق التجارية الكبيرة أن تكون سوقا عالمية لمختلف السلع ؛فتنوعت الأسواق داخل المدينة ، بتنوع الحرف والمهام الممارسة كسوق الخياطين، و النساجين، والصناعيين ،والعطارين ... [3] ، وحتى أسواق الحيوانات والتي كانت تقع خارج أسوار المدينة وفي ضواحيها [4] ، ويحدثنا البكري عن أسواق مدينة تنس إذ يقول : " ... كان بها مسجد جامع وأسواق كثيرة ... " [5] ،ومستغانم

1- الوازن ، المصدر السابق ، ص. 26 37 ؛ أمين توفيق الطيبي ، دراسات وبحوث في تاريخ المغرب والأندلس ، الدار العربية للكتاب ، بيروت، 1997 ، ج2 ، ص. 187 .

2- سعيدي العربي : " تنظيم الأسواق والحرف في بلاد المغرب الأوسط خلال العهد الزياني من القرن 13 إلى القرن 16م " ، في المجلة :المغاربية للدراسات التاريخية والاجتماعية ، ع3 ، جوان -2011 ، منشورات مخبر الجزائر ، تاريخ ومجتمع في الحديث والمعاصر ، سيدي بلعباس ، ص. 226.

3- أبو يعقوب يوسف بن يحي التادلي ، التشوف إلى رجال التصوف وأخبار أبي العباس السبتي ، تح : أحمد التوفيق ، مطبعة النجاح الجديدة ،الدار البيضاء ، ط2 ، 1997 ، ص. 447 ؛ عبد العزيز فيلالي ، المرجع السابق ، ص. 134.135.

4- عبد العزيز فيلالي ، المرجع السابق ، ص .134. 135 ؛ خالد بلعربي ، المرجع السابق ، ص .246 ؛
Hadj Omer la chachi, le passe prestigieux de tlemcen ancienne capitale du célèbre ya ghomrac en fonda teur de la nation, ed Ibn –Khaldoun , tlemcen, 2002, p, 80.

5- المغرب في ذكر بلاد إفريقية والمغرب ، مكتبة المثنى ، بغداد ، 1857 ، ص. 61.

يقول الحميري أن " بها أسواقا وحمامات وجنات "[1] ،ووهران ثاني المدن الزيانية أهمية من الناحية الاقتصادية والتي " ... كانت مهبط التجار القطلونيين والجنوبيين ... " [2] ، وبجاية والتي كانت من أهم المدن ذات القيمة الاقتصادية ،ما جعلها محل النزاع في أوقات كثيرة من عمر دولة الموحدين ،وطوال عمر دولة بني زيان ضد بني حفص حيث تمتعت بأهمية كبيرة طوال هذين العهدين [3] .

علما أن تسيير الأسواق وشؤونها خضع لمجموعة من التنظيمات خلال مرحلة الحكم الموحدي ثم الزياني، ولعل دقة وصرامة تلك التنظيمات خاصة خلال مراحل الازدهار تعبر على قوة الاقتصاد، وتحكم الدولة في تسيير شؤونها الاقتصادية.

وأما السلع التي كانوا يتعاملون بها فتنوعت بتنوع الأسواق [4] وطبيعة البضائع المعروضة، حيث كانت أسواق المغرب الإسلامي كافة همزة وصل بين أسواق أوربا، وأسواق إفريقيا السوداء وذلك ما ساعد على الازدهار الاقتصادي [5] .

وقد ارتبطت بمجموعة من المسالك منها البرية الرابطة بين الأسواق الرئيسية للمدن الكبرى والمدن الصغرى ،وأبرز معالم الطرق الكبرى نجد :

- **الطريق الشمالي الساحلي** : الذي يمتد في أغلبه محاذيا لساحل البحر المتوسط.
- **الطريق الداخلي** : الذي يمر عبر الهضاب الوسطى من بلاد المغرب متعرجا تبعا لما يعترضه من جبال، أو محطات فيقترب أو يبتعد عن الطريق البري الساحلي.

1- المصدر السابق ، ص .558.
2- الحسن بن محمد الوزان ، المصدر السابق ، ج2 ، ص .30.
3-الحسن بن محمد الوزان ، المصدر نفسه ، ص 50.
4-بوزياني الدراجي ، نظم الحكم .... ، ص. 215 ؛ وقد كانت تلك السلع متنوعة بتنوع مصادرها ،منها المصنوعات الزجاجية والمنتوجات الزراعية ، وهي محلية أو من مصادر أوربية ، أيضا الأسلحة و المنسوجات، وكان العبيد والذهب من أهم منتوجات إفريقيا السوداء والطلب عليها كبير في الأسواق الأوروبية.
5- بوزياني الدراجي ، المرجع نفسه ، ص. 215.

- **الطريق البحري** : الذي يحاذي البحر المتوسط ويمتاز بكثرة محطاته على طول السواحل الغربية والذي يتميز بارتياد التجارة الدولية له بكثافة كبيرة ،وتستدير هذه الطرق الرئيسية لتتخذ اتجاها معاكسا تماما عند كل من تونس وفاس ، حيث تتجه من الشمال نحو الجنوب تبعا لاتجاه التضاريس ومراكز العمران ،وتتخلل السلاسل الجبلية المتجه من الجنوب الغربي إلى الشمال الشرقي منخفضات من الشمال إلى الجنوب لتربط بين المدن الشمالية والصحراوية [1] .

المبحث الثاني : المؤثرات الداخلية في اقتصاد المغرب الأوسط

لاشك أن للظروف الداخلية طبيعية وبشرية ،تأثيرا مباشرا في الحياة الاقتصادية كفيلة بإحداث تحولات فيها ومن أهمها :

1- الخصائص الطبيعية :

ومن أبرز مظاهر تلك الخصائص الطبيعية نجد التضاريس، والمناخ، والذي أفرز مجموعة من التأثيرات والظواهر الطبيعية، والتي كثيرا ما تحكمت في اقتصاد المنطقة ،وبالحديث عن الخصائص الجغرافية والتأثيرات الطبيعية لابد من تحديد موقع البلاد.

المغرب الأوسط من المناطق الجغرافية التي اختلف المؤرخون في ضبط حدودها، من المؤرخين القدماء والمحدثين، والبكري أول من استعمل مصطلح المغرب الأوسط وذكر " تلمسان قاعدة المغرب الأوسط " [2] ،وذكره صاحب الاستبصار بأن به " المدن الكثيرة وقاعدتها مدينة تلمسان وحد المغرب الأوسط من وادي مجمع وهو في نصف الطريق بين مدينة مليانة ومدينة تلمسان ، بلاد تازا من بلاد المغرب في الطول وفي العرض من البحر الذي على ساحل البلاد ...

1- عاشور بوشامة ، علاقات الدولة الحفصية مع دول المغرب والأندلس (676- 981هـ / 1228- 1573م) ، (رسالة مقدمة للحصول على درجة الماجستير في التاريخ الإسلامي في كلية الآداب) ، القاهرة 1991 ، ص. 303.
2- المصدر السابق ، ص. 76.

مثل مدينة وهران ومليلة وغيرها من البلاد الساحلية إلى مدينة تنزل وهي مدينة في أول الصحراء وهي على الطريق إلى سجلماسة"[1].

كما ذكره عبد الرحمن بن خلدون وجعل تلمسان قاعدة له [2] ،ومن الجغرافيين المتأخرين ليون الإفريقي حيث جعل " واد زا و نهر ملوية " من الجهة الغربية للمملكة والواد الكبير (الصمام) وصحراء نوميديا [3] " من الجنوب ؛ وعلى العهد الموحدي توحدت هذه البلاد تحت حكمهم ، وعلى عهد بني زيان ظلت الحدود الشرقية والغربية تخضع للظروف السياسية والأمنية التي كانت تمر بها البلاد[4] وذلك ما يدخل ضمن الصراع الدائر بين القبائل القاطنة للمنطقة خلال عهد الموحدين ثم الزيانيين، والذين كانوا يتوسطون عند بني حفص وبني مرين – حسب مصالحهم – حيث ظلت تلك الحدود تعرف المد والجزر ،" فمملكة تلمسان " مثلا كما ذكر أحدهم بأن موقعها كان رديئا من الناحية السياسية [5] ، ولعل ذلك ما أثر على اقتصادها، للعلاقة الوثيقة بينهما؛" فلفهم دورها الاقتصادي لابد من تذكر الوضعية التي احتلتها في شمال افريقيا والتي حددت أهميتها العسكرية منذ القديم ..." [6] .

وضمن هذا الاطار الجغرافي المتأثر بالتقلبات السياسة ،والمتميز بتضاريس متنوعة من سلاسل جبلية وهضاب [7] ،ومناخ معتدل وفي بعض المناطق، وحار على المناطق الجنوبية منه ، كل ذلك أثر على نوعية الإنتاج ،وحتى على استقرار القبائل ،والتي كثيرا ما كان الصدام بينها للسيطرة على مناطق الخصب والمياه.

1- الاستبصار في عجائب الأمصار ، وصف مكة والمدينة ومصر وبلاد المغرب ، دار النشر المغربية ،الدار البيضاء ، 1985 ص. 176.
2- تاريخ ... ، ج 7، ص. 102.
3- الحسن بن محمد الوزان ، المصدر السابق ، ج2 ، ص. 7.
4- خالد بلعربي ، المرجع السابق ، ص. 42 ؛ لخضر عبدلي ، المرجع السابق ، ص. 105.
5- شارل أندري جوليان ، تاريخ إفريقيا الشمالية ، تع : محمد مزالي والبشير بن سلامة ، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع ، الدار التونسية للنشر والتوزيع ، تونس ،الجزائر ،1978 ، ص. 202.
6- جورج مارسي ، تلمسان – مدن الفن الشهيرة ، تر : سعيد عثماني ، دار النشر التل ، البليدة ،2004 ، ص. 97.
7- حيث ظلت تضاريس المغرب الأوسط نفسها على ما هي عليه اليوم ، فنميز سلسلتين جبليتين متوازيتان ، سلسلة الأطلس التلي وأخرى في الجنوب سلسلة الأطلس الصحراوي، تتخللها سهول منتجة منها سهول ساحلية وأخرى داخلية ، وقد تميزت هذه التضاريس بممارسة نشاطات اقتصادية متنوعة معروفة إلى الآن.

وعليه كان لموقع المغرب الأوسط الجغرافي تأثيره الواضح في معالم الحياة السياسية والاقتصادية والاجتماعية [1] ، ولذلك الموقع إذن " قيمة من الطراز الأول بين المشرق الإسلامي وبين إسبانيا المسلمة ولكنها تمتلك أيضا موقعا من نفس المستوى بين الصحراء الكبرى والسودان من جهة وبين البحر الأبيض المتوسط من جهة أخرى " [2] ،فأهمية الموقع الطبيعية جرت على المنطقة الكثير من الأطماع،و أدخلتها في دوامة لا متناهية من الصراعات.

أيضا يمكن القول بأن المنطقة شهدت ظواهر طبيعية خطيرة أثرت بصورة مباشرة على طبيعة الحياة الاقتصادية :كالقحط ،والزلازل، والأعاصير، والجراد والمجاعات ،والتي أثرت على معايش الناس وقوتهم فقد تعرضت بلاد المغرب إلى كوارث طبيعية، وإلى ظروف مناخية قاسية دورية [3] ؛ أدت إلى حدوث أزمات اقتصادية في الغالب بسبب التأثير على وسائل الإنتاج.

وقد لاحظ ابن خلدون أثر الطبيعة على الإنسان وعلى نشاطه الاقتصادي وحث على ضرورة " حسن الاختيار الطبيعي " [4] ،خاصة عند بناء المدن ومراعاة توفر الشروط الطبيعية التي تضمن سير النشاطات الاقتصادية لارتباطها الوثيق بما توفره الطبيعة لها.

2- الأوضاع الأمنية والسياسية :

-1- الصراعات الداخلية : والمقصود بها داخل الأسرة الحاكمة وما جرته من عواقب وخيمة على الوضع الأمني للبلاد؛ وبالتالي التأثير في جميع المناحي الحياتية ومن ذلك الاقتصاد.

1- محمود بوعياد ، جوانب من الحياة الاقتصادية في المغرب الأوسط في القرن التاسع الهجري / 15م ، ش.و.ن.ت ، الجزائر، 1982 ، ص. 15.
2- موريس لومبارد ، الجغرافيا التاريخية العالم الإسلامي خلال القرون الأربعة الأولى ، تر : عبد الرحمن حميدة ، دار الفكر، دمشق ،1979 ، ص. 87 .
3- عبد العزيز فيلالي ، المرجع السابق ، ص. 253.
4- المقدمة ، ص. 352. 353 ؛محمد عبد المنعم الجمال ، موسوعة الاقتصاد الإسلامي ، دار الكتاب المصري - دار الكتاب اللبناني ، القاهرة ، بيروت ،1986 ، ص. 87.

يرى عبد الرحمن بن خلدون أن استقرار الأمور في الدولة وانتشار العدل والأمن له أثر كبير على الإنتاج، فكلما توافر ذلك للدولة كلما ساعد على تقدم الإنتاج وتطوره ،لما يكفله من الحماية للأشخاص [1] ،وكذا ممتلكاتهم وثرواتهم.

وعند حدوث العكس تتراجع الأوضاع الأمنية ؛وبالتالي حدوث العكس بالنسبة للإنتاج، وبالنسبة لدولة الموحدين نجد أنها استمرت في ازدهار حتى نهاية القرن السادس الهجري / الثاني عشر الميلادي ، ومع مطلع القرن السابع الهجري / الثالث عشر الميلادي بدأ الهرم يدب في أوصال هذه الدولة وقد حددت تلك الفترة المصادر التاريخية بوفاة يوسف المنتصر عام **620ه/ 1123م**، لأنه يرمز لأوج عظمة الدولة الموحدية ومن بعده اضطرب الأمر وبدأ الخلاف [2] ، وخاصة من رأس هرم الحكم في الدولة ، وفي الواقع كان قد بدأ ذلك منذ أن جعل عبد المؤمن بن علي الحكم وراثيا في عقبه ،وبعمله هذا أثار حفيظة الكثيرين من الموحدين [3] ، وأصبح منصب الخلافة مرمى هدف للمعارضين والطامعين لتولي حكم الدولة، ولعل ذلك ما يفسر لجوء عبد المؤمن إلى إحضار جملة من أبناء قبيلته كومية ليستخدمها درعا واقيا له، وبالرغم من الإجراءات التي اتخذها لضمان الحكم لأبنائه [4] ، والحيلولة دون وقوع مشاكل داخل الأسرة الحاكمة؛ إلا أن ذلك لم يمنع من قيام صراع حاد بين أبناء الأسرة الحاكمة ، ومن تدخل العديد من الأطراف ،وذلك ما سيكون له انعكاس خطير على سير الحياة الطبيعية ببلاد المغرب ككل.

وفي الواقع فإن جعل الحكم وراثيا من طرف عبد المؤمن علي دفع إلى تنازع مميت بين أبناء عبد المؤمن ابن علي أيضا ،فسفكت دماء وحيكت مؤامرات دنيئة بين الإخوة ،ساعد ذلك صغر سن السلاطين ،وانصرافهم عن تطبيق الشريعة الإسلامية، وانتشار ذوي قرباهم بالنفوذ ، وقد كان

1- المصدر نفسه ، ص 233.

2- يقول عبد الرحمن بن خلدون " لما هلك محمد الناصر بويع ابنه يوسف سنة احدى عشر ، وهو ابن ستة عشرة سنة ، ولقب المنتصر بالله وغلب عليه ابن جامع ومشيخه الموحدين فقاموا بأمره ... "؛ ينظر في ذلك :تاريخ ... ، ج6 ، ص .337 ؛ مؤلف مجهول، الحلل الموشية... ، ص. 161 ؛ عبد الواحد المراكشي ، المصدر السابق ، ص. 403 ؛ السيد عبد العزيز سالم ، المغرب الكبير ، العصر الإسلامي ، دار النهضة العربية ،بيروت، 1981 ، ج2 ، ص. 838 .

3- مراجع عقيلة الغناي ، سقوط دولة الموحدين ، دار الكتب الوطنية ، ليبيا ،2008، ص. 63.

4- مراجع عقيلة الغناي ، قيام دولة .... ، ص. 332 ؛ للتفصيل حول تناحر بني عبد المؤمن من أجل الخلافة ؛ ينظر : مراجع عقيلة الغناي ، سقوط ... ، ص. 243 وما بعدها ؛ عز الدين عمر أحمد موسى ، دراسات ... ، ص. 79 وما بعدها.

من نتيجة ذلك كله أن ضعفت الدولة وتدهورت سريعا في فترة ليست بالطويلة وذلك التراع أتاح الفرصة لمراكز القوة بالنفاذ في شؤون الدولة لاسيما أشياخ الموحدين فسلط الأشياخ وسيطر الوزراء واستبد الولاة فضعفت الإدارة ،واختل الجيش واندثر الأسطول ؛لتكثر الثورات ،وضعف الخلفاء عن التصدي لها فضلا عن مجابهة القوى الخارجية [1] ؛لتنهار الأوضاع الاقتصادية وتوقفت الحراثة وحركة العمران وأصاب الدمار ما شيد في دور الازدهار ، فذلك التناحر بين أفراد البيت الحاكم هو الذي عزز وزاد من ضعف ووهن هذه الدولة خاصة بعد الهزيمة في معركة حصن العقاب (**609 ه / 1212 م**)[2].

وبعد المساعدة التي قدمها قبيل بني عبد الواد للدولة الموحدية كافأتهم بمنحهم إقطاعاحيث تولى يغمراسن بن زيان السلطة بعد مقتل شقيقه ؛رغم معارضة بعض قبائل المنطقة كبني مطهر أو بني راشد وكسابقتها شهدت هذه الدولة أيضا ظاهرة التراع داخل البيت الحاكم على السلطة حيث انتشرت ظاهرة الخروج عن السلطان ، حيث نميز الثورة على السلطان من قبل أجد أبنائه أو أشقائه فمثلا ذكر لنا عبد الرحمن بن خلدون خروج الأمير محمد بن زيان على شقيقه السلطان يغمراسن سنة **653 ه / 1256 م** بمساعدة النصارى في الجيش الزياني ؛ إلا أن المحاولة لم تنجح وقتل الأمير محمد [3] .

ويسجل لنا تاريخ دولة بني زيان أن أغلب سلاطينها إما قتلوا في المعارك والحروب التي قامت ضدهم ،أو بتدبير من المتآمرين من أبناء عمومتهم [4] نقتصر في هذا الإطار على ذكر أبرز

1- علي محمد الصلابي ، المرجع السابق ، ص. 134 ؛ عبد الفتاح مقلد الغنيمي ، موسوعة تاريخ المغرب العربي – المغرب العربي بين بني حفص وبني زيان وبني مرين ، دراسة في التاريخ الإسلامي ، مكتبة مديولي ، القاهرة ، ج5 ، 1994 ، ص. 16؛ وللتفصيل عن خلفاء عبد المؤمن بن علي ؛ ينظر : ابن عذاري ، المصدر السابق - قسم الموحدين، ص. 83 وما بعدها ؛ علي بن أبي زرع الفاسي ، المصدر السابق ، ص. 205 وما بعدها.

2- علي بن أبي زرع الفاسي ، الذخيرة السنية في تاريخ الدولة المرينية ، دار المنصور للطباعة والوراقة ،الرباط، 1972 ، ص. 24. 25 ؛ أحمد بن محمد بن سحنون الراشدي ، الثغر الجماني في ابتسام الثغر الوهراني ، تح : المهدي البوعبدلي ، مطبعة البعث، قسنطينة ،1973 ، ص. 13 ؛ عز الدين عمر موسى ، الموحدون في الغرب الإسلامي – تنظيماتهم ونظمهم ، دار الغرب الإسلامي، بيروت ،(ب.ت) ، ص. 56 .

3- تاريخ ... ، ج7 ، ص. 113.

4- عبيد بوداود ، ظاهرة التصوف في المغرب الأوسط ما بين القرنين السابع والتاسع الهجريين (ق13- 15م) ، دار الغرب للنشر والتوزيع ، وهران، 2003 ، ص. 163. 164.

تلك الحالات لكثرتها طوال عمر هذه الدولة ،فكان منها خروج الأمير أبو تاشفين عبد الرحمن الأول ضد والده السلطان أبي حمو موسى الأول وقتله مع جماعة من معاونيه [1] ، ثم أبي حمو موسى الثاني الذي قتل على يد أتباع ولي عهده الأمير أبو تاشفين [2] ،وخروج الأمير محمد بن أبي زيان ضد شقيقه السلطان أبي تاشفين سنة **795 ه / 1394 م** ، وخروج الأمير يوسف ضد أخيه السلطان أبي تاشفين (**796ه / 1395م**)، وخروج الأمير أبي حمو (**3**) المكنى بأبي قلمون ضد السلطان أبي زيان كسعود سنة **909 ه / 1903 م** [3] .

وتجدر الإشارة أيضا إلى تلك الثورة التي قام بها الأمير محمد أبو زيان ابن السلطان أبي سعيد والتي تعتبر من أخطر الثورات لطول فترتها الزمنية وخسائرها في الرجال والمال ابتداءا من سنة **760 ه /1359م** متحججا بأحقيته في الحكم والعرش من السلطان أبي حمو لكونه ابن آخر سلطان لتلمسان قبل الضم المريني لها سنة **754 ه/ 1352 م** [4] .

2-2- ضغط القبائل البربرية والعربية :

تميزت بلاد المغرب بظاهرة اجتماعية بارزة أثرت في مسار تطورها واستقرارها وتتمثل تلك الظاهرة في كثرة القبائل وتباينها وتعدد العصبيات [5] واختلافها ، ذكر ذلك عبد الرحمن بن خلدون[6] ؛فتاريخ المغرب هو تاريخ القبائل والقبيلة لا تعرف سلطانا خارج نطاقها، ولا ترقى لفهم مسألة الدولة ،والمغرب الأوسط كان طوال العصر الوسيط مطمع أنظار القبائل المختلفة،

1- بسام كامل شقدان ، المرجع السابق ، ص. 81.
2- عبد الرحمن بن خلدون ، تاريخ ... ، ج7 ، ص. 139 ، التنسي ، المصدر السابق ، ص. 138 ؛ عبد الحميد حاجيات ، أبو حمو موسى الزياني - حياته وآثاره ، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع ، 1974 ، ص. 155.
3- محمود بوعياد ، المرجع السابق ، ص. 19. 20 ؛ بسام كامل شقدان ، المرجع السابق ، ص. 82 .
4- للمزيد من التفصيل حول الثورات ضد سلاطين بني زيان والصراع على السلطة بين فروع الأسرة الحاكمة ؛ ينظر : يحي بن خلدون ، بغية الرواد في ذكر الملوك من بني عبد الواد ، مطبعة بو نطاتة ، الجزائر ،1710 ، ج2 ، ص. 184 وما بعدها ، عبيد بوداود ، المرجع السابق ، ص. 162. 163؛ بسام كامل شقدان ، المرجع السابق ، ص. 82.85 .
5- كلمة عصبة تعني إجمالا الحث على نصرة الأولياء والأقرباء ظالمين كانوا أو مظلومين كما تعني الدعوة إلى المدافعة والمحاماة والمطالبة في سبيل الأقارب والأولياء ، فهي عبارة عن رابطة معنوية ذهنية ، تصل وشائج القربى ، وتشد اللحمة بين الأقارب ؛ ينظر : بوزياني الدراجي ،العصبة القبلية وأثرها على النظم والعلاقات في المغرب الإسلامي (من القرن السادس إلى القرن التاسع الهجري) (رسالة مقدمة لنيل درجة الماجستير) ، الجزائر، 1987/ 1988 ، ص. 105.
6- حيث خصص فصلا في مقدمته لهذه الظاهرة بعنوان : في أن الأوطان الكثيرة القبائل والعصائب قل أن تتحكم فيها دولة ، ص. 75 وما بعدها.

بحيث كانت المصلحة الذاتية ،والعصبية والمصلحة الاقتصادية ،ونفوذ كل وقبيلة، تطغى على روابط الدم والعقيدة [1] .

وقد عرف ابن تومرت هذه الحقيقة فوضع نظاما حفظ به وحدة قبائل الموحدين وأبقت تلك القبائل على وحدتها طوال عصر ازدهار الدولة [2] ، بحيث كان لتلك القبائل أثرا كبيرا في توجيه الحياة الاقتصادية بالمنطقة من حيث الاهتمام بتنمية الثروة الحيوانية وتنشيط الجانب الزراعي والفلاحي[3]، ولعل استحداث ابن تومرت التشكيل السياسي الجديد بحيث نظم ورتب جميع أفراد الدولة في طبقات متباينة بلغت أربع عشرة طبقة ، كانت الأولى أهمها من حيث انتماء أكبر رجال الموحدين إليها من مشايخ القبائل وزعماء المصامدة وكبار الشخصيات على رأسها : هرغة ، أهل تينمل ، جدميوه ، حنفيسة ،وهنتاتة [4] ، وهو الذي ساعد على ارساء تنظيم قبلي محكم يسمح بضبط تحركاتها وتوجيهها بما يخدم صالح الدولة.

ثم إن مجيء عبد المؤمن بن علي فيما بعد، أحدث تغييرا في ذلك والذي عزز سلطان الدولة على حساب القبيلة ، كما شن حملات ضد القبائل المشاغبة فاستأصلهم [5] ، كما عمد الموحدون الموحدون في إفريقية وفي المغرب الأوسط إلى تغيير أماكن القبائل العربية تبعا لعوامل الاستقرار، والتوتر، ومصلحة الدولة ، حيث أنزلت قبائل رياح محل عرب العاصم ومقدم وقرة ،والذين نقلوا من إفريقية إلى تامسنا لإبعادهم عن بني غانية [6] الثائرين على الموحدين [1] ،ونجد أيضا أنه لما افتتح

1- عز الدين عمر موسى ، الموحدون في الغرب ... ، ص. 51 ؛ خالد بلعربي ، المرجع السابق ، ص. 43 ؛ عبد العزيز فيلالي المرجع السابق ، ج1 ، ص.18.19.
2- عز الدين عمر موسى ، المرجع السابق ، ص.51.
3- لمزيد من التفصيل حول أثر تلك القبائل ، خاصة منها العربية في الحياة الاقتصادية المغربية ؛ ينظر : مصطفى أبو ضيف أحمد عمر ، القبائل العربية في المغرب في عصري الموحدين وبني مرين ، ديوان المطبوعات الجامعية الجزائر، 1982 ، ص. 309 وما بعدها.

4- مؤلف مجهول ، الحلل الموشية ... ، ص. 109 ؛ علي محمد الصلابي ، المرجع السابق ، ص .77.
5- بوزياني الدراجي ، العصبة ... ، ص. 94 .
6- بنو غانية : من أعيان الملثمين المرابطين استقروا بجزيرة ميورقة ، من جزر البلبار الثلاثة : منورقة ويابسة كان أولهم إسحاق بن محمد بن غانية ،وبعد وفاته خلفه ابنه علي بن إسحاق بن محمد بن غانية حتى سنة 600 هـ ، هددت حركتهم الموحدين حتى إلى بلاد المغرب ؛ ينظر في ذلك : عبد الرحمن بن خلدون ، تاريخ .... ، ج6 ، ص. 325 وما بعدها ؛ عبد الواحد المراكشي ، المصدر السابق ، ص. 342 وما بعدها ؛ شمس الدين الذهبي سير أعلام النبلاء ، تح : بشار غواد معروف ومحي هلال الرحان ، مؤسسة =الرسالة، بيروت، 1985 ، ج22 ، ص. 369 ؛ وج 21 ، ص. 73 ؛ مراجع عقيلة الغناي ، سقوط ... ، ص. 167 ؛ محمد

افتتح عبد المؤمن ابن علي المغرب الأوسط وأدخله في دولة الموحدين قام بمحاربة قبائل بني هلال، والذين هزموا في أكثر من موقعه، وأرغموا على الخضوع والطاعة .

هذا وبدلا من الانتقام قربهم عبد المؤمن بن علي ونقل عددا منهم إلى المغرب الأقصى [2] ورد أموالهم وحريمهم ومنحهم جزيل العطاء [3] ، يقول البيدق : " وأما ما كان من أمر غنائم العرب وسبيها وترك منها أمير المؤمنين في فاس ومكناسة وفي سلا وحمل مع نفسه سلاطينهم إلى مراكش وعيالهم ... " [4] .

وربما كانت تلك التصفيات والإجراءات المتخذة السبب المباشر لاستقرار الدولة الموحدية فيما بعد وعظمتها وكما شاخت هذه الدولة نهضت القبائل من سباتها وأظهرت أطماعها وهكذا تكالبت تلك القبائل على الدولة من جديد ، وبالفعل تمكنت القبائل الزيانية من إسقاط الدولة الموحدية ثم اقتسام ممتلكاتها وبالتزامن مع هذه الأحداث السياسية الجسيمة من الداخل إضافة إلى الخطر الخارجي صاحب اختفاء الدولة الموحدية التدريجي تأثيرات كبيرة على المقومات الاقتصادية في مختلف نواحي بلاد المغرب والأندلس بنسب متفاوتة فتحول الاقتصاد من اقتصاد دولة واحدة إلى اقتصاد دويلات متناحرة ، حيث انعدم الأمن الذي يتحقق بدون سلطة سياسية قوية [5] بعد أن دب الخلاف أولا بين بني عبد المؤمن ، وبذلك فقدت الكثير من المراكز الاقتصادية في بلاد

العروسي المطوي ، السلطنة الحفصية تاريخها السياسي ودورها في المغرب الإسلامي ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت ، 1986 ، ص. 17 وما بعدها.

1- محمود السيد ، تاريخ دولتي المرابطين والموحدين ، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية ، 2004 ، ص. 88.

2- حيث تعددت دوافع استقدام عبد المؤمن للعرب من إفريقية إلى المغرب من تقليص لنفوذ أشياخ الموحدين ،إلى الاستفادة من طاقات العرب ؛ ينظر : ابن عذاري المراكشي ، المصدر السابق ، ص. 114 ؛ أحمد عزاوي ، رسائل موحدية ، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية ، المغرب ،1995 ، ج1 ، ص. 81 ، 232 ؛ عز الدين عمر موسى ،الموحدون في الغرب ... ، ص. 223.

3- علي محمد الصلابي ، المرجع السابق ، ص. 127. 128.

4- البيدق ، أخبار المهدي بن تومرت - بداية دولة الموحدين، دار المنصور للطباعة ، الرباط ،1971 ، ص. 76 ؛ مصطفى أبو ضيف أحمد عمر ، المرجع السابق ، ص. 71 وما بعدها.

5- بوزياني الدراجي ، العصبة ... ، ص 95 ؛ عاشور بوشامة ، المرجع السابق ، ص. 290. 291.

المغرب أهمتها ، واختفى الكثير منها [1] ، كما تأثر إنتاج العديد من المناطق نتيجة لاضطراب الأمن[2] .

وخلال مرحلة ضعف دولة الموحدين استبد عرب الخلط وسفيان والمعقل ثم بنو مرين حتى ظهور آخر الخلفاء الواثق أبي دبوس (**663 ه / 1269 م**) [3] ، وتجدر الإشارة أيضا إلى أن بعض القبائل المغربية كان من أهم أسباب ثورتها تخميس أموالها وأراضيها وهم مسلمون [4] كما أن انشغال الموحدين في مجابهة الأخطار الخارجية [5] أتاح الفرصة للطامعين من تلك القبائل للثورة ضد الدولة.

لقد خلف تفكك الدولة الموحدية قيام ثلاث وحدات سياسية : الدولة الحفصية (المغرب الأمني) ، الزيانية (المغرب الأوسط) والدولة المرينية (المغرب الأقصى) متصارعة فيما بينها أما بإدعاء أنها تمثل استمرارية الدولة الموحدية – شرعية الوارثة – كما هو الحال عند بني حفص أو رغبة في التسلط والزعامة كما هو حال الدولتين المرينية والزيانية ، وذلك ما خلف حالة عدم الاستقرار السياسي والأمني في منطقة المغرب الإسلامي.

وقد كانت الدولة الزيانية أكثر تأثرا بالصراع لموقعها الجغرافي الوسطي بين الدولتين الحفصية والمرينية، والصراع ضد بني مرين كان أشد لزعامة زناتة ،وملك المناطق التي تنتشر بها هذه القبيلة أجج ذلك تجاورها وعدم تمكن أي منهما من السيطرة على الأخرى فسير بنو مرين حملات عسكرية عديدة ضد أراضي الدولة الزيانية [6] .

1- عبد الواحد المراكشي ، المصدر السابق ، ص. 415 ؛ عاشور بوشامة ، المرجع السابق ، ص. 290. 291.

2 - عاشور بو شامة ، المرجع السابق ، ص. 290. 291.

3 -عبد الرحمن بن خلدون ، تاريخ ... ، ج6 ، ص. 348 وما بعدها ؛ عز الدين عمر موسى ، الموحدون في الغرب ... ، ص. 57. 58 .

4- سامية مصطفى محمد مسعد ، المرجع السابق ، ص. 93 .

5- حيث واجهت الدولة الموحدية العديد من الفتن والثورات الداخلية ، بالإضافة إلى خطر النصارى خاصة في الأندلس والتي فتحت فتحت فيها جبهات قتالية ، ولعل أبرزها كان ضد بني غانية المسوفين من بقايا المرابطين ،وابن مردينش، وقراقوش والتي كان لها صدى على كل الربوع التي كانت تحكمها الدولة الموحدين وما كاد الموحدون أن يتخلصوا من تلك الفتن حتى كانت وقعة العقاب الشهيرة (609هـ/ 1212م) والتي كانت بداية النهاية الفعلية لهذه الدولة ؛ ينظر : مراجع عقيلة الغناي ، ص. 159 وما بعدها، و223 وما بعدها .

6- عبيد بوداود ، المرجع السابق ، ص. 156.

وقد عاش سكان تلمسان وغيرها من مدن الدولة الزيانية أياما عصيبة جراء هذه الصراع القبلي، ونفس الأمر عند الحديث عن الصراع بين الزيانيين وبني حفص [1] بحيث استعانت كل منهما بقبائل المنطقة بتغلب على الأخرى.

ونتيجة لذلك ضعفت السلطة المركزية عن فرض كلمتها ،وتقلص نفوذها وكثر الطامعون في الحكم ، وقد أكدت الرحلات اللا أمن والاستقرار كطابع مميز لبلاد المغرب الأوسط [2] كان للقبائل النصيب الكبير في إشاعته؛ وفي إشارة عن تأثيره على سير الحركة التجارية مثلا أنه كان " عند الإنزال بهنين أو وهران كان يسارع التجار إلى اجتيار سلسلة الجبال الساحلية بإتباعهم طرقا جعلتها خطرة أحيانا هجمات القبائل العربية المنتصبة في المنطقة ... " [3] .

وقد كان من بين القبائل البربرية عامة والزيانية خاصة من أبناء العمومة التي ناصبت بني زيان العداء قبائل مغراوة ، توجين ، صنهاجة، ومن الذين تذبذبوا في مواقفهم بين مؤيد ومناصر وبين مخادل ومعادي مثل : بني يفرن ومغيلة ومن المناصرة : بني واسين أولاد منديل ، كومية ، بني يلومي ، بني ومانو ، بني تغرين ، وهوارة وأزداجة ، بني ورنيد ، بني راشد ، مطماطة ، ولما كان استقرار بني زيان في المناطق الواقعة بين البطحاء شرقا ونهر ملوية غربا حيث أصبحت أراضيهم تتاخم مواطن بني توجين في الجنوب وتعادي ممتلكات مغراوة في الشرق ما أدى إلى العداء والتنافس على الأراضي[4] .

وأما القبائل العربية فكان منها عدة بطون من بني هلال ،وسليم ،بحيث لم تكن علاقاته مع السلطة المركزية قارة وثابتة وإنما تحكمت فيها المصلحة والأهواء السياسية ، حيث اعتمد بنو عبد

1- والذين كان تدخلهم بما يوافق مصلحتهم ومن ذلك دعمهم للسلطان عبد الواحد للظفر بعرش تلمسان سنة (831هـ / 1427م) وتنصيب الجيش الحفصي سنة 835ه / 1431م) السلطان أحمد بن أبي حمو موسى بعد القبض المتمرد محمد بن أبي تاشفين وحملتي سنة (866هـ / 1461م) وسنة 870هـ / 1465م) للسلطان الحفصي أبي عمر عثمان بن عزوز (839- 893هـ) للابقاء على الدعوة الحفصية سارية على منابر تلمسان من قبل ممثلين لها من بن عبد الواد ؛ ينظر : عبد الرحمن بن خلدون ، تاريخ ...، ج3، ص. 106. 131 ؛ عبيد بوداود ، المرجع السابق ، ص. 163 ؛ وقد تكررت مثل تلك الاشارات في حديث المؤرخ المصري عبد الباسط خليل ، وذلك من خلال زيارته لتلسمان في عهد المتوكل بحيث تكررت في كتابه الأخبار والاشاعات عن المجموعات الحفصية والتي كان يعيش الخاصة والعامة بتلسمان في انتظار وقوعها؛رحلة عبد الباسط خليل ،إلى بلاد المغرب الأوسط وتونس،نشرها روبرت برونشفيك،باريس ،1936،ص.40ومابعدها.

2- ومثال ذلك ما ذكره العبدري ،المصدر السابق، ص. 7.

3- جورج مارسي ، المرجع السابق ، ص. 98 .

4- عبد العزيز فيلالي ، المرجع السابق ، ص 18. 19.

الواد في كثير من الأحيان على مساندتها أو كما ذكر عبد الرحمن بن خلدون : " والحال بالمغرب الأوسط لهذا العهد ما شرحناه مرارا من تغلب العرب على الضواحي والكثير من الأمصار ، وتقلص الدولة عن القاصية وارتدادها على عقبها إلى مراكزها بسيف البحر (أي الساحل) وتضائل قدرتها على الكثير من الأمصار والقنوع بالتضريب بينهم والإغراء بعضهم ببعض " [1] .

وقد حصلت الدولة على مساندة تلك القبائل مقابل الحضوة، والنفوذ ، والمال ، والأراضي الخصبة [2] ونذكر أيضا أن هجرة الأعراب نحو المغرب الأوسط في القرن الخامس الهجري / الحادي عشر ميلادي واستقرارهم بالصحراء شكل خطرا بالنسبة للتجارة الصحراوية في المغرب الأوسط من خلال عمليات السلب والنهب التي كان يتعرض لها التجار والمسافرون [3] ،وهذا ما دفع بيغمراسن ابن زيان إلى ردعهم بعرب بني عامر ، وبني يزيد من زغبة والذين استقروا بالمنطقة بعد تغلبهم على الأعراب ، كما قام بنو عامر بأدوار معتبرة على طول عمر دولة بني زيان والحفاظ على استمراريتها [4] .

وبذلك يسجل لنا التاريخ مفارقة عجيبة تخص هذه الدولة فإن كان بسبب ضعفها الظاهرة القبلية فإنهاكانت تعيد الكرة وتستعيد حياتها بفضل القبلية أيضا ،بل واستطاعت العيش والبقاء زمنا أطول من الزمن الذي عاشته دولة بني مرين القوية بمؤسساتها وثرواتها وجيوشها [5] . ومنذ تأسيس الدولة واجه مؤسسها يغمراسن تلك القبائل إما بالإقطاع والمنح تارة وإما بالمواجهة،

1- تاريخ ... ، ج7 ، ص .
2- عبيد بوداود ، المرجع السابق ، ص 167 ؛عبد العزيز فيلالي ، المرجع السابق ، ص. 20.
3- وذلك ما دلت عليه نوازل الفترة ومنها مثلا ما ذكره الونشريسي في " فتوى في قتال المغيرين وقطاع الطرق من عرب المغرب الأوسط سنة 796هـ " بعدما سئل الإمام أبو عبد الله بن عرفة عن قضية قتال السليم وسعيد رياح وسويد وبني عامر أمراء عرب المغرب الأوسط سنة ست وتسعين وسبعمائة ، وقد كان السائل له الفقيه أبو العباس أحمد وذلك لتضرر العامة من جراء عمليات هؤلاء المغيرين وقطاع الطرق وتكرر اغارتهم خاصة على سير القوافل التجارية ؛ ينظر : أبو العباس أحمد بن يحي الونشريسي، المعيار المعرب والجامع المغرب عن فتاوى أهل إفريقية والأندلس والمغرب ، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية ، الرباط 1981، ج6 ، ص. 153 وما بعدها.
4- عن دور بني عامر وأعمالهم المقدمة للدولة الزيانية خاصة على عهد أبي حمو موسى الثاني ، وأيضا مقاومة القبائل المعادية لبي عبد الواد ، ينظر : قوراري عيسى : " دور بنو عامر وحصان السياسي والعسكري في إحياء الدولة الزيانية (عهد أبي حمو موسى الثاني) مابين 760هـ 1359م – 774هـ – 1373 م " ،في مجلة: قرطاس الدراسات الحضارية والفكرية ، ع تجريبي ديسمبر 2008 – تلمسان ، ص. 133 وما بعدها.
5- بوزياني الدراجي ، العصبة القبلية ... ، ص. 101 .

أو كما ذكر التنسي : " فأما حروبه مع العرب وزناتة فأمر لا يكاد يصدر من أحد سواه..."[1]، و لم يسلم حلفاؤه من بعده من تلك التمردات والثورات التي صاحبت عمر هذه الدولة.

ونفس الحال من التدهور كان خلال القرن التاسع الهجري ويظهر ذلك جليا في ضعف الملوك وتدمر القبائل العربية [2] ،والتي كانت تتمتع بشبه استقلال في اقتطاعاتها وكلما أحست بضعف الملوك إلا وبالغت في تمردها وتحديها ،وعندما فوجئت الجزائر بالاحتلال الإسباني كانت مجزأة إلى نحو خمسة عشر جزءا كل جزء تسيطر عليه قلبية عربية أو بربرية ، فقبيلتا سويد وبني عامر كانتا تسيطران على معظم سهول ولاية وهران ،والجزائر، وسهول متيجة كانت تحت تصرف قبيلة الثعالبة ، وقد تعرض كثير من الفقهاء لحالة بعض القبائل، وذلك ما ذكرته لنا كتب النوازل من حيث الآثار التي كانت تتركها هجماتها المتكررة ، وذلك ما دفع للتساؤل حول مشروعية جهاد تلك القبائل بعدما عجزت السلطة عن ردعهم [3]

3_التحول العمراني :

المقصود بالتحول العمراني هو بناء مدن جديدة واختفاء أخرى، أو ظهور مدن وأفول أخرى وما لذلك من صلة وثيقة بدرجة التقدم ،أو التراجع الاقتصادي فعمران أي مدينة أو حتى بناء مدن جديدة مرتبط بالأساس بالحركية الاقتصادية ،وهذا ما تجلى بوضوح خلال المرحلة المدروسة خاصة عند تحول اقتصاد المغرب الأوسط من اقتصاد دولة واحدة وهي الدولة الموحدية ، إلى اقتصاد الدويلات التي قامت على أنقاضها.

1- المصدر السابق ، ص. 128.

2- وذلك ما ذكره عبد الباسط خليل عند حديثه عن نفوذ الأعراب القوي بالمغرب الأوسط في عهد المتوكل ؛ ينظر : المصدر السابق ، ص .42 ؛ محمود بو عياد ، المرجع السابق ، ص. 21.

3- من ذلك ما ذكره صاحب الذرر المكنونة في نوازل مازونة " يذكر كثير من الأسئلة الواردة في حق هذه القبائل وتمردها على الحكام فقال : " وسئل الحفيد سيدي محمد العقابي عن هؤلاء الأعراب المتغلبين على البلاد لضعف السلطة أحيانا يكونون خداما للسلطان وتارة يكونون مخالفين على السلطان كما يفعل عرب بلدنا ، مثل بني عامر وسويد يعمد أحدهم إلى توليه قاض في وطنه (أي اقطاعه) بلا أمر الإمام فيقضى هل تصح توليه وتنفيذ أحكامه وفي موضع آخر " ... مع أن أحكام السلطان أو نائبه لا تنالهم بل ضعف عن مقاومتهم فضلا عن ردعهم بل إنما يداريهم بالأعطية والانعام ببعض بلاد رعيته ونصب عمالهم فيها وقطع نظر عمل السلطنة عن النظر في جبايتها ... " ينظر : أبو زكريا يحي المغيلي الدرر المكنونة في نوازل مازونة ، تح : مختار حساني ، نشر مخبر المخطوطات قسم علم المكتبات كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية ، جامعة الجزائر ،2004 ، ج1 ، ص. 309 وما بعدها؛ أحمد بن محمد بن سحنون الراشدي ، المصدر السابق ، ص. 12. 13.

اكتسبت مدن عديدة بالمغرب الأوسط أهمية اقتصادية كبيرة خلال العهد الموحدي كان منها تلمسان ، بجاية ، وهران ،وقواعد اقتصادية واقعة بالصحراء مع تركز النشاط الاقتصادي في المدن الساحلية [1] ، جاء ذلك نتيجة للصراع الذي استغرق عدة قرون بين البدو والحضر ولذلك احتفظت المدن الساحلية بمكانتها الاقتصادية مقارنة بالمدن الداخلية [2] .

ولما كان انتقال النفوذ السياسي بسقوط دولة الموحدين إلى عدة مراكز رئيسية في بلاد المغرب والأندلس إلى فاس (على حساب مراكش) وغرناطة، وتلمسان، وتونس ، وبالتالي انتقال النفوذ الاقتصادي إلى نفس هذه المراكز [3] ، وبالنسبة للقيمة الاقتصادية للمراكز العمرانية فإن ذلك مرتبط بعدد السكان فيها ومدن تحضرهم ومن ذلك حجم مبادلاتهم ونوعيتها وعلى هذا الأساس يتم ترتيب المراكز العمرانية والمسالك التي تربط بينها [4] ، وذلك ما شكل عكس ما حدث بلاد المغرب خاصة خلال المرحلة الانتقالية من حكم الموحدين إلى مرحلة الحكم الزياني.

من الثابت تاريخيا أن عمران بلاد المغرب قد تعرض لتناقص شديد عند قيام الدويلات الثلاثة الزيانية، والحفصية، والمرينية ومرد ذلك عند بعض المؤرخين إلى التناقض بين العمران، وطبيعة البداوة التي كانت سائدة في بلاد المغرب ، حيث أن انتشار المدن وتوسعها بالنسبة للقبائل يؤدي إلى تحكم السلطات الحاكمة فيها فتحد حركتها وتحد من نشاطها ؛وبالتالي تقضي على البداوة مع الوقت في النهاية [5] .

1- ذكر ابن خلدون تركز العمران في الشريط الساحلي ، وبالتالي فتطور العمران يتناسب تناسبا طرديا وتزايد النشاط الاقتصادي قال : " ... ونقص (العمران) عن مجهوده نقصا ظاهرا محسوسا وكاد أن يلحق في أحواله بمثال أحوال إفريقية بعد أن كان عمرانه (المغرب الأقصى) متصلا من البحر الرومي إلى بلاد السودان في طول ما بين السوس الأقصى وبرقة ، وهي اليوم كلها أو أكثرها قفار وخلاء وصحاري إلا ما هو بسيف البحر أو ما يقاربه من التلول "، ونفس الأمر ينطبق على المغرب الأوسط عمرانيا ، ينظر : المقدمة ، ص 371 ؛ مارمول كربخال ، المرجع السابق ، ج2 ، ص. 291. 292 ؛ عاشور بوشامة ، المرجع السابق ، ص. 294.295.

2- حيث أطلق عبد الرحمن بن خلدون مصطلح "حوالة الأسواق" على المدلول الاقتصادي لتحول عواصم بلاد المغرب والأندلس الذي يترتب عليه رخص أسعار العقارات في المراكز الرئيسية للدولة القديمة ، وارتفاع أسعارها في العواصم الجديدة ؛ ينظر : المقدمة ، ص .371 ؛ عاشور بوشامة ، المرجع السابق ، ص. 292 .

3- عاشور بوشامة ، المرجع السابق ، ص. 292.

4- عاشور بوشامة ، المرجع نفسه ، ص. 296. 297.

5نفسه ، ص. 194. 195 .

ومن ذلك كان تفاضل المراكز الاقتصادية حسب درجة عمرانها، وتحضر أهلها وقدرة كل منها على جذب الحركة التجارية ،وما دامت العلاقة وطيدة وطبيعية بين مراكز العمران والمسالك فإن التغيرات التي طرأت على مراكز العمران في بلاد المغرب والأندلس ملفتة للانتباه ،حيث شهدت المنطقة ككل عدة ظواهر عمرانية نتجت عن الظروف السياسية ، والاقتصادية ، والاجتماعية عامة فمنها ما خرب واختفى، والبعض استعاد مكانته وعمر ، ومنها ما أصبح في عداد المفقود لوقوعه تحت السيطرة الأجنبية، والمغرب الأوسط كان أكثر بلاد المغرب تعرضا للتخريب سواء من جراء الصراعات الداخلية ،أو التحرشات المرينية والحفصية [1] ، فبعد مرحلة انتشار شبكة المدن والقرى تربط بينها مسالك تجارية نشطة التحمت خلالها الواجهة الصحراوية بالواجهة البحرية شهدت تراجعا ديموغرافيا وتناقصا عمرانيا في مرحلة من مراحل ذلك التحول العمراني، فلم يبق منه إلا ما هو بالساحل أو ما يقاربه من التلول [2]

المبحث الثالث : المؤثرات الخارجية

1- الضغط الخارجي : المنافسة على المجالات الاقتصادية :

ظل الصراع قائما في المغرب الأوسط للسيطرة على المدن ذات الأهمية الاقتصادية من حيث التوفر على المؤهلات اللازمة لممارسة النشاطات الاقتصادية المختلفة، أو تلك التي كانت لمواقعها أدوارا محورية في المبادلات التجارية ،حيث كانت محل أطماع السلطات التي حكمت بلاد المغرب، وحتى الدول الأوربية لسواحل بلاد المغرب ،والتي تركزت حملاتها على المدن الساحلية والتي اعتبرت مراكز تجارية حيوية مكملة لذلك التواصل الاقتصادي القائم بين ضفتي المتوسط خاصة أواخر الحكم الزياني.

1- عاشوربوشامة ،المرجعالسابق، ص. 296. 299 .
2- الحبيب الجنحاني ، دراسات في التاريخ الاقتصادي والاجتماعي للمغرب الإسلامي ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت ،1986 ، ص. 150. 153 .

ومن ذلك كان اهتمام الموحدين بجميع المدن ذات الأهمية السياسية والاقتصادية والتي كان على رأسها تلمسان والتي منحتها اهتماما خاصا بعد فتحها حيث أصبحت مركزا للولاية الممتدة من ملوية غربا إلى نهر منية شرقا، بحيث كان الوالي عليها مسؤولا عن القبائل الهلالية ومراقبتها من جهة ، وكانت مركزا للجيوش الموحدية المتجهة نحو الشرق خاصة أثناء مقاومة ثورة بني غانية [1] حيث كان الصراع محتدما بينهم وبين بني غانية للإستيلاء على مدينة بجاية بل وحتى تهديد المغرب الأوسط ككل وأهم مدنه ، حيث زحف بنو غانية إلى سهول متيجة واستولوا على مدينة الجزائر والمدية ، وأشير ، ومليانة ، ومازونة ، وتلمسان ،ووهران ،وامتلكوا قلعة بني حماد ثم قسنطينة والتي طال حصارها[2] ، غير أن الموحدين تمكنوا من دحر بني غانية في النهاية بفضل المساندة التي تلقوها من العرب والبربر.

فبالإضافة إلى الصراع للحصول على الزعامة السياسية فإنه يمكن القول بأن الصراع لا يخلو من دوافع اقتصادية بمحاولة السيطرة على تلك المدن، ومن ذلك أيضا نذكر على سبيل المثال مدينة قسنطينة والتي تطورت وأصبحت مدينة تجارية عالمية يقصدها التجار من بلدان البحر المتوسط ومن الصحراء وبلاد السودان [3] ، حيث كانت المدن الشمالية بمثابة أسواق ومراكز تحويل المواد المستوردة من أقاصي الجنوب قبل إعادة تصديرها إلى نفس الاتجاه الذي أتت منه، عبر مدن الشمال المنتشرة من المحيط الأطلسي إلى ليبيا وحتى مصر؛ فالتجارة الصحراوية كانت تتحرك حسب ثالوث جغرافي يتكون من ثلاثة دوائر رئيسية هي :إفريقيا السوداء،و مدن شمال الصحراء،

1- في إطار الصراع الدائر ضد بني غانية يمكن أن نذكر ذلك الصراع الدائر خارج المغرب الأوسط ، حيث كان التنافس محتدما على جزر البليار والتي استولى عليها الموحدون في النهاية وما يهمنا في ذلك الانعكاسات الاقتصادية لتلك السيطرة ، بحيث أنها شكلت ضربة قاصمة لنبي غانية من جهة ، ثم أنها تركت أثرا واضحا على جمهوريتي بيزة وجنوة ، واللتين فقدتا أسواقا مهمة في جزر البليار وحتى في ثغور إفريقية الخاضعة لبني غانية من جهة أخرى وذلك ما اعتبر مكسبا اقتصاديا جديدا لدولة الموحدين؛ ينظر : عبد الرحمن بن خلدون ، تاريخ ... ، ج6 ، ص 252 وما بعدها ؛ النويري المصدر السابق ، ج24 ، ص. 180 ؛ بسام كامل شقدان ، المرجع السابق ، ص. 50 ؛عصام سالم سيسالم ، جزر الأندلس المنسية – التاريخ الإسلامي لجزر البليار (89-685هـ – 703- 1287م)، دار العلم للملايين ، بيروت ،1984 ، ص. 405.

2- مراجع عقيلة الغناي ، سقوط .... ، ص. 213 ؛ عبد الرحمن بن محمد الجيلالي ، المرجع السابق ، ص. 15 ؛وعن المواجهة الموحدية لبني غانية وملاحقتهم حتى جزر البليار ، مقر اقامتهم وقواعد إمداداتهم الرئيسية ؛ ينظر : عصام سالم سيسالم ، المرجع السابق ، ص. 405 وما بعدها.

3- عبد العزيز فيلالي ومحمد الهادي لعروق ، مدينة قسنطينة - دراسة التطور التاريخي والبيئة الطبيعية ، دار البعث ، قسنطينة، 1984، ص .68.

و مدن شمال منطقة المغرب بحيث كانت اقتصاديات هذه الدوائر متكاملة ومرتبطة ببعضها البعض[1] .

وعلى هذا الأساس فإننا نجد التراع محتدما للسيطرة على المدن الساحلية والتي احتفظت بمكانتها الاقتصادية، مقارنة بالمدن الداخلية، حيث وفرت شواطئ المغرب موانئ كثيرة في سعتها لاستقبال الملاحة الدولية وقدرتها على حماية السفن من الرياح العكسية [2] المؤثرة على حركة السفن.

وبالحديث عن بني زيان فإن دولتهم هي الأخرى شهدت صراعا كبيرا على المدن ذات الأهمية الاقتصادية ،والتجارية خاصة، سواء من طرف جيرانها من بني حفص بحيث كانت بجاية والمدن التابعة له كقسنطينة وبونة والجزائر والزاب محل نزاع مستمر بين الحفصيين والزيانيين ، بحيث يخضع للغالب منهما وبالرغم من البعد الجغرافي لإقليم بجاية عن السلطة المركزية استطاعت الدولة الحفصية أن تكسب الولاء من حكامه في أغلب مراحلها التاريخية [3] .

ثم حملات بني مرين أيضا والتي كانت تهدف إلى التخريب وإخضاع القبائل لبسط النفوذ السياسي والإضرار بالحركة التجارية ، ضمن ذلك يدخل الحصار التاريخي لقاعدة بني زيان تلمسان في إطار الحرب الاقتصادية؛ بدليل إقامة مدينة تلمسان الجديدة [4] ، والتي أصبحت المركز الاقتصادي الجديد واستحوذت على التبادلات التجارية التي كانت تلمسان مقرا رها ، وفي ذلك قال التنسي : " ... استولى (أي يوسف بن يعقوب المريني) على جميع أعمال تلمسان و لم يبق له

1- فوزي سعد الله ، يهود الجزائر هؤلاء المجهولون ، شركة دار الأمة ، الجزائر، 1996 ، ص. 70.
2- عاشور بوشامة ، المرجع السابق ، ص. 319 .
3- ذكر ذلك عبد الرحمن بن خلدون " كانت بجاية ثغرا لإفريقية في دولة بني أبي حفص من الموحدين ولما صار أمرهم للسلطان أبي بكر بن يحي منهم ، وانتقل بملك إفريقية ولى في ثغر بجاية ابنه الأمير أبا زكريا ، وفي قسنطينة ابنه الأمير أبا عبد الله ، وكان بنو عبد الواد ملوك تلمسان والمغرب الأوسط ينازعونه في أعماله ، ويجهرون العساكر على بجاية ويجلبون على قسنطينة " ؛ ينظر: التعريف بابن خلدون ورحلته غربا وشرقا ، تح ، محمد بن تاويت الطنجي ، الطباعة الشعبية للجيش ،الجزائر، 2007 ، ص .94 .
4- والتي تعددت أسمائها من تلمسان الجديدة والمنصورة إلى البلد الجديد أو المحلة المنصورة ؛ ينظر : عبد العزيز لعرج ، المباني المرينية في إمارة تلمسان الزيانية ، دراسة أثرية ومعمارية وفنية ،(أطروحة دكتراه دولة في الآثار الإسلامية في معهد الآثار)، جامعة الجزائر ،1420هـ / 1999م ، ص. 114.

غيرها فبنى عليها مدينة مسورة شيد فيها القصور والحمامات والفنادق والأسوار وسماها تلمسان الجديدة " والتي أخذت الريادة الاقتصادية بدل تلمسان [1]

ومن جهتهم حرك ملوك تلمسان أيضا حملات عسكرية بتدخلهم في موانئ ذات أهمية اقتصادية حيوية : كبجاية، والمرسى الكبير، ومن جهة أخرى ورغم مراقبة بني مرين لعنق التجارة الصحراوية فإنهم كانوا يرون أنفسهم على المدى البعيد مبعدين عن بلاد الساحل ،وإن كانت هناك طريقة للتحكم في التجارة المغاربية؛ فإنها لن تكون عند بلاد المنبع (بلاد توات أو درعة) ،وإنما عند المنافذ المتوسطية لذلك كله أصبح الصراع بين الزيانيين ومحتما على المستوى الاقتصادي فالسيطرة على طرق القوافل بالنسبة لهذه الدول شكل العمود الفقري لسياستها الاقتصادية [2]

وتجدر الاشارة عند هذا المقام إلى ذلك الصراع على القواعد الصحراوية ولعل خير مثال على ذلك مدينة سجلماسة [3] لأهميتها التجارية، والتي صارت تتحول من دولة إلى أخرى فبعد الموحدين آلت إلى تلمسان، ثم المرينيين ، فالحفصيين ، فالمرينيين من جديد ،ثم إلى بني عبد الواد فالسيطرة على سجلماسة يعني السيطرة على أهم طريق من الطرق المؤدية إلى الذهب [4] .

ومن جهة ثانية، شكلت الحملات الأوربية المتكررة على شواطئ بلاد المغرب تهديدا كبيرا [5]،حيث هزت أمن واستقرار المغرب الأوسط باعتبار سقوط مدن ذات أهمية سياسية واقتصادية كبيرة، فحينما قلت موارد الدولة لانخفاض النشاط التجاري أطمع ذلك الضعف المسحيين خاصة

1- المصدر السابق ، ص. 130.
2- أبو عبد الله محمد بن مرزوق التلمساني ، المناقب المرزوقية ، تح : سلوى الزاهري ، مطبعة النجاح الجديدة ، الدار البيضاء 2008 ، ص. 36.
3- حيث احتل هذا الإقليم حدود بلاد المغرب الأقصى الجنوبية التي تطل على الصحراء الكبرى ، ومنها إلى بلاد السودان؛ينظر: مارمول كربخال ، المصدر السابق ، ج3 ، ص. 152 ؛ عطا علي محمد شحاته رية ، اليهود في بلاد المغرب الأقصى في عهد المرينيين والوطاسيين ، دار الكلمة ، دمشق ،1999 ، ص. 77 .
4- عبد العزيز لعرج ، المرجع السابق ، ص. 94 ؛ عمر سعيدان ، المرجع السابق ، ص. 22 ؛ محمد عيسى الحريري ، تاريخ المغرب الإسلامي والأندلس في العصر المريني (610هـ- 1213م / 869هـ – 1465م)، دار القلم للنشر والتوزيع ، الكويت ، ط2 1987 ، ص. 112.
5- من ذلك ما ذكره الرحالة عبد الباسط خليل وهو بوهران عن حالة الذعر التي انتشرت بين السكان سنة (870هـ / 1465م) عند سماعهم بمراكب الأفرنج ثم عند حديثه عن حالة خوف أخرى عند سكان بجاية بسبب الحملات الأوروبية ، ينظر : رحلة .... ص 61- 67 ؛ عبيد بوداود، المرجع السابق ، ص. 175.

الإسبان؛ فتمكنوا من الاستيلاء على المرسى الكبير سنة **911 ه/ 1505 م** ، وهران **915 ه / 1509 م** ، ثم سقوط بجاية في السنة التي تليها كخطوة أولية للسيطرة على المنافذ التي تؤدي إلى أعماق إفريقيا[1].

وفي الوقع كان استيلاء المسيحيين على المدن الساحلية المغربية يحدث اضطرابا وقطعا في الخطوط البحرية المغربية ، خصوصا الخط البحري الذي يمتد بمحاذاة الساحل فتصبح بعض الموانئ محلية ،إزاء حيلولة تلك القوى المسيحية دون اتصالها بباقي الموانئ المغربية وتحكمها فيها [2]

2- الهجرة الأندلسية ودورها في تطوير التقنيات الاقتصادية :

كانت بلاد المغرب باستمرار هدفا لهجرات خارجية ، وسيتم التركيز عند هذا المقام على هجرات الأندلسية على اعتبار دورهم الكبير في المجال الاقتصادي والذين استثمروا امكانياتهم الكبيرة وإبداعهم في ذلك المجال ووظفوا تقنياتهم التي توصلوا إليها ما ساعد على الرقي بصناعات عديدة بالمغرب الأوسط.

وقد جاءت تلك الهجرات من بلاد الأندلس [3] تبعا لأحوالها السياسة الداخلية والخارجية ومدى توفر الأمن في بلاد المغرب، وحسن الاستقبال فيها حيث شهد القرن السابع الهجري استيلاء المسيحيين على بلاد المسلمين في الأندلس، والكثير من مدنها فانطلقت هجرات كثيفة منها صوب بلاد المغرب ، حيث تركز الوجود الأندلسي في المدن الكبرى وقد استمر ذلك الفيض البشري حتى القرن الحادي عشر الهجري / السادس عشر ميلادي [4] .

1- محمود بوعياد ، المرجع السابق ، ص 21 ؛ عمار بن خروف ، العلاقات السياسية بين الجزائر والمغرب في القرن العاشر الهجري / السادس عشر ميلادي ، دار الأمل للطباعة والنشر والتوزيع ، الجزائر ، 2006 ، ج1 ، ص. 16.
2- عاشور بوشامة ، المرجع السابق ، ص. 327.
3- حول تلك الهجرة وأسبابها ؛ ينظر : أبو العباس أحمد بن أحمد الغبرني ، عنوان الدراية فيمن عرف من العلماء في المائة السابعة ببجاية ، تح : رابح بونار ، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع ، الجزائر ، 1981 ، ص. 97 .
4- عاشور بوشامة ، المرجع السابق ، ص. 300 .

وخلال العهد الموحدي ثم الزياني وخاصة خلال مراحل الازدهار، حيث تميزت مدن المغرب الأوسط بحركتها الاقتصادية ما شجع الأندلسيين على النزول أراضي المغرب الأوسط ، ومنها مثلا تلمسان والتي كانت تشبه كثيرا مدن الأندلس لكثرة مياهها وبساتينها وصناعها ؛فوجد فيها الأندلسيون تعويضا عما تركوه في مدن الأندلس، بحيث كان من بينهم عدد كبير من الفلاحين والصناع والحرفيين الذين انتشروا بأراضي المغرب الأوسط وشيدوا به قرى وبساتين ، كما أسسوا مصانع ومناجم كثيرة وعملوا في الحقول والمزارع.

كما أن للأندلسيين خبرة كبيرة في مجال المياه والسقي، فقد عاد ذلك بالنفع والفائدة على الفلاحة والصناعة [1] ، حيث كانت الاستفادة كبيرة من الخبرة الأندلسية في ذلك حيث قلدهم الناس في الكثير من أعمالهم وصناعتهم [2] لما اشتهروا به من براعة ، فلاشك إذن أن العديد من الأندلسيين المسلمين وكذا النصارى قد ساهموا في التطور الاقتصادي الملحوظ ،إلى جانب العناصر المحلية [3] ، والتي استغلت بدورها تلك الامكانيات إلى جانب ما لديهم في تطوير اقتصاد المنطقة.

المبحث الرابع : دور المؤثرات الداخلية والخارجية في اقتصاد المغرب الأوسط (مقارنة في درجة التأثير ما بين العهدين الموحدي والزياني)

عند المقارنة بين تلك العوامل المؤثرة في اقتصاد المغرب الأوسط فإننا يمكن التمييز بين عوامل ذات تأثير إيجابي، وأخرى ذات تأثير سلبي ومنها ذات تأثير مزدوج ، فالعوامل الطبيعية مثلا هيأت أحيانا ظروفا مناسبة للإنتاج وللنشاط الاقتصادي بصفة عامة ،وعلى العكس من ذلك عرفت المنطقة أزمات اقتصادية خطيرة بسبب ظواهر طبيعية أهلكت الحرث والنسل، ومن ذلك

1- عبد الحميد حاجيات : " تطور العلاقات بين تلمسان وغرناطة في العصر الوسيط " في مجلة : عصور الجديدة ، ع2 – 2011 كلية العلوم الإنسانية والحضارة الإسلامية ، جامعة وهران ، ص .38. 39 ؛ عبد القادر بوحسون ، العلاقات الثقافية بين المغرب الأوسط والأندلس خلال العهد الزياني (633- 962هـ / 1235- 1554م) ، (مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في تاريخ المغرب الإسلامي في قسم التاريخ) ، جامعة تلمسان ، 2007- 2008 ، ص. 100. 101 و 131.132.

2- أحمد المقري ، نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب ، تح : إحسان عباس ، دار صادر، بيروت ،1988 ، ج3 ، ص.151 ؛ عبد القادر بوحسون ، المرجع السابق ، ص .132.

3- عبد الحميد حاجيات ، " تطور العلاقات ... ، ص. 40.

أيضا كان الموقع والذي كان لدوره تأثيره ذو حدين، فمن الناحية الجغرافية شكل ملتقى للمسالك التجارية العالمية البرية منها والبحرية خاصة بإشرافه على الطرق المؤدية إلى أعماق إفريقيا مصدر الذهب والعبيد من أغلى ما تطلع إليه الأوروبيون خلال تلك المرحلة، وملوك بلاد المغرب.

وأما من الناحية السياسية فقد كان في الغالب تأثيره سلبيا لغلبة الصراع والتناحر بين القبائل القاطنة للمنطقة، والتي أفضت في النهاية لسقوط معظم الدويلات التي قامت بها وإن لم نقل كلها وعموما يمكن إجمال أبرز مظاهر ذلك التباين من خلال ما سبق ذكره في التالي :

شكلت الفلاحة والصناعة والتجارة قاعدة مكونات اقتصاد المغرب الأوسط خلال مرحلة الحكم الموحدي والزياني ، على أنها اختلفت في درجة التطور والتوسع تبعا لتلك المؤثرات الداخلية منها والخارجية بحيث أنها تفاوتت من حيث درجة التأثير ما بين مرحلة الحكم الموحدي ومرحلة حكم بني زيان تبعا لقوة اقتصاد كل دولة ،وبحسب طول مراحل الازدهار وفترات التراجع والتقهقر الاقتصادي كما سيأتي ذلك لاحقا.

هذا وتجدر الإشارة إلى أن الاقتصاد الزياني بصفة عامة ما هو إلا استمرارية لاقتصاد دولة الموحدين [1] ، ولكن مع بعض الاختلافات تبعا لتلك المؤثرات والظروف، ولذلك نجد ذلك التباين في شدة التأثير وبالحديث عن المؤثرات الداخلية فموقع المغرب الأوسط ظل على طول الفترات التاريخية المتعاقبة عليه يتمتع بأهمية اقتصادية كبيرة ،ولذلك ساهم مساهمة فعالة في ازدهار الاقتصاد عموما؛ لكن وبالانتقال إلى مرحلة حكم بني زيان فانه جعل هذه الأخيرة في وضع سياسي محرج على طول عمر هذه الدولة حيث توسطت دولتي : بني حفص في الشرق وبني مرين في الغرب واللتين كانت لهما أطماعهما التوسعية على حسابها ؛ما أدى في كثير من الأحيان إلى الصدام وإلى تدخلهما في شؤونها الداخلية وحتى احتلالها لمرات عديدة، على أن ذلك الصراع كان أعنف مع بني مرين للحصول على الزعامة السياسية من جهة ،ثم الرغبة في السيطرة على المدن

1- بوزياني الدراجي ، المرجع السابق ، ص. 205 .

ذات الأهمية الاقتصادية خاصة ما كان منها على الساحل لضمان الانفتاح المباشر على دول المتوسط في ضفته الشمالية ؛ ثم ضمان إحكام السيطرة على الطريق التجاري الرابط بين أسواق المدن الشمالية والجنوبية والموصلة إلى ذهب السودان ، وقد كان ذلك بعد إحكامهم السيطرة على مفتاح طريق الذهب " سجلماسة " ؛وعليه فالحروب لم تتوقف بينها طول عمر هذه الدولة لذلك تعطلت الحياة الاقتصادية في كثير من الأوقات تنضاف إلى ذلك الظاهرة القبلية حيث كانت القبائل تتحرك بالمنطقة بما يخدم مصالحها وكانت لها أدوار كبيرة في الحفاظ على استقرار دويلات المنطقة ، وبالنسبة لكلتا الدولتين فقد تأثرتا بتلك الظاهرة، وكانت السبب في قيامها وفي سقوطهما ولكن بدرجة متفاوتة ويرى أحد المؤرخين أن أساس قيام دولة الموحدين هو تلك الحركة الدينية والمذهبية تحديدا؛ ولكن الدولة العبدوادية اعتمدت في وجودها على قبيلة بني عبد الواد بالدرجة الأولى وبعض القبائل البربرية والعربية والتي اقطعتها مساحات واسعة من الأراضي في المغرب الأوسط مقابل ولائها ،والحفاظ على أمنها،وسلامتها ووجودها وردع أعدائها وتأديب الخارجين من طاعتها ،ولذلك أثرت البنية القبلية سواء في القيام أو في استقرار الأوضاع [1] .

كما أفرز مناخ هذه الرقعة الجغرافية العديد من الظواهر الطبيعية تسببت في كثير من الأحيان في حدوث الأمراض والأوبئة وكان مآ لها إلى حدوث أزمان اقتصادية زادت من تردي الأوضاع الاقتصادية.

ولذلك يمكن القول بأن دولة بني زيان كانت مسرحا لأحداث عنف وصراعات داخلية وتهديدات خارجية ذات تأثير أكثر منها خلال مرحلة حكم الموحدين ،والذين كانوا خلال مراحل ازدهار دولتهم أقوى بكثير من بني زيان.

وبالحديث عن التحول العمراني الحاصل فإنه قد ساهم في بروز الأهمية الاقتصادية لمجموعة من المدن على حساب الأخرى ،والذي برز بشكل جلي خلال المرحلة الانتقالية من عهد

1- عبد الرحمن بن خلدون ، المقدمة ، ص. 144. 145 ؛ بوزياني الدراجي ، العصبة ... ، ص. 101 ؛ خالد بلعربي ، المرجع السابق ، ص .83 .

الموحدين إلى مرحلة الحكم الزياني؛ فبرزت تلمسان كأهم مدن المغرب الأوسط سياسيا واقتصاديا[1] .

ولكن خلال مرحلة الحكم الزياني شهدت تحولا عمرانيا من نوع آخر بسبب التدهور الديمغرافي الذي شهدته هذه البلاد خلال القرن **الثامن الهجري / الرابع عشر الميلادي** ، ما أدى إلى تقلص العمران ما أفضى بطبيعة الحال إلى تراجع الأهمية الاقتصادية ،فذلك التحول العمراني كان من العوامل المباشرة في الازدهار الاقتصادي أو العكس .

وبالانتقال إلى الحديث عن المؤثرات الخارجية فإن المغرب الأوسط لم يسلم من تلك التهديدات التي ظلت تهدد استقرار مدنه ،على أن بني زيان كانوا أكثر تضررا منها فقوة الموحدين خلال مراحل الازدهار ويفضل أسطولهم القوي، مكنهم من صد الأطماع الخارجية ، وحماية خطوط التجارة البحرية وسواحل بلادهم، تلك السواحل التي سقطت في النهاية تحت ضربات الإسبان بعد غزواتهم المتكررة لها للسيطرة على أهم المراكز التجارية فيه وكان ذلك خلال مرحلة الضعف والانحلال الذي لحق دولة بني زيان سياسيا واقتصاديا.

وقد برز تأثير الهجرة الخارجية خاصة الأندلسية في المجتمع الزياني أكثر منه خلال مرحلة الحكم الموحدي حيث بلغت تلك الهجرة ذروتها إلى بلاد المغرب،فكانت الاستفادة كبيرة من التنظيمات الزراعية والصناعية وذات تأثير أيضا في تطوير التقنيات المستخدمة اقتصاديا بصفة عامة.

1- عاشور بوشامة ، المرجع السابق ، ص. 146 ؛ مريم سكاكو، مكانة علماء تلمسان في المجالس العلمية السلطانية المرينية بفاس ما بين القرنيين الثامن والتاسع الهجريين (14- 15م) ، (مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في تاريخ المغرب الإسلامي في قسم التاريخ وعلم الآثار)، جامعة تلمسان ، 2011 . 2012 ، ص. 7 .

الفصل الثاني : مظاهر التحولات الاقتصادية

(مراحل الازدهار ومظاهر تراجع الدور الاقتصادي)

المبحث الأول : مراحل الازدهار الاقتصادي

1- العوامل والمقومات .
2- مظاهر الازدهار الزراعي والصناعي : التحول إلى الاقتصاد المتعدد.
3- الانفتاح التجاري :

3-1- السيطرة على المنافذ الساحلية والطرق البرية.

3-2- تحول الطرق التجارية : الدور في الانفتاح الاقتصادي.

المبحث الثاني : مظاهر تراجع الدور الاقتصادي

1- الأزمات الاقتصادية.
2- أزمة التجارة الصحراوية : إنحراف طرق تجارة الذهب.

المبحث الثالث : التكامل الاقتصادي والأساس التجاري في اقتصاد المغرب الأوسط : الدور في التراجع الاقتصادي.

المبحث الرابع : مقارنة مظاهر التحولات الاقتصادية خلال العهدين الموحدي والزياني.

تمهيد :

تناوبت على بلاد المغرب الأوسط خلال العهدين الموحدي ثم الزياني مراحل اقتصادية عرفت الازدهار أحيانا ، والتراجع والضعف أحيانا أخرى ؛أفرزت في النهاية تلك التحولات في اقتصاد المنطقة زراعيا وصناعيا وتجاريا ، ولا يمكن معرفة مظاهر تلك التحولات إلا من خلال تتبع تلك المراحل على طول فترة الدراسة.

المبحث الأول : مراحل الازدهار الاقتصادي

1- العوامل والمقومات :

كان لابد من توفر مجموعة من العوامل والمقومات كفيلة بازدهار الحياة الاقتصادية ومن أهمها:

الدور الذي قام به خلفاء الموحدين وسلاطين بني زيان في تشجيع وتطوير الشق الاقتصادي، والعمل على إشاعة الأمن بعموم البلاد ، وكان منه أيضا توفير الأمن حتى داخل المجالات الاقتصادية الحيوية من أهمها الأسواق ، وخلال مراحل الرخاء [1] التي عاشتها الدولة الموحدية، وبفضل التفوق على الأعداء في الخارج والثائرين في الداخل ،مكنهم ذلك من فرض الأمن والاستقرار حيث تبين خلفاؤهم الارتباط الوثيق بين حالة الأمن والوضع الاقتصادي [2] .

1- مع مطلع القرن السابع هجري / الثالث عشر ميلادي ، دخلت الدولة في دور الانحلال وحدد تاريخ وفاة يوسف المنتصر أو المستنصر خامس خلفاء الموحدين (620هـ / 1223م) "آخر ضخامة" الدولة الموحدية لما أعقبها من نزاع على الخلافة بين أفراد الأسرة المؤمنية ، وبموته انتهى عهد الاستقرار وابتدأ عهد التفكك وبدأت الدولة تسير باطراد نحو السقوط ، ويرى عز الدين موسى أن نقطة بداية الانحدار كانت أواخر فترة الناصر رابع خلفاء الموحدين والذي فشل في إدارة الدولة المترامية الأطراف يوم عين واليا على إفريقية ، بسلطات استثنائية ؛ ينظر : المراكشي ، المعجب ... ، ص. 411.415 ؛ مؤلف مجهول ، الحلل الموشية ... ، ص. 162 ؛ عز الدين عمر موسى ، الموحدون في الغرب ... ، ص 55 ؛ مراجع عقيلة الغناي ، سقوط ... ، ص .245 .

2- عز الدين عمر موسى ، الموحدون في الغرب الإسلامي .... ، ص. 51 .

فنجد أن عبد المؤمن بن علي ألغى جميع المغارم والقبالات والمكوس [1] ، والتي كان قد فرضها قبلهم المرابطون [2] ، لما لذلك من دور كبير في حفظ الأمن ومنع جر سخط وغضب العامة على السلطة الحاكمة منعا للفتن.

وقد ذكر ذلك ابن القطان بقوله : " وقد ذكر لنا في أمر المغارم والمكوس والقبالات وتحجير المراسي وغير ما رأينا أنه أعظم الكبائر جرما وإفكا " [3] ، كما تشدد عبد المؤمن بن علي في أمر قطاع الطرق ، حيث ذكر أنه قبل حفاظ محلة قرب بجاية سرقت فيها أمتعة أجد تجار المهدية [4] .

وقد سار خلفاء عبد المؤمن بن علي على هذه السياسة ليس كلهم وإنما خلفاء عصر الازدهار، والذين كان منهم يوسف والمنصور، ذكر ابن صاحب الصلاة ذلك عند حديثه عن نبي يعقوب يوسف والذي ذكر أنه " ... كان كاملا فاضلا عادلا ... نظم بنور الله تعالى فأصلح العدوة وأمنها ... ونال الناس معه في إمارته وبعد ذلك في خلافة من جميع الطبقات من الكتاب والعمال ... والرعية بصلاح أحوالهم ونماء أموالهم ما لم يعقد مثلها في زمان ... " [5] ؛ وكنتيجة لذلك اتسعت الزراعة،وراجت التجارة،ونهضت الصنائع،وكثرت المجابي،وفي إشارةلذلك، "أصبح المرء لا يخاف إلا الله أو الذئب " [6] ، وبلغت الدولة في ازدهارها الاقتصادي حالة لم يعرف أهل المغرب مثلها [7] .

1- المكوس : وهي ضرائب إضافيية نشأت عن حاجات وظروف جديدة اضطرت الدولة إلى فرضها وهي تفرض في العادة على التجار وأصحاب الصناعات التقليدية ، وتبقى المكوس أيضا المال الهلالي لأنها تجبي مع هلال كل شهر عربي ، بعكس المال الخراجي الذي يجي كل سنة ، وقد كان فقهاء المسلمين لا ينظرون إليها بعين الرضا لأنها ضرائب غير شرعية استمت بالكثرة والتنوع وعدم الثبات على حال دائمة ، ينظر : أبو العباس أحمد القلقشدي ، صبح الأعشى في صناعة الأنشا ، دار الكتب الخيديوية القاهرة 1332هـ / 1914 م ، ج3 ، ص. 468 وما بعدها ؛ يوزياني الدراجي ، نظم الحكم ... ، ص. 220 ؛ نواف عبد العزيز الجحمة ، رحالة الغرب الإسلامي وصورة المشرق العربي من القرن 6 إلى ق 8هـ (12- 14م) ، دار السويدي ، الأهلية للنشر والتوزيع ، الإمارات ، بيروت ،2003 ، ص .251.

2- سامية مصطفى مسعد ، المرجع السابق ، ص. 86..

3- المصدر السابق ، ص. 193. 194 .

4- سامية مصطفى مسعد ، المرجع السابق ، ص .86 .

5- عبد الملك بن صاحب الصلاة ، المن بالإمامة – تاريخ بلاد المغرب والأندلس في عهد الموحدين ، تح : عبد الهادي التازي، دار الغرب الإسلامي ، بيروت ، ط3 ، 1987 ، ص. 165.168 .

6- ابن صاحب الصلاة ، المصدر نفسه ، ص. 139

7- عز الدين عمر موسى ، الموحدون في الغرب ... ، ص. 52..

ولعل خير مثال على الدور الكبير في محاولة من الموحدين لإشاعة الأمن هو عملهم على إنشاء أسطول قوي قادر على التحكم في الأوضاع الأمنية من جهة ،وحماية خطوط التجارة البحرية ، " فلما استفحلت دولة الموحدين في المائة السادسة وملكوا العدوتين أقاموا خطة هذا الأسطول على أتم ما عرف وأعظم ما عهد " [1] ، وإلى جانب أنشاء الأساطيل البحرية التي خدمت التجارة الملاحية وجه الموحدون أيضا اهتمامهم إلى تنشيط التجارة الداخلية والخارجية وذلك بتشجيع التجار على المجيء إلى البلاد [2] .

هذا وكان بعض الخلفاء يقومون بتنشيط حركة التجارة بمناسبة تولي الخلافة أو تجديد البيعة مثلما فعل الخليفة يوسف بن عبد المؤمن سنة **569ه / 1163م** [3] ،ومن ذلك أيضا كان الاهتمام كبيرا بإنشاء المرافق ذات الأهمية الاقتصادية ومنها أماكن إقامة التجار من خلال إنشاء الفنادق [4] والتي كانت موجودة سواء خلال مرحلة الحكم الموحدي أو الزياني فيما بعد.

كما اهتم خلفاء الموحدين بالصناع وأمناء الأسواق فأبو يوسف يعقوب بن يوسف بن عبد المؤمن " كان قد أمر أن يدخل عليه أمناء الأسواق وأشياخ الحضر في كل شهر مرتين يسألهم عن أسواقهم وأسعارهم وحكامهم " [5] ، وتوفير الأمن داخل الأسواق كان من أولى أولويات الدولة من خلال إصلاح الأسواق وتعيين الأمناء والمحتسبين [6] عليها ، ثم توفير الحماية والأمن فيها

1- عبد الرحمن بنخلدون ، المقدمة ، ص. 261 .

2- سامية مصطفى مسعد ، المرجع السابق ، ص. 85 ؛ وقد أكد ذلك عبد المؤمن بن علي وولاته من خلال حماية التجار وتأمين طرق التجارة ، حيث تكررت المراسلات سنتي 596 و 597هـ / 1199- 1200م من طرف والي تونس السيد أبي زيد بن عبد المؤمن أو كبار المسؤولين إلى حكومة بيزة لتحريض تجارها على الوفود إلى إفريقية وتأكيد التأمين لهم ؛ ينظر : مؤلف مجهول رسائل موحدية ، مجموعة جديدة ، تع : أحمد عزاوي منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية ، المغرب، 2001 ، ص .91 ، ج1 ص. 178.

3- ابن صاحب الصلاة ، المصدر اليابق ، ص 258 ؛ سامية مصطفة مسعد ، المرجع السابق ، ص. 86 .

4- الفنادق : كانت عبارة عن مبنى أو مجموعة مبان منظمة حولها ممر رئيسي توجد به مجموعة ملحقات من المرافق الضرورية التي تخدم النزلاء مثل المتاجر الكبرى والدكاكين الصغرى ... ، ولتتزايد النشاط التجاري وكثرة التجار الأجانب كثر بناء الفنادق داخل الأسواق التجارية ، وفنادق بلاد المغرب لم تختلف عن باقي المدن الإسلامية ، ويرى بعض الباحثين أن دور الفنادق لم يقتصر على الإيواء فحسب بل كانت تخصص لخزن المواد النفيسة والمواد المخصصة للتصدير والاستيراد ؛ ينظر : إبراهيم القادري بوتشيش ، المرجع السابق ، ص .101 ؛ سامية مصطفى مسعد ، المرجع السابق ، ص 152 ، 153 ؛جمال أحمد طه ، دراسات في التاريخ الاقتصادي والاجتماعي للغرب الإسلامي ، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر ، مصر، 2008 ، ص. 30 .

5- عبد الواحد المراكشي ، المعجب ... ، ص .362.

6- المحتسب : حيث اتخذت حكومة الموحدين ثم الزيانيين بعدها نظاما دقيقا للإشراف على الأسواق والتجار وكان هذا النظام يتشكل في المحتسب فعرفت إدارة الأسواق باسم الحسبة وقد عرف المحتسب في بلاد الأندلس والمغرب باسم صاحب السوق وصاحب الحسبة ، وقد لعبت الحسبة دورا عظيما بجانب وظيفتي القضاء والمظالم في إقرار العدل بين الناس فهي " من الوظائف=

وذلك بتشديد وتوفير الرقابة اللازمة خاصة بعد انتشار ظاهرة غش العملة وخاصة في عصر الموحدين، بحيث لا يكون الغش بتقليد العملة فقط بل عادة ما يكون بإضافة معادن رخيصة إلى فضتها وقد امتد هذا الغش فشمل نصارى إسبانيا فكانوا يزرون العملة الموحدية أيضا [1] .

وعلى العهد الزياني حرص سلاطين بني زيان من جهتهم على إشاعة الأمن وتعميم الرخاء بالرغم من ما شهدته هذه المرحلة من ضغوطات وأوضاع أمنية متردية ،تكررت فيها تدخلات بني حفص وحملات بني مرين وتمرد القبائل المختلفة ، فشهدت فيها هذه المرحلة أيضا فترات من التراجع والانحدار الاقتصادي تخللتها مراحل ازدهار وبناء اقتصادي [2] .

وعلى عهد يغمراسن بن زياد مثلا شهدت تلمسان قاعدة المغرب الأوسط خلال هذه المرحلة والمدن التابعة لها رواجا اقتصاديا كبيرا، ويرجع ذلك بالدرجة الأولى إلى الأمن الذي ساد

=الإسلامية من باب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ؛ ينظر : (أبو الحسن علي بن محمد حبيب) الماوردي ، كتاب الأحكام السلطانية والولايات الدينية ، تع : أحمد مبارك البغدادي ، دار ابن قتيبة ، الكويت ،1989 ، ص. 315 وما بعدها ؛ عبد الرحمن بن خلدون ، المقدمة ، ص. 233 ؛ أبو عبد الله بن سعيد العقابي ، كتاب تحفة الناظر وغنية الذاكر في حفظ الشعائر وتغيير المناكر ، تح: علي الشنوفي ، المطبعة الكاثوليكية ، لبنان 1967 ، ص 165 وما بعدها ؛ ولمزيد من التفصيل حول نشأة نظام الحسبة وتطوره تاريخيا بداية من عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ؛ ينظر : موسى لقبال الحسبة المذهبية في بلاد المغرب العربي – نشأتها وتطورها ، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1971 ، ص 21 وما بعدها ؛ محمد المبارد نظام الإسلامي – الاقتصاد (مبادئ وقواعد عامة) ، دار الفكر ، بيروت، 1972 ، ص. 66. 67 ؛ ج.ف.ب هو بكنز، النظم الإسلامية في المغرب في القرون الوسطى ، تر: أمين توفيق الطيبي ، الدار العربية للكتاب ، تونس 1980، ، ص .227.

1- إبراهيم القادري بوتشيش ، المرجع السابق ، ص 100 ؛ سامية مصطفى مسعد ، المرجع السابق ، ص. 194 .

2- شهدت هذه المرحلة من تاريخ المغرب الأوسط فترات رخاء والعكس فكان على عهد يغمراسن بصفة عامة (633هـ / 1236م) الازدهار والقوة ، وفيه كانت أول حملة سيرها السلطان الحفصي أبو زكريا إلى تلمسان والتي كانت أواخر سنة (639 وأوائل 640هـ / 1242- 1241) حوصرت المدينة وكان فيها القتل والنهب والتخريب وفيها كانت بداية الدعوة للحفصيين ، ثم الصراع مع القبائل البربرية والعربية المعادية وفتح الباب طول عمر هذه الدولة للصراع مع الجارتين الحفصية والمرينية ، وما كان له من انعكاسات وخيمة على جميع مظاهر الحياة الاقتصادية فكان الصراع مع بني حفص قائما وعلى بعض الأقاليم والمدن ، منه على بجاية أو لفرض الشرعية كحملات : 827هـ /1432م ، 832هـ/ 1428 ، 835هـ / 1431م ، 866هـ / 1461م ، 870هـ / 1465 م ، كانت تلمسان لم يقتصر ذلك على الصراع والحروب بل حصار المدن الطويل ما أدى إلى تأدي السكان في الحواضر والبوادي بنهب المزروعات وحرقها وإتلاف الآبار وعيون المياه وتعطيل الإنتاج ، مثلما كان ذلك مع بني مرين ، فنجد حصار يوسف بن يعقوب بن عبد الحق المريني حاصر تلمسان سنة 689ه / 1290م ، دام الحصار 16 يوما ثم سنة 697ه ، وبعدها ثلاثة أشهر أفرج عنها ثم حصار سنة 698هـ/ 1298م ثن خلاله بناء المنصورة لطول فترة الحصار ، ثم وفاة عثمان بن يغمراسن خلفه أبو زيان محمد الأول (703- 707هـ / 1304- 1308م) كان هذا الحصار طويلا أثر على الحياة الاجتماعية والاقتصادية دام 8 سنين و3 أشهر وأياما ليأتي أبو حمو موسى (1) (707- 718هـ / 1308- 1318م) تميزت مرحلة حكمه بالازدهار وإعادة البناء ثم أبو تاشفين بن أبي حمو (1) (718- 737هـ / 1318- 1336م) تميزت أيضا فترة حكمه بالبناء والتعمير ، ليكون احتلال تلمسان من طرف أبي الحسن المريني والذي دخلها سنة 737هـ / 1339م ثم اختفاء المدينة وإحياؤها فيما بعد من سنة 737ه / 1336م / 749هـ- 1348م بعدها كان الاحتلال المريني (2) (753- 760هـ / 1352- 1359م) وإلى سنة 760ه / 1359 كان الصراع المريني الزياني من جديد وتحالف أبو تاشفين من بني مرين دون إغفال دور بني حفص في زعزعة أمن واستقرار الدولة ، على أن ذلك الصراع كان أشد مع بني مرين لتدخل الدولة فيما بعد طور الانحلال والانهيار (791- 962هـ / 1388- 1554م) ثم السقوط في النهاية وما صاحب ذلك من تراجع اقتصادي ؛ ينظر : عبد الرحمن بن خلدون ، تاريخ ... ، ص. 111،106 ، 120،135، 139، 146، 161 ؛ عبد الحميد حاجيات وآخرون ، كتاب مرجعي ... ، ص 185 وما بعدها ؛ لخضر عبدلي ، المرجع السابق ، ص. ؛رشيد بوروبية وآخرون ، الجزائر في التاريخ ... ، ص .381 وما بعدها .

المدينة وضواحيها ، حيث حارب عناصر الفساد والفوضى وأرغم خصومه على الطاعة والخضوع بحيث " ... ظهرت به أبهة الخلافة في بيته ... ونازعه بنو مطهر وبنو راشد ، فأظهر الله على الجميع" [1] تعبيرا على إحكامه السيطرة وقدرته على تعميم الأمن بالمناطق التي يحكمها.

ويمكن إدراك مكانة وأهمية ذلك من خلال ما ذكره أبو حمو موسى (2) حين قال : " لو لا الشناعة لم أزل في بلادي تاجرا من غير تجار الصحراء الذين يذهبون بخبث السلع ويأتون بالتبر الذي كل أمر الدنيا له تبع ومن سواهم يحمل منها الذهب ويأتي إليها بما يضمحل عن قريب ويذهب" [2] ،وأيضا يتجلى حرص السلاطين على تقوية البنية الاقتصادية من خلال ما أقاموه من هياكل دعمت اقتصاد المغرب الأوسط وزادت من قوته ، حيث تدخلت الدولة الموحدية لبناء الحوانيت والدكاكين وكرائها للتجار ، حيث كان عمال الدولة يتكلفون بالإشراف على الكراء ويثبتون المبلغ في عقود خاصة يحتفظون بنسخ منها ، وقد بلغت قيمة كراء حانوت في سوق العطارين بتلمسان مثلا عند بداية القرن التاسع الهجري ستين دينارا [3] .

ولتقوية التجارة أهتم الموحدون اهتماما عظيما بالأساطيل، فقد وجه عبد المؤمن علي عناية نحو إنشاء وتعمير المراسي ودور الصناعة المنتشرة على طول السواحل المغربية والأندلسية [4] ، ومن جهتهم قام سلاطين بني زيان بتشجيع الاقتصاد فمثلا قام السلطان أبو حمو موسى (1) بتأسيس سوق القيصارية [5] فوق ساحة كبيرة بوسط مدينة تلمسان ، بالقرب من المشور وبجوار مسجد سيدي إبراهيم المصمودي ، حيث كانت العدة الاقتصادية بها نشيطة ومتطورة بفضل المخازن

1- محمد بن عبد الله التنسي ، المصدر السابق ، ص 115. ؛ محمد بن عمرو الطمار ، تلمسان عبد العصور ، دورها في سياسة وحضارة الجزائر ، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر ،1984 ، ص. 91 .

2- المقري ، المصدر السابق ، ج5 ، ص .206 ؛ جورج مارسي ، المرجع السابق ، ص. 101 .

3- إبراهيم القادري بوتشيش ، المرجع السابق ، ص. 102 .

4- سامية مصطفى مسعد ، المرجع السابق ، ص. 83

5- القيصارية : تعني سوق السلطان أو القيصر وهي اسم قديم من قيصر أكبر ملوك عصره بأوربا وجيمع ساحل موريتانيا كان خاضعا أولا للرومان ثم للقوط وكل واحدة من هذه المدن كانت تحتوي على سوق يحمل هذا الاسم حيث كان للموظفين الرومان القوط فنادق ومخازن مبعثرة في المدينة يخزنون فيها كل ما يجنونه من المدينة من ضريبة وأتاوات وغالبا ما كان السكان ينهبون هذه المستودعات لذلك فكر أحد الأباطرة في إحداث شبه مدينة صغيرة داخل كل مدينة يجتمع فيها التجار المتميزون إلى جانب بضائهم ويخزن فيها الموظفون المكلفون بالضرائب كل ما حصلوا عليه ويمكن اعتبار سوق القيصارية حي تجاري كبير يتكون من مجموعة من البنايات بها دكاكين ومحلات تجارية ،وورشات صناعية ،ومخازن في بعض الأحيان من كل فوق الحوانيت وبها فنادق يؤمها التجار الأجانب ، وذاك الحال قيصاريات أو قساريات الموحدين وبني زيان ؛ ينظر : محمد الوزان الفاسي ، المصدر السابق ، ج1 ص 242 ؛عبد العزيز فيلالي ، المرجع السابق ، ج1 ، ص. 135 .

والمصانع والأسواق الدائمة والأسبوعية والموسمية القائمة بالمدينة وخارجها وتوفرت على المحلات التجارية، والتي كانت تؤجر من الخواص وأصحاب العمارات والمنازل ومن الأوقاف ومن العمال والولاة وكذا توفر الأفران المتعلقة بطهي الخزف والفخار والقرميد خارج أسوار المدينة ،ومعاصر الزيتون والتي تتجمع حول الأبواب وخاصة في الجنوب الشرقي من المدينة [1] .

تنضاف إلى ذلك العناية بإقامة الطرق والمرافق الملحقة بها منها ، المحارس ، والمحطات لتسهيل عملية التنقل ونقل السلع وتأمين الطرق [2] ، وإضافة إلى العدة الاقتصادية يمكن القول أن اعتماد معايير صارمة في المبادلات التجارية ساهم وشجع هذه الأخيرة الداخلية منها والخارجية ، فتشددت الدولة الموحدية في مراقبة الأسواق والحفاظ على نظامها ونظافتها ، وبالقيصاريات أين كانت تقام بورصة حقيقية للأقمشة كانت المعاملات مراقبة بصرامة ففي حالة منازعة حول القياس بالمتر كان بالإمكان الرجوع إلى معيار في متناول الجميع [3] سواء خلال مرحلة الحكم الموحدي أو الزياني.

ولعل ما ساعد ذلك هو نزاهة التجار اشتهرت بها حاضرة بني زيان حيث كانت عمليات الغش نادرة وحرصوا على حسن سمعة مدنتهم ، بحيث أنهم كانوا أناسا منصفين ومخلصين جدا وأمناء في تجارتهم و " يحرصون على أن تكون مدينتهم مزودة بالمؤن على أحسن وجه " [4] .

ونسجل أنه حتى في أيام الحصار عمل سلاطين بني مرين على إقامة المنشآت ذات الأهمية الاقتصادية حيث ذكر أن السلطان أبا الحسن " عمل في تلمسان في منشر الجلد وسويقة إسماعيل

1- عبد العزيز فيلالي ، المرجع السابق ، ص. 134. 135 ؛ محمد بن رمضان شاوش ، المرجع السابق ؛ ص 323 وما بعدها .
2- عاشور بوشامة ، المرجع السابق ، ص. 327 .
3- إبراهيم القادري بوتشيش ، المرجع السابق ، ص 102 ؛وبالحديث عن المعيار المستخدم لذلك فقد ذكر المعيار الذي وضع بأمر من السلطان أبي تاشفين الأول في شهر فيفري 1328م الموافق لربيع (2) 728هـ ، بحيث يحتفظ متحف مدينة تلمسان بهذا المعيار والذي يثبت أن الذراع الشرعي يقيس بالضبط بسبعة وأربعين سنتمترا ، وكان المعيار مدمجا في أحد أسوار القيصرية هذا وتجدر الإشارة إلى وجود أربعة أذرع ملكية : ذراع غرناطة استخدمه فقهاء المالكية آنذاك ذراعان استخدمهما بنو مرين بفاس في عهد أبو عنان فارس وقد فقدتا سنة 1917م في ظروف غامضة والمتبقي بمدينة تلمسان ، ينظر جورج مارسي ، المرجع الاسبق ، ص 101 شرقي رزقي ، " المتحف الأثري بمدينة تلمسان .. مسيرة حافلة وآفاق واعدة " محاضرة ألقيت خلال يوم دراسي حول اليوم العالمي للمتاحف تحت شعار : المؤسسة المتحفية بالجزائر من تنظيم المتحف العمومي الوطني للفن والتاريخ بالتنسيق مع متحف سطيف تلمسان يوم 18 ماي 2013 .
4- الوزان الفاسي ، المصدر السابق ، ج2 ، ص. 21 .

وغيرها ... في مواضع لم يعد فيها جري الماء والانتفاع به " و " أما القناطر فلا يخفى ما فيها فقد عمل فيها الأعمال العجيبة ... " [1] .

دون إغفال أهمية النظرة الإسلامية للعمل حيث حض المولى عز وجل الناس على ممارسة الصناعة ونختلف المهن ، ومن خلال الحصن على العمل من ذلك قوله تعالى : " وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون وستردون إلى عالم الغيب والشهادة فينبئكم بما كنتم تعملون" [2] .

تنضاف إلى تلك المقومات ،استراتيجية موقع بلاد المغرب الأوسط ودوره في الرواج التجاري ومن العوامل التي ساهمت في تطوير العلاقات التجارية مع البلدان الأوربية ، هو ذلك الاختلاف في المحاصيل والمنتجات الزراعية بسبب اختلاف المناخ، مع اختلاف المستوى الصناعي بين العالم الإسلامي والمسيحي ، إذ كانت بعض المناطق أوربا تشهد تقدما اقتصاديا منذ مطلع القرن الحادي عشر ميلادي / الخامس الهجري ، مع اهتمام ملوك الدول الأوربية بالتجارة مع بلدان المغرب الأوسط لما كانت تدره عليهم من أرباح [3] ، دون إغفال جودة بعض الصناعات التقليدية المنتشرة بالمغرب الأوسط من ذلك مثلا المنسوجات الصوفية لمدينة تلمسان.

1- محمد مرزوق التلمساني ، المسند الصحيح في مأثر ومحاسن مولانا أبي الحسن ، تح : ماريا خسيوس بيغيرا ، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع ، الجزائر ،1981 ، ص. 417. 418 .

2- سورة التوبة ، الآية 105 .

3- يرى أحدهم أن أحد أسباب الرئيسية في انتقال وتوسيع المسلمين هو سهولة تطبيق الشريعة الإسلامية الاقتصادية على عمليات التبادل التجاري وفقا للشرائع التي وضعها الفقهاء المسلمون والذين كانوا الكثيرون منهم يعملون في التجارة فقد قدم هؤلاء مجموعة قوية من التسهيلات المتعلقة بالشراكة والتسليف والتوكيل التي مدت تجار القرون الوسطى بكل ما يلزم لتفعيل التبادل التجاري ؛ ينظر : جين هيك ،الجذور العربية للرأسمالية الأوروبية ، تر : محمود حداد، الدار العربية للعلوم ، ط6 ، 2007 ، ص. 14، إدريس بن مصطفى العلاقات السياسية والاقتصادية للمغرب الأوسط مع إيطاليا وشبه الجزيرة الأيبيرية في عهد الدولة الزيانية ، (مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ في قسم التاريخ ، جامعة تلمسان 2006- 2007 ، ص. 87 وما بعدها .

2-مظاهر الازدهار الصناعي والزراعي: التحول إلى الاقتصاد المتعدد

ليس ذلك التطور الذي عرفه المغرب الأوسط خلال الحكم الموحدي زراعيا وصناعيا ،وخلال مراحل الازدهار من عمر هذه الدولة ،إلا تعبيرا صادقا على مدى حرص الموحدين على الرقي بالاقتصاد والتنافس مع باقي الأمم بما يخدم صالح الأمة الإسلامية ، لذلك تطورت الصناعات التقنية والهندسية في ذلك العصر فكان من مظاهر التطور الصناعي العمل على صنع آلات " عجيبة " بمفهوم ذلك العصر بتقنيات لم تكن منتشرة أو معروفة.

مما جاء في ذلك أن عبد المؤمن بن علي صنع مقصورة من الخشب لها ستة أضلاع وتتحرك بصورة آلية ترتفع عند خروج عبد المؤمن وتنسدل عند دخوله ، وكانت البسط ترفع عن موضع المقصورة فترتفع الأضلاع في نفس الوقت، وإذا كان باب بيت المنبر مقفلا فإذا قام الخطيب انفتح الباب وخرج المنبر وحده ، وقد كانت هذه المقصورة موجودة أيام المنصور [1] ، وقد وصف هذه المقصورة الكاتب أبو بكر ابن مجبر يحي الفهري :

طورا تكون بمن حوته محيطه فكأنها سور من الأسوار
وتكون طورا عنهم مخبوءة وكأنها سر من الأسرار
فإذا أحست بالأمير يزورها في قومه قامت إلى الزوار
يبدو فتبدو ثم تخفى بعده فتكون كالهالات للأقمار [2] .

ومن شغف الموحدين بالاختراعات الميكانيكية ما اخترعه لهم أحد المهندسين في عهد يوسف، وهو قوس بعيدة المدى تحمل على أحد عشر بغلا ، كما وضع أحد المهندسين لتاجر

1- مؤلف مجهول ، الحلل الموشية ... ، ص 144 . 145 ؛ الحسن السائح ، المرجع السابق ، ص. 243 .
2- مؤلف مجهول ، المصدر نفسه ، ص. 145 .

جنوي شجرة مموهة بالذهب عليها أطيار تصوت بحركة هندسية وأهداها إلى السلطان يوسف كما صنعت في عهده ثريا كبرى من النحاس تزن **32** قنطارا وبها **512** مصباحا [1] .

كما تجلت النهضة الصناعية في عهد الموحدين من خلال استغلال المعادن وصناعة السفن التي انتشرت دورها في السواحل ،حيث عظم الأسطول

في المغرب على عهد الموحدين والذي استنجد به صلاح الدين الأيوبي ليرد عدوان الصليبيين[2] وأيضا كان الاهتمام بإنتاج الأسلحة والمصنوعات الزراعية [3] .

ومن أمثلة ذلك مدينة بجاية التي راجت بها الصناعات المعدنية وأيضا عرفت فيها الصناعة التجميلية بإنتاج زيت الزيتون البالغ الجودة، والذي يستخلص منه أنواع من الزيوت منها ما يستخدم في الطهي ومنها ما كان يصنع منه الصابون [4] .

وقد عرف العهد الزياني اختراعات على هذا المنوال فالسلطان عبد الرحمن أبو تاشفين " كانت عنده شجرة من فضة على أغصانها جميع أصناف الطيور الناطقة ،وأعلاها صقر فإذا استعمل المنفاخ في أصل الشجرة وبلغ الريح مواضع الطيور صوت بمنطقها المعلوم لمشابهها فإذا وصل الريح موضع الصقر صوت فانقطع صوت تلك الطيور كلها " [5] .

ومما جاء الحديث عنه ساعة المنجانة [6] والتي ازدان بها قصر أبي حمو الثاني وأشاد بذكرها شعراء بلاطه وصفها يحي بن خلدون بقوله : " وخزانة المنحانة ذات تماثيل اللجين المحكمة قائمة

1- الحسن السائح ، المرجع السابق ، ص. 243 .
2- ابن صاحب الصلاة ، المصدر السابق ، ص. 19، 40،20، 75، 106 ، 147، 209، 337 ؛ عبد الرحمن بن خلدون ، تاريخ ... ج6 ، ص. 331 ؛ مؤلف مجهول ، رسائل موحدية ... ، ج2 ، ص .84 ؛ عبد القادر الصحراوي : " صلاح الدين الأيوبي ويعقوب المنصور " في مجلة : دعوة الحق ، ع2- س1 ، المغرب 1376هـ / 1975م ، ص. 31 .
3- مؤلف مجهول ، الاستبصار ... ، ص. 181.210. 214 ؛ عز الدين عمر موسى ، الموحدون في الغرب ... ، ص 52. .
4- آمنة بوتشيش ، المرجع السابق ، ص. 48 .
5- التنسي ، المصدر السابق ، ص. 141 .
6- المنجانة : أو المنقالة أو المنكلة معناها الساعة هناك من يرى أن أصلها بنكان وهي كلمة فارسية معناها ألة كان القدماء يقيسون بها الزمن وما زال أهل تلمسان يسمون ساعة الحائط الكبيرة مكانة وأما في المغرب الأقصى فالكلمة تعني الساعة على العموم والعالم الرياضي أبو الحسن علي بن أحمد المعروف بابن الفحام هو مخترع هذه الساعة الدقاقة ؛ ينظر في ذلك: يحي بن خلدون ، المصدر السابق ، ج1 ، ص. 56 ؛ التنسي ، المصدر السابق ، ص. 162. 163 ؛ المقري المصدر السابق ، ج6 ، ص .513.

المصنع تجاهه بأعلاها أيكة تحمل طائرا فرخا تحت جناحيه ويخاتله فيهما أرقم خارج من كوة بجذر الأيكة صعدا وصدرها أبواب موجفة عدد ساعات الليل الزمانية يعاقب طرفيها بابان موجفان أطول من الأولى وأعرض دوين رأس الخزانة قمر أكمل يسير على خط استواء يسير نظيره في الفلك ويسامت أول كل ساعة بابها المرتج ، فينتقض من البابين الكبيرين عقابان بفي كل واحد منهما صنجة صفر يلقيها إلى طست من الصفر مجوف بوسط ثقب يفضي بها إلى داخل الخزانة فيرن وينهش الأرقم أحد الفرخين فيصفر له أبوه ، فهناك يفتح باب الساعة الراهنة وتبرز منه جارية محترمة كأظرف ما أنت راء ... " [1] ، وقد ضاعت هذه الخزانة و لم يصل إلينا منها إلا وصفها هذا [2] .

كما أن تنوع الصناعات ورواجها لخير دليل على التطور الذي شهده الشق الصناعي فكان منها صناعة النسيج ،وصناعة الورق ،والصناعات الجلدية، والصباغة ،والصناعة الخشبية وصناعة الزيوت والصابون ، وصناعة السكر والعقاقير والعطور وصناعة الطبيخ ، حيث جاء اهتمام الموحدين به كنتيجة لتطور صناعة الطعام والصناعات الفخارية وما يقاربها، والصناعات الزجاجية وغيرها.

وفي صناعة البناء كان استحداث طرائق جديدة مستخدمة فيها حيث كان رائجا الصناعة بالجبس وخشب الأرز، والرمل والكلس والطين والأجر الوردي ، ثم كان فيما بعد المزج بينهما للحصول على المادة المناسبة [3] .

وأما الشق الزراعي فقد عرف هو الأخر التطور والازدهار أثناء المراحل التي توفرت فيها الظروف المناسبة ، حيث اهتم الموحدون بغرس الأشجار وأجروا الماء إلى البساتين بل وطوروا من الطرق المستخدمة لجلب المياه ، حيث ذكر الإدريسي أن الماء الذي تسقى به هذه البساتين

1- التنسي ، المصدر السابق ، ص. 163 .
2- عبد الحميد حاجيات :" الحياة الفكرية بتلمسان في عهد بني زيان" ، في مجلة :الأصالة ، ع26 ، مطبعة البعث ، قسنطية ، 1975 ص. 153 .
3- رشيد بوروبية ، الجزائر ... ، ص. 362، 363، 370، 371 .

استخرجه بصفة هندسية المهندس عبيد الله بن يونس والذي قصد أعلى الأرض فاحتفر بئرا مربعة كبيرة التربيع وشق منها ساقية متصلة بالحفر على وجه الأرض تجري متدرجة من أرفع إلى أخفض متدرجة إلى أسفله بميزان حتى يصل الماء إلى البساتين ويسكب على وجه الأرض.

كما نظم الفلاحون من جهتهم وسائل الري للتغلب على مشكلة قلة المياه ،فانصرفوا لإقامة مشاريع الري لمواسم الجفاف ، وكانت منها الصهاريج [1] ذكر لنا منها على العهد الزياني:

الصهريج الكبير [2] بتلمسان للاستفادة من مياهه كطريقة للاستغلال الجيد للثروة المائية خاصة وأن المدينة كانت محاطة بالبساتين والتي تحتاج للقسي المنظم ، تنضاف إلى ذلك القنوات والسواقي والجداول والبرك المستخدمة للتنظيم الجيد لاستغلال المياه[3] .

ولعل ذلك التطور في المجال الصناعي والزراعي هو الذي سمح بتنوع المنتوجات المعروضة حتما ما يساعد على النشاط التجاري والذي يساهم بدوره في رواج المنتجات الصناعية والزراعية ومنتجات الصناعة الزراعية ، والتي تكون فيها المواد الزراعية أساسا للتصنيع حيث توفرت الأسواق الداخلية والخارجية لتصريفها ،والتي عرفت بدورها أي الأسواق فترات من الازدهار والانتعاش خاصة من عهود الاستقرار كعهد المنصور الموحدي يقول ابن صاحب الصلاة : " عمرت الأسواق بالبيع والتجارة الرابحة ودرت على الناس الخيرات دورا " [4] ؛غير أن فترات الاضطراب والتي عادة ما تعقب فترات الازدهار كانت تؤثر سلبا في الأسواق وتنظيماتها [5] .

1- يحي أبو المعاطي محمد عباسي ، المرجع السابق ، ص. 441 .
2- الصهريج الكبير : هو حوض واسع مستطيل تبلغ قياساته مائتي متر على مائة متر ويبلغ عمقه حوالي ثلاثة أمتار وكان يتم ملؤه بواسطة خزان ماء للتوزيع ، ويقع هذا المبنى على يسار طريق المنصورة يرجع إلى عهد أبي تاشفين (718هـ - 1318م / 738هـ – 1337م) كان محصنا بالجدار الأمامي ويستخدم لتزويد سكان المدينة بمياه الشرب في حالة الحصار وربما أيضا لري الحدائق ، كما كان من جهة ثانية بمثابة زينة للمدينة الملكية ومكانا للنزهة والتسلية بالرياضة المائية ؛ ينظر : التسني المصدر السابق ، ص. 140 عطاء الله دهينة ، الحصار الطويل ضمن كتاب : الجزائر في التاريخ ... ص. 372 .
3- يحي أبو المعاطي محمد عباسي ،المرجع السابق ، ص. 441 .
4- المصدر السابق ، ص 266 ؛ إبراهيم بوتشيش ، المرجع السابق ، ص. 104 ؛ يحي أو العاطي محمد عباسي ، المرجع السابق ص. 484 .
5- إبراهيم القادري بوتشيش ، المرجع السابق ، ص .105 .

وبذلك أعطى الاستقرار فرصة طيبة للإنتاج والاستهلاك المحلي للسلع المصنعة كل حسب متطلباته من الصناعات الكمالية أو الضرورية وتتغير هذه الصورة وقت الثورات ،والفتن، والحروب [1].

ومما هو جدير بالذكر أن تلك الصناعات والحرف ارتبطت بالمدن أكثر منها بالريف وكان ازدهار النشاط الإنتاجي في الريف مرتبط بالمدينة وبديناميتها الاقتصادية [2] ، فنشأت تلك العلاقة الاقتصادية المكملة لبعضها ما بين الريف والمدينة ، حيث اعتمدت هذه الأخيرة تماما على القرى في لسد حاجاتها الزراعية والمواد الخام اللازمة للصناعة [3] ، وظلت تلك العلاقة تخضع للتنظيم والمراقبة من الدولة تفاديا لوقوع المشاكل [4] .

هذا وقد كان تطور المبادلات التجارية داخليا أي ما بين المدن والقرى وحتى أكبر الحواضر والمدن وأيضا خارجيا، سمح بتحول الاقتصاد إلى مرحلة مهمة من مراحل تطوره والمتمثلة في المرور من اقتصاد زراعي بالأساس إلى اقتصاد متعدد، والتي من خلالها ظهر فرد اجتماعي جديد هو التاجر برزت معه النقود والعملات والعناصر الأولى المبشرة بظهور المدينة التجارية لأواخر القرون الوسطى [5] ،خاصة وأن الدولة الزيانية كانت تعتمد منذ نشأتها على الجانب الفلاحي ،فأغلب سكانهاكانوا يمتهنون هذه الحرفة ؛ ولكن بتنوع المنتوجات والإبداع في استغلال الامكانات المتوفرة صناعيا نشطت الحركة التجارية داخليا وخارجيا ما غير من الطابع العام للاقتصاد من خلال تعدد مكوناته

1- يحي أبو المعاطي محمد عباسي ، المرجع السابق ، ص. 484 .
2- الحبيب الجنحاني ، دراسات ... ، ص. 215 .
3- يحي أبو المعاطي محمد عباسي ، المرجع السابق ، ص. 376 .
4- كان منها مشكلة بيع أهل البادية سلعتهم لأهل الحواضر حيث كان بعض تجار الأسواق يخرجون إلى ظاهر المدينة لاعتراض طريق البدو القاصدين أسواق المدن لبيع منتوجاتهم الحرفية ومحاصيلهم من الزرع والخضر ، فيشترونها بأبخس الأثمان ثم يبيعونها بأثمان مرتفعة في السوق مما كان يؤثر سلبا في القدرة الشرائية لسكان الحواضر وكانت العقوبات في حق هؤلاء تتراوح بين التأديب بالسوط أو الطرد من السوق ؛ ينظر : أبو عبد الله بني سعيد العقباني ، المصدر السابق ، ص 253 وما بعدها ؛ إبراهيم القادري بوتشيش ، المرجع السابق ، ص. 103 .
5- عبد المجيد مباركي : " جورج مارسي ، تلمسان – المدينة التجارية والحرفية " في مجلة : قرطاس الدراسات الحضارية والفكرية ، ع تجريبي ، تلمسان -ديسمبر 2008 ، ص. 180.

تنضاف إلى ذلك الخبرة والمهارة الأندلسية في المجال الزراعي والصناعي حيث عمل الأندلسيون على استصلاح الأراضي وأدخلوا عليها أساليب متطورة كانوا يستعملونها في الأندلس ومن ذلك مثلا تحويلهم لمحيط مدينة تلمسان وخاصة ضفتي وادي الوريط إلى حدائق ومزارع منتجة وطوروا كثيرا من الزراعات كزراعة الزيتون والحوامض والكرز والتوت ... ، كما أن التحكم في التقنيات الصناعية التي تطورت في مدن بلسنة واشبيلية وسرقسطة وماردة وغيرها [1] ، زادت توسعا وانتشارا داخل مدن المغرب الأوسط والتي كانت مقر إقامة الأندلسيين الجديد.

ومع التطور المتزايد للصناعة والزراعة أضفى الأندلسيون نشاطا ملحوظا في المجال التجاري بين مدن المغرب الأوسط انطلاقا من تلمسان مرورا بالسواحل الغربية وصولا إلى السواحل الأوربية ،والعكس أيضا إذ أن أنواعا جديدة من الإنتاج الزراعي قد دخلت بلاد المغرب عن طريق المدن المرفئية[2] .

كما أن تزايد الطلب على أنواع معينة من المنتوجات أدى إلى ارتفاع قيمتها من جهة ومحاولات متعددة لتطوير أسليب زراعتها ،فبجاية مثلا اشتهرت بصناعة الشمع الذي تزايد الطلب عليه أوربيا وليس ذلك فحسب بل وحتى تربية أنواع معينة من الحيوانات بحيث تخصصت كل مدينة أو منطقة بإنتاج معين واشتهرت به كمدينة تلمسان والتي كانت منطقة الخيول والأساسية في بلاد المغرب ، حيث ربى بنو راشد الزيانيون أفضل أنواع الخيول في جبل ونشريس والتي عرفت بالخيول الراشدية و " التي لها فضل على سائر الخيول " ، وقامت الصناعات المتعلقة بالخيول لذلك في تلمسان على أن الفارس يتجهز من تلمسان [3] .

1- جمال يحياوي :" آثار الهجرة الأندلسية على تلمسان" ، في مجلة: الوعي ، العدد المزدوج (3-4)، الجزائر ، جمادى (1) و(2) 1432هـ / أفريل – ماي، 2011 ، ص 93 .
2- الحبيب الجنحاني ، دراسات ... ، ص 215 ؛ جمال يحياوي ، المرجع السابق ، ص. 215 .
3- ياقوت الحموي ، معجم البلدان ، دار صاد،ر بيروت ، (ب.ت) ، ج2 ، ص. 44 ؛ مارمول كرنجال ، المصدر السابق ،ج2، ص. 324 ؛ الحبيب الجنحاني ، دارسات ... ، ص 216 ؛ يحي أبو المعاطي محمد عباسي ، المرجع السابق ، ص. 477 .

3-الانفتاح التجاري :

تمثل ذلك الانفتاح بالأساس من خلال السيطرة على المنافذ الداخلية والطرق البرية ثم إن تحول الطرق التجارية خلال مراحل متعددة من عمر هاتين الدولتين كان له الدور الفعال في تطوير الاقتصاد والعكس.

3-1- السيطرة على المنافذ الساحلية والطرق البرية :

حيث اكتسبت العديد من المدن أهمية اقتصادية بالغة عامة وتجارية على وجه التحديد ربطت بينها شبكة من الطرق البرية فيما يخص المدن الداخلية والموصلة أيضا إلى المدن الساحلية والتي ربطتها بالخارج طرق بحرية دولية ، وكثيرا ما كان لها ذا تأثير إيجابي والعكس من اقتصاد المنطقة.

وكما سبقت الإشارة فقد احتدم الصراع أحيانا كثيرة للسيطرة على أهم تلك المدن ساحلية أو قواعد صحراوية ولعل نجاح الموحدين في إشاعة الأمن وقطع عبد المؤمن بن علي منذ البداية لجميع المغارم والقبالات والمكوس ، وسير خلفائه من بعده على هذا النهج ثم تدخل الدولة في بناء وتنظيم وتشييد المرافق الأساسية لتطوير بشبكات التجارة الداخلية [1] هو الذي ساهم في ازدهار هذه الأخيرة وانفتاحها خارجيا على الرغم من الصعوبات التي واجهتها على المستوى الخارجي وقد اكتسبت المدن الساحلية تلك الأهمية والانفتاح إلى الخارج عن طريق موانئها والتي اختلفت أهميتها من ميناء لأخر وكان أهمها :

- **مرسى هنين** [2] : ثاني ميناء من حيث الأهمية بعد ميناء وهران اكتسب أهمية كبيرة في العهد الموحدي ، حيث كان له دور كبير في تعزيز وتقوية أسطولهم البحري [3] نفس

1- عز الدين عمر موسى ، الموحدون في ... ، ص. 270 وما بعدها.
2- الحسن بن محمد الوزان الفاسي ، المصدر السابق ، ج2 ، ص 15 ؛ مارمول كرنجال ، المصدر السابق ، ج2 ، ص .296؛ عاشور بوشامة ، المرجع السابق ، ص 322 ؛ أحمد بن فضل الله العمري مسالك الأبصار في ممالك الأمصار ، تح ، حمزة أحمد عباس ، دار الكتب الوطنية ، أبو ظبي، 2003 ، السفر (04) ، ص .187 .
3- إدريس بن مصطفى ، المرجع السابق ، ص. 71 .

الأهمية حظي بها خلال عهد بني زيان عززها موقعه لكونه يقع في مستوى مدينة المرية [1] وبالرغم من أنه لم يكن كبيرا فقد قامت أهميته حجمه حيث يعتبر همزة الوصل الرئيسية بالأندلس [2] .

- **المرسى الكبير** : مدينة قديمة في موقع منيع ولها ميناء من أكبر الموانئ المغربية إذ يتسع لعدد كبير من السفن ، حيث أن العواصف لإطلالته من جميع النواحي ، كان يختلف إليه كبيرا عدد كبير من تجار جنوة والبندقية [3] .

- **ميناء وهران** : وهو أحد موانىء تلمسان الرئيسية والذي كان يستقبل السفن على اختلاف أحجامها [4] .

- **ميناءأرشقول** : والذي اكتسب هو الأخر أهمية تجارية كبرى واليوم تحول اسمه إلى **أرشقون"**[5]

- **ميناء بجاية** : والذي يعتبر من أكبر موانئ بلاد المغرب يتميز ميناؤها بحصانته الطبيعية وقدرته على استقبال عدد كبير من السفن على اختلاف أحجامها [6] .

1- ألمرية : والتي أمر ببنائها الخليفة عبد الرحمن بن محمد الملقب بالناصر لدين الله (سنة 344هـ / 955م) وقد كان لموقعها في جنوب شرقي الأندلس وعلى خليج واسع عميق يحميها من الرياح ، أعظم الأثر فيها حظيت به من شهرة تجارية ، حيث كانت تقابل مدينة هنين على سواحل المغرب الأوسط أين الوصل بعد يومين من الإبحار ؛ ينظر : الإدريسي ، المصدر السابق ، ص 84 أبو العباس أحمد بن علي القلقشندي صبح الأعشى في صناعة الإنشا ، المؤسسة المصرية العامة ، مصر ، ج5 ، ص 150 ؛ محمد أحمد أبو الفضل ، تاريخ مدينة ألمرية الأندلسية في العصر الإسلامي – دراسة في التاريخ السياسي والحضاري ، دار المعرفة الجامعية ، مصر، 1996 ، ص. 33 ؛ جورج مارسي ، المرجع السابق ، ص 97 ؛ السيد عبد العزيز سالم ، في تاريخ وحضارة الإسلام في الأندلس ، مؤسسة شباب الجامعة ، الإسكندرية ،1975 ، ص. 61 .

2- عاشور بوشامة ، المرجع السابق ، ص. 322 .

3- الوزان الفاسي ، المصدر السابق ، ج2 ، ص 31 ؛ عاشور بوشامة ، المرجع السابق ، ص 323 ؛ إدريس بن مصطفى المرجع السابق ، ص. 71 .

4- الإدريسي ، المصدر السابق ، ص 84 ؛ مارمول كربخال ، المصدر السابق ، ج2 ، ص 297 ؛ إدريس بن مصطفى ، المرجع السابق ، ص 72 .

5- مارمول كربخال ، المصدر السابق ، ج2 ، ص. 297 ؛ إدريس بن مصطفى ، المرجع السابق ، ص. 72 .

6- الوزان الفاسي ، المصدر السابق ، ج2 ، ص 50 ؛ عاشور بوشامة ، المرجع السابق ، ص. 322 .

- **ميناء مدينة الجزائر** : حيث تقع على منحدر جبل بوزريعة وميناؤها مأمون يقصدها عدد كبيرمن السفن حيث كان محطة رئيسية للسفن المتوجهة من الشرق إلى الغرب والعكس مثلها كان يلتقي الطريقان الرئيسيان الساحلي والداخلي عندها [1] .

- **تنس**: والذي أنشأه البحارة الأندلسيون [2] وامتاز هو الأخر بأهمية التجارية وقد اعتبر عاشور بوشامة أن هذه الموانئ تأخذ تلك الأهمية الكبرى من باقي الموانئ المغربية والأندلسية ، حيث تربط بيها موانئ أخرى أقل أهمية منها ، والتي تمثل حلقة وصل بين مختلف المدن الساحلية المغربية والأندلسية [3] .

وكان منها : ميناء أرزيو من موانئ وهران [4] ، وميناء مستغانم [5] الصغير أيضا مرسى الدجاج ، والذي كان مؤمونا لضيفه ومقصدا للأساطيل الأندلسية بوجه خاص [6] .

وقد ربطت هذه المدن الساحلية بالمدن الداخلية لشبكة طرق برية تتوحد في الطريق الداخلي الرئيسي ويتوغل أكثر إلى الجنوب وبالرغم من أن سيطرة الدولة الموحدية على الصحراء كانت أقل إحكاما من سابقتها إلا أنها كانت تملك من القوة ما يكفي لمراقبة الجزء الأعظم من التجارة العابرة للصحراء بكل هياكلها من قوافل ومواصلات ومدن للعبور [7] ، وقد كان لتلمسان دورا بارزا في الحركة التجارية نحو الجنوب وبالأخص بلاد السودان لاسيما في العهد الموحدي لموقعها ولوجود طرق مختصرة بينها وبلاد السودان [8]

1- عاشور باشامة ، المرجع السابق ، ص. 322 .
2- ذكر الوزان أن أصلها مستودع تجاري قرطاجي قديم الرومان مكانه مدينة (كارطيناس) – كارط تنس – ومنها جاء الاسم المتداول حتى اليوم أي تنس ، ينظر : الوزان ، المصدر السابق ، ج2 ، ص 35 ، إدريسي بن مصطفى ، المرجع السابق ، ص 72.
3- عاشور بوشامة ، المرجع السابق ، ص. 325 .
4- مارمول كربخال ، المصدر السابق ، ج2 ، ص 349 ؛ إدريسي بن مصطفى ، المرجع الاسبق ، ص .72.
5- والذي كثيرا ما قصدته السفن الأوروبية يقع على بعد نحو ثلاثة أميال شرقي مدينة وهران ، ينظر : الوزان ، المصدر السابق، ج2 ، ص 32 ، مارمول كربخال ، المصدر السابق ، ج2 ، ص. 350 .
6- إدريس بن مصطفى ، المرجع السابق ، ص. 72 .
7- فوزي سعد الله ، المرجع السابق ، ص .72 .
8- بودواية مبخوت ، العلاقات الاقتصادية ... ، ص. 310 .

ولأهميتها بالنسبة للدول الأوربية وتطلع الأوربيين للسيطرة على منابع تجارة الذهب ، يقول أحد المؤرخين : " فبالنسبة لتلمسان البعيدة خمسين ميلا على الساحل والمعتبرة أكثر عمقا في إفريقيا وأشد اتصالا بها من المغرب الأقصى أو إفريقية كانت هذه التجارة الهامة لاحقا أي تجارة الذهب ومقايضته بمختلف السلع من الأسباب الاقتصادية الأساسية التي دفعت ملوك قطلانيا وأراغون إلى الاهتمام بها والسيطرة عليها بداية من الولاية الهامة القريبة من إفريقيا السوداء ومن عبور الذهب بها أكثر من غيرها من الأقاليم والمماليك : ولاية سجلماسة... " [1] .

وعند سقوط الدولة الموحدية حلت المبادرات الخاصة محل المبادرات الرسمية في حماية التجارة التي بقيت نشطة عبر الصحراء في إطار استمرارية تجارة القوافل عبرها [2] وذلك رغم المشاكل التي كانت توجهها [3] ، ولذلك يرى أحدهم أن ذلك الرخاء الذي شهدت الدولة الموحدية كان من خلال السيطرة على واحدة من أهم المدن والتي تعبر نهاية طريق معظم القوافل إلى ذهب الصحراء ، وهي بطبيعة الحال سجلماسة حيث استمر فيضان الذهب عبر هذه الطريق بعد أن انقطع وروده عن طريق المسالك الصحراوية الأخرى [4] ولذلك كانت هذه المدينة فيما بعد محل نزاع بين بني زيان وبني مرين.

1- عمر سعيدان ، المرجع السابق ، ص. 8 .
2- والتي أعطتها أي تجارة القوافل الدولة المرابطية ثم بعدها الموحدية دفعا كبيرا خاصة إلى بلاد السودان كان ذلك من القرن 11م /5ه إلى منتصف ق 13م / 8ه وإلى غاية ق 15م / 9هـ العصر الذهبي للتجارة العابرة للصحراء ومن (2/1) (2) لفقرن 15م إلى ق 16م/ 9- 10هـ ، كانت مرحلة كساد كبير لهذه التجارة وتفكك تدريجي لشبكة القوافل والتجار ولجميع الهياكل التابعة لها ويعود ذلك أساسا إلى الاصطربات الكبيرة بحوض المتوسط والاكتشافات الجغرافية الحديثة والتحولات العميقة التي رافقتها في النظام العالمي الذي كان سائدا آنذاك ، ينظر : فوزي سعد الله ، المرجع السابق ، ص. 69 .
3- بودواية مبخوت، العلاقات الاقتصادية ... ، ص. 310 .
4- هشام أبو رميلة ، علاقات الموحدين بالممالك النصرانية والدول الإسلامية في الأندلس ،دار الفرقان ، الأردن ،1984 ، ص. 383 .

3-2- تحول الطرق التجارية : الدور الانفتاح الاقتصادي :

كان ذلك التحول على مستويين : الطرق البرية ، ثم الواجهة البحرية وأما البرية فإنه خلال عصر الموحدين تغيرت أوضاع الطرق [1] ، حيث ربطت بين مراكز الإنتاج والاستهلاك الجديدة طرقا سهلية متجهة بالأساس نحو الساحل.

وبالتالي فقد كان الطريق الساحلي أهم ملتقى السهلية والجبلية وحتى الساحلية الفرعية وقد تأكد دور هذا الطريق في العصر الموحدي ، حيث كثر استعماله الجانب الطريق الجبلي بين فاس وتلمسان [2] ، وكنتيجة لها الوضع تحولت التجارة نحو السهول الغربية بظهور طرق جديدة رابطة بين الأسواق وذلك التحول إلى السهول الغربية في القرن السادس الهجري / الثاني عشر الميلادي لم يؤثر على وضع تلمسان وفاس التجاري ، في الوقت الذي أثر ذلك التحول تأثيرا كبيرا على مراكز الدخول إل السودان ، فالموحدون حافظوا على تلمسان مركزا للإنتاج الرعوي وخاصة الخيول كما أن تلمسان ظلت طوال القرن السادس الهجري منفذا أساسيا لتجارة البلاد الغربية مع البلاد الشرقية برا ، وفي تجارة البحر المتوسط لاسيما وأن موانئ الساحل الأطلسي لم تدخل مجال التجارة العالمية إلا في أواخر العصر الموحدي [3] .

وقد جاء ذلك التأثير على مراكز الدخول إلى السودان بعد تقلص الطرق الجبلية التي كانت تربط سجلماسة وتلمسان [4] ، كما أن دخول تجار غانة في التجارة عبر الصحراء حيث وجدوا

1- خلال عهد المرابطين والذي سبق قيام دولة الموحدين كانت المناطق الداخلية والطرق الداخليى أكثر ازدهارا ولكن بعد الغزو الهلالي خرب عمران المناطق الداخلية واضمحلت أسواقها فأصبحت طرقها إقليمية كما أن النورمان قضووا على الأسواق في الشق الشرقي ولم يفلح الموحدون في (2/1) (2) من ق 6هـ / 12م في إحياء المناطق الداخلية ، ولكنهم نجحوا في ضبط الساحل وانعاشه اقتصاديا ؛ ينظر : عز الدين عمر موسى ،النشاط الاقتصادي في المغرب الإسلامي خلال ارقرن السادس الهجري ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت ،2003 ، ص. 308 .

2- ذكره الوزان الفاسي ، ولكنه أشار إلى تردي أوضاعه الأمنية على عهد بني زيان حيث قال : " الطريق المؤدية من فاس إلى تلمسان ... وهي مأوى لعصابة لصوص من الأعراب على استعداد للفتك بالمارين من هناك حيث الطريق المؤدية من فاس إلى تلمسان وقلما ينجو من التجار من شرهم .. ؛" المصدر السابق ، ج2 ، ص. 11.

3- عز الدين عمر موسى ، النشاط .. . ، ص. 313 .

4- عز الدين عمر موسى ، المرجع نفسه ، ص. 314 .

الدعم من دولتهم والتي قامت بالتضييق على التجار المغاربة في العمل في أسواقها حتى أن الملوك هددوا ملوك غانة بمعاملة تجارهم بالمثل [1] ، إضافة إلى كثرة حوادث قطع الطريق على التجار بين سجلماسة وغانة أدى ذلك إلى تحول التجارة مع السودان عبر الصحراء من سواحل المحيط إلى وسط الصحراء في اتجاه واركلان [2] ، والواحات إلى مصر ، وقد أسهم انتقال تعدين الذهب من جنوب غانة إلى منطقة مالي في هذا التحول اسهاما كبيرا وهو تحول أصبح تاما في القرن التالي [3]، وقد ساعد ذلك التحول نحو ساحل على ظهور مراكز التجارة فيه والتي أصبحت ملتقى للطرق البحرية[4].

وفي أواخر القرن السادس الهجري الثاني عشر الميلادي كان تطور الطرق البحرية والشحن في المماليك المسيحية [5] قد أعطى دعما لنمو سريع في موانئ أوربا الجنوبية ولجماعات التجارفيها وقد بدأت طرق جديدة في الظهور بين إيطاليا وشمال إفريقيا وبظهورها فقدت سواحل إيبيريا الجنوبية أهميتها في طرق الشحن البحري التي تصل بين أسواق شمال البحر المتوسط وجنوبه وكان من نتيجة ذلك أنه في القرن السابع الهجري الثالث عشر ميلادي ، لم تعد ثغور الأندلس نقاط توزيع للبضائع القادمة من شرق العالم الإسلامي إلى غربه أو بين أسواق شمال البحر المتوسط وجنوبه وقد حل محل تلك الثغور جنوة أو غيرها من المدن نفسها التي كانت تصل في السابق إلى جنوب أوربا عن طريق الأسواق الأندلسية فقد أصبحت تصل إلى إسبانيا على متن سفن إيطالية.

1- المقري ، المصدر السابق ، ج3 ، ص 105 ؛ عز الدين عمر موسى ، النشاط الاقتصادي ... ، ص. 273 .

3- مع احتلال غانة المؤقت من قبل الرابطين بدأ التعدين ينتقل جنوبا حتى أصبحت منطقة مالي هي مركز تعدين الذهب في (2/1) (2) من ق 6ه / 12م ؛ ينظر : المقري ، المصدر السابق ، ج5 ، ص 26 ؛ عز الدين عمر موسى ، النشاط ... ، ص 273 .

4- عز الدين عمر موسى ، النشاط ... ، ص. 319 .

5- وجذور ذلك سعود إلى ق 5ه / 11م ، واستمر إلى أوائل ق 6ه / 12م والذي شهد تغيرات عميقة وتدريجة في النظام الاقتصادي الذي قامت عليه حضارة أروبا الغربية ولعل ذلك ما أعطى دفعا قويا لتوسع التجارة حول حوض البحر المتوسط بل وأبعد من ذلك وهو ذلك التحول الذي يوصف في التاريخ التجاري الغربي التقليدي بالثورة التجارية في ق 11م / 5هـ ؛ ينظر : جين هيك ، المرجع السابق ، ص 221. وما بعدها.

وكنتيجة لذلك هجر أغلب التجار المسلمين الأسواق المسيحية الجديدة في جنوب إسبانيا وتحولوا بإسهامهم التجاري إلى الثغور الأكثر وعدا بالازدهار الاقتصادي سواء في شمال إفريقيا أو شرق المتوسط وحتى المحيط الهندي [1] .

ومن جهة أخرى وخلال النصف الأول من القرن السابع الهجري / الثالث عشر ميلادي بدأت العلاقات التجارية الفرنسية الفعالة مع مدن المغرب الإسلامي ، فسرعان ما أصبحت هذه العلاقات أكثر أهمية من تلك التي كانت تربط مرسيليا مع جنوة وغيرها من المدن البحرية الإيطالية ، حيث شهدت بدايات هذه القرن تحولا خطيرا في خطوط النقل البحري عبر المتوسط حيث بدأ انتقال السيطرة التجارية البحرية في حوض المتوسطك الغربي إلى التجار الفرنسيين وهكذا ستكون بدايات التحول في التبادل التجاري الذي كان معقودا خلال القرون التابعة للمدن الإيطالية مع بلدان المغرب إلى المدن الفرنسية لاسيما مدينة مرسيليا [2] ، ولكن وخلال النصف الثاني من القرن الهجري الثالث عشر ميلادي يلاحظ غموض وصمت في المصادر الأوربية في حديثها عن العلاقات التجارية ومن القليل الذي ذكر في ذلك طابع الفترة الذي ميزها ، والذي أرجعه البعض إلى الحملة الصليبية الثامنة على تونس (**668ه / 1269م**) والأحداث التي تلت هذه الحملة أثرت تأثيرا كبيرا على العلاقات التجارية بين من جنوب فرنسا ومدن المغرب الشمالية.

وقد سجل عودة نشاط حركة التجارة ثانية مع مدن المغرب بفضل اتفاقية السلم والتجارة والتي عقدت في **669ه / نوفمبر 1270** بين الملك فيليب الثالث 3(Le lerdi Philippe III)

1- سلمى الخضراء الجيوسي ، الحضارة العربية الإسلامية في الأندلس ، مركز دراسات الوحدة العربية ، بيروت، 1998 ، ج2 ، ص. 1081. 1082 .
2- جمال أحمد طه ، المرجع السابق ، ص. 8. 10 .

وملك فرنسا وشارل دجون (Charled D'Ajon) ملك صقلية ، وتيبو (Thibaut) ملك نافار ومن جهة ثانية مع الخليفة المستنصر ومن أهم النقاط المتفق عليها إعادة أعمالهم التجارية[1] .

المبحث الثاني : مظاهر تراجع الدور الاقتصادي:

1- الأزمات الاقتصادية

تضافرت مجموعة من العوامل والتي ساهمت في إضعاف اقتصاد المغرب الأوسط [2] ، فطفى ذلك على أرض هذه البلاد من خلال مجموعة من المظاهر أو بالأحرى أزمات اقتصادية وإن اختلفت أشكالها فإنها أنهكت المجتمع والتي برزت من خلال كثرة الفتن وعدم الاستقرار السياسي دعمتها السياسية الغربية المضطربة والتي غالبا ما كانت تؤثر على الإنتاج ، تنضاف إلى ذلك كوارث طبيعية متبوعة بانتشار الأمراض والأوبئة كل أدى إلى تعطل الحياة الاقتصادية ومن ثم حدوث أزمات اقتصادية وسنحاول من خلال هذا المبحث التركيز على أبرزك تلك المظاهر وأهمها كنماذج للتدليل على سوء سير الحياة عامة أثناء حدوث تلك الأزمات.

مع مطلع القرن **السابع الهجري / الثالث عشر الميلادي** دخلت دولة الموحدين دور الأغلال حيث لجأ خلفاء هذا الدور وزعماء الولايات إلى فرض ضرائب جديدة مخالفة للشرع

1- جمال أحمد طه ، المرجع السابق، ص 28 ؛ حيث تعددت المعاهدات التجارية طوال عمر دولة الموحدين والتي كانت تخدم بالأساس التجارة وضمان استمراريتها خاصة مع الدويلات المسيحية كان من أبرزها تلك المعاهدة التجارية بين مدينة جنوة ودولة الموحدين سنة 548هـ / 1153 ، تجددت بعد فتح المهدية (556 – 557هـ / 1160- 1169م) فأصبح للجنوبين حق التجارة مع سواحل الدولة الموحدية مع امتياز خاص وهو أداء ضريبة 8 % ما عدا في بجاية فهي 10% ، لكن في مقابل ذلك لم يسمح الموحدون لتجار بيزا بالتجارة في المراسي والموانئ الموحدية في المغرب والأندلس إلا إذا جلب التاجر بضاعة بخمسمائة دينار وذلك بسبب أعمال القرصنة التي كان يقوم بها أهل بيزا في البحر ، كما عقد الموحدون سنة 580هـ / 1174م معاهدة تجارية أخرى مع بيزا وفي عهد المنصور الموحدي عقد الموحدون اتفاقا تجاريا مع بيزا سنة 582هـ / 1186م أو 583هـ / 1187م أو كما ذكر سنة 581ه / 1185م ، تدوم خمس وعشرون سنة ، مع حق المتاجرة في أربع مراسي بالمغرب دون الأندلس وهي شبه ووهران وبجاية وتونس مقابل أداء العشر على سلعهم ولا ينزلون بمرسى ألمرية إلا لإصلاح سفنهم أو التزويد بالحاجيات لمتابعة سفرهم والتأكيد على منح القرصنة ، وفي سنة 592هـ / 1195م جمعت المنصور معاهدة أخرى مع الدولات النصرانية لتكون معاهدة مع جنوة سنة 634هـ / 1236م ومع ميورقة سنة 637هـ / 1239م ، وقد وصل عدد المعاهدات الموقعة بين الموحدين والدويلات المسيحية إلى أكثر من عشرين معاهدة ذلك ما بين (609 – 638هـ / 1212 / 1240م) ؛ ينظر : مؤلف مجهول رسائل موحدية ، ص. 91 ؛ سامية مصطفى مسعد ، المرجع السابق ، ص. 159 ؛ هشام أورميلة ، المرجع السابق ، ص. 395؛
Ma s La trie, relations et commerce de l' Afrique septentrionale ou Maghreb avec les nations, hrétiennes au moyen age, Bbliothéque nationalen Paris, 1886 , P94- 120 .

2- أنظر العوامل المتحكمة في الاقتصاد ، الفصل الأول ،ص.34ومابعدها.

حتى أن الواثق أخر خلفاء الموحدين عندما أراد الخلافة لنفسه كان من أبرز شعاراته رفع المغارم والكف عن الناس والاقتصار على الفروض الضرعية ، كما شهد هذا الحصر فرض الضرائب على التجار [1] ، ولعل هذه السياسة الضريبية المجحفة والمضطربة أسهمت في تراجع الاقتصاد وشكلت في الوقت ذاته نقطة الانطلاق لأزمات عديدة داخل المجتمع.

ينضاف إلى ذلك الصراع الذي كان مشتعلا أصلا مع القبائل المعادية والقوى الخارجية والتي لطالما هددت كيان الدولة وكان لها بالغ الأثر في خلق جملة من الأزمات الاقتصادية ومن ذلك مثلا الصراع مع ابن مرديش [2] ، والذي قائل الموحدين زهاء العشرين عاما ، وحروبه ألحقت الخراب والدمار باقتصاد بعض بلاد الأندلس وأدت إلى كساد التجارة وأصاب مثل ذلك الخراب والدمار بلاد المغربين الأدنى والأوسط [3] .

كما أن الصراع مع بني غانية وقراقوش [4] الطويل أثر تأثيرا كبيرا على المجتمع ومصالحه الاقتصادية إذ أن بني غانية قاتلوا الموحدين زهاء **50** سنة عاما متواصلة في المغرب الأدنى والأوسط مما أدى إلى كساد التجارة وخراب الأراضي الزراعية وتوقف الصناعة [5] .

وما زاد من صعوبة موقف الموحدين هو تحالف بني غانية وقراقوش وكانت أعمالهما التخريبية داخل المدن فتعطلت بالمغرب الأوسط من جراء ذلك حركة التجارة والصناعة ، وأهملت

1- عز الدين عمر موسى ، الموحدون في الغرب ... ، ص. 287 .
2- ابن مردنيش : أحد الثائرين الذي ظهروا بالأندلس في أعقاب دولة المرابطين والذي لم يتردد في طلب العون من المسحيين ضد الموحدين ، توفي سنة 567هـ – 1171م ؛ ينظر : ابن صاحب الصلاة ، المصدر السابق ، ص 65 وما بعدها ؛ عبد الواحد المراكشي ، المعجب ... ، ص 321 وما بعدها ؛ عبد الرحمن بن خلدون ، تاريخ ... ، ج6 ، ص 318 ؛ أميرو سيوهوتي ميراندا التاريخ السياسي للإمبراطورية الموحدية ، تر : عبد الواحد أكمير ، منشورات الزمن ، المغرب ،2004 ، ص. 213 .
3- هشام أبو رملية ، المرجع السابق ، ص. 378 .
4- قراقوش : لفظ تركي معناه العقاب ، وكان لحركة قراقوش هذا دورا بارزا في تاريخ المغرب وتاريخ الموحدين وقراقوش هو مملوك لتقلي الدين عمر ابن أخ صلاح الدين ، دخل بلاد المغرب وحاول اقتطاع الكثير من أراضيها واختلفت الروايات حول التاريخ الذي دخل فيه قراقوش أرض برقة في طريقة إلى إفريقية والمغرب منها ما ذكره ابن الأثير ، وكان ذلك سنة 568ه / 1178؛ ينظر : ابن الأثير، الكامل في التاريخ ، دار الكتب العلمية ، بيروت، 2003 ، ج10 ، ص 47 ؛ مراجع عقيلة الغناي ، سقوط ... ص. 187 .
5- هشام أبو رميلة ، المرجع السابق ، ص. 378 .

الزراعة لعدم توفر الأمن للمزارعين مما أدى إلى انهيار الأحوال الاقتصادية حيث نهبت الأموال وانتزعت الممتلكات وقبل الكثير من الناس [1] .

وقد وصف لنا ابن عذاري مدينة بجاية بعد استيلاء بني غانية عليها " لما وقعت الفتنة ببجاية وأنظارها وخف قطينها وعمارها وانتهبت زروعها وغلاتها وقلت خيراتها وعدمن مرافقها وأقواتهاوألم بالرعية الحيف وتقسمهم الجلاء والسيف ... فأقفرت من بجاية سبائطها وقبلت مائنها وغلت أسعارها وتعذرت الحياة ... والمجاعة تشتد والباء ليزيد حتى عم الموتان وبطرت معيشتها الرخم والعقبان ... " [2] ، وفي ذلك إشارة إلى تعطل وسائل الإنتاج من زراعة وصناعة وتجارة وارتفاع للأسعار ومعاناة للناس من الجوع فهزلت أبدانهم وضعفت صحتهم فوقعوا فريسة سهلة للأوبئة الفتاكة والأمراض وعاديات الجو وما بجاية إلا مثال واحد من الأمثلة العديدة في بلاد المغرب الأوسط والمغرب الأدنى [3] .

وبالإضافة إلى اختلال سياسة الدولة المالية كمظهر من مظاهر الضعف الذي لحق الدولة اقتصاديا وكثيرة الخروج منها نذكر انتشار الأمراض والأوبئة والتي زادت من تأزم الوضع الاقتصادي ومن ذلك انتشار الوباء منذ أول ذي القعدة سنة **571ه / 1175م** ، واستمر لمدة عام تقريبا بالمغرب الأقصى وانتشر في المغرب الأوسط والأندلس وقضى على الكثير من السكان والذي كان من أثره أضعاف المعنويات وقلة الأيدي العاملة وتعطل حياة الزراعية وتوقف التجارة والصناعة ، وقد ترتب على ذلك أزمة اقتصادية حادة كانت ذات أثر مادي ومعنوي سيء على الرعية حيث " كان الناس من ضعف المرض والطاعة لا يقدرون على الحركة " [4] .

كما شهدت بجاية والمغرب الأوسط خلال الفترة الممتدة من (**581ه – 606ه / 1185– 1209م**) هجوم بني غانية والذي شمل أيضا مناطق عديدة من المغرب الأوسط وما

1- مراجع عقيلة الغناي ، سقوط ... ، ص. 225 .
2- المصدر السابق ، ج3 ، ص. 180. 181 .
3- مراجع عقيلة الغناي ، سقوط .... ، ص. 226 .
4- ابن عذاري المراكشي ، المصدر السابق ، ج3 ، ص .136. 137 ؛ مراجع عقيلة الغناي ، سقوط .... ، ص . 128. 129 .

نجم عنه من أعمال النهب وإفساد الزروع والأنعام والخراب العمراني لبعض المدن كا رشكول وتاهرت مع وقوع مجاعة محلية ببجاية أعقبها وباء سنة **588ه / 1192م** [1] ، كما سبق ذكر ذلك حيث شهدت السنة ذاتها حصارهم أي بني غانية لقسنطينة وقطعهم للماء واشتداد الحصار على أهلها.

ومن أمثلة ذلك أيضا حصار بني غانية وأحلافهم لتلمسان سنة **605ه / 1208م** ومالحقه من تخريب للعمران والزروع [2] .

وقد شهدت سنة **609ه / 1212م** واقعة العقاب [3] الشهيرة والتي أدت إلى خراب اقتصادي مع فناء أهل المغرب الذين شاركوا في المعركة ما أدى إلى انحطاط ديمغرافي حيث لم تعرف الدولة الموحدية فترة ما بعد العقاب الاستقرار الذي عاشته من قبل [4] .

وشهد المغرب ابتداءا من سنة **614ه– 615ه** وإلى غاية **616ه / 1217– 1218– 1219م** مجاعة عظيمة كان لها بالغ الأثر على حياة العامة بهذه البلاد : " ففي سنة ستة عشر وستمائة كان المحل العظيم والمجاعة التي شكلها الظاعن والمقيم وتناهى الحال في مزيد السعة إلى ما لا نهاية له وكان ابتداء الحال فيه في السنتين المتقدمتين لهذه السنة المؤرخة " [5] والذي شهد أيضا سنة **617ه / 1220م** غلاءا شديدا وقحطا مصحوبا بالجراد [6] وفي سنة **620ه / 1223م**

1- عبد الرحمن بن خلدون ، تاريخ ... ، ج6 ، ص 375 ؛ سمية مزدور ، المجاعات والأوبئة في المغرب الأوسط (588- 927هـ / 1192- 1520م) ، (مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الوسيط) ،جامعة قسنطينة ، 1429- 1430ه / 2003- 2009 م ، ص. 91 .

2- ابن عذاري المراكشي ، المصدر السابق ، ج3 ، ص 175 وما بعدها ؛ سمية مزدور ، المرجع السابق ، ص. 91 .

3- معركة حصن العقاب : (La snavas de tolosa) : والتي شكلت في الواقع بداية النهاية لدولة الموحدية ؛ ينظر : علي بن أبي زرع الفاسي ، الذخيرة ... ، ص 24 ، والأنيس المطرب ... ، ص 272 ؛ مارمول كربخال ، المصدر السابق ، ج1 ، ص 373 ؛ مؤلف مجهول ، رسائل موحدية .... ، ج2 ، ص 175 ؛ أمير سيوهويثي ميراندا ، المرجع السابق ، ص .418

G. Faure – Biguet, Histoire de L' Afrique septentrional sous le domination musulmane, Bibliothèque nationale de la France, Paris, (S.D°, P53, léon geley, opcit, P121.

4- علي بن أبي زرع الفاسي ، الذخيرة ... ، ص 24 ؛ سمية مزدور ، المرجع السابق ، ص. 34 .

5- ابن عذاري المراكشي ، المصدر السابق ، ص. 266. 267 .

6- علي بن أبي زرع الفاسي ، الأنيس المطرب ... ، ص 372 ؛ والذخيرة السنية ... ، ص .54 .

كان بالمغرب من الغلاء العظيم [1] ما له كبير الأثر في ارهاق العامة والتأثير على مستواهم المعيشي.

وفي سنة أربع وعشرين وستمئة اشتد الغلاء بالمغرب والأندلس كما خلت فيها بلاد المغرب وكثر فيها الجوع والوباء [2] ، كما كان فيها " الجراد المنتشر بالمغرب " [3] .

وفي سنة **632ه / 1234م** " ضاقت الأرض بما رحبت على الناس لانقطاع المرافق والموارد وارتفعت الأسعار وعدمت الأقوات " [4] ، وفي سنة **634ه / 1236م** كان ببلاد المغرب الغلاء المفرط الذي انتهى فيها الربع الواحد من الدقيق إلى سبعة وثلاثين درهما [5] ، واشتدت تلك الأزمة سنة **635ه / 1237م** إلى أن أكل الناس بعضهم بعضا [6] .

وبالانتقال إلى حكم بني زيان لربوع المغرب الأوسط فإن الحال لم يكن بأحسن من ذي قبل إذ أنه أصاب الحياة الاقتصادية الكثير من مظاهر التدهور والانهيار بسبب عدم الاستقرار الأمني والتهديد الحفصي والمريني ، والحروب الطويلة التي أدت إلى تحطيم مختلف مظاهر الحياة الاقتصادية كردم الآبار وعيون المياه وسنف الزروع وحرقها [7] والأمثلة عند هذا المقام كثيرة نقتصر على ذكر نماذج بارزة منها فهي لا تكاد تنتهي طوال عمر هذه ، ومن ذلك الحصار المضروب على تلمسان من طرف السلطان المريني أبي يعقوب سنة **670ه / 1271م** والذي صاحبه قيام بني توجين بعمليات النهب والعبث والإفساد للقرى المحيطة بتلمسان حيث " ... نسفوا الآبار وخربوا الربوع وأفسدوا الزروع ... " [8] .

1- سمية مزدور ، المرجع السابق ، ص 127. 128 .
2- علي بن أبي زرع الفاسي ، الأنيس .... ، ص .274 .
3- علي بن أبي زرع الفاسي ، المصدر نفسه ، الصفحة نفسها.
4- ابن عذري المراكشي ، المصدر السابق ، ص. 318. 319 .
5- ابن عذاري المراكشي ، المصدر نفسه ، ص. 339 .
6- علي بن أبي زرع الفاسي ، الأنيس ... ، ص. 276، 277 .
7- عبيد بوداود ، المرجع السابق ، ص. 178 .
8- ابن أبي زرع الفاسي ، الأنيس المطرب ... ، ص 309- 311 ؛ يحي بن خلدون ، المصدر السابق ، ج1 ، ص. 209.210 ؛ إسماعيل بن ألأحمر ، روضة السرين في دولة بني مرين ، المطبعة الملكية ، الرباط ، 1962 ، ص 49 ؛ العمري ، المصدر السابق ، ص. 204 .

وليس بني مرين وحسب وإنما بني حفص أيضا إذ كان السلطان الحفصي أبو زكريا الأول قد توجه في سنة **640ه / 1242م** لاحتلال تلمسان وما جره من أعمال النهب والقتل مع أخذ بجاية من أهلها بعد احتلالها [1] .

وكان في سنة **689ه – 691ه / 1290 – 1297م** أن تكررت ثم كان السلطان المريني يوسف بن يعقوب على تلمسان وحصاره لها وتحطيمه للقرى المجاورة لها ونسف زروعها [2] ليكون في سنة **698ه / 1298** وإلى سنة **706ه / 1306م** الحصار الطويل لبني مرين على تلمسان واحتلالهم بعض مدن المغرب الأوسط حيث " كان على أهل تلمسان بلاء عظيم من غلاء الأسعار وموت الرجال وتنقيف من يخلف منه الفرار بلغ فيها الرطل من الملح دينارين وكذلك من الزيت والسمن والعسل واللحم ، وذكر بعظم أن الدجاجة بلغت ثمانية دنانير ذهبا وكانوا يستخدمون خشب دورهم ينقضونها لذلك وفر أكثر أهلها فلم يبق فيها من الرعية إلا نحو المائتين"[3] ومثل هذه الحملة جاءت حملات مرينية أخرى شلت الحياة الاقتصادية بالمدن والقواعد الرئيسية لبني زيان.

ومن ذلك أيضا كان تحرك السلطان المريني أبو الحسن وحصاره لتلمسان لمدة **3** سنوات واحتلاله للمغرب الأوسط بأكمله في سنة **732ه / 1331م** وإلى غاية **737ه / 1336م** [4] حيث كان يعمد المحاصرون إلى شل الحركة التجارية للمدينة المعاصرة من خلال ضرب وتعطيل مراكزها التجارية الحيوية فقد استعمل بنو مرين ميناء هنين كورقة ضغط في حصارهم لتلمسان

1- الزركشي ، المصدر السابق ، ص. 29 ؛ عبد الرحمن بن خلدون ، تاريخ ... ، ج7 ، ص. 107. 108 .
2- عبد الرحمن بن خلدون ، تاريخ ... ، ج7 ، ص. 126.127 .
3- التنسي ، المصدر السابق ، ص 132 . عبد الرحمن بن خلدون ، تاريخ ... ، ج7 ، ص 292 ؛ إسماعيل بن الأحمر ، المصدر السابق ، ص .50 .
4- الزركشي ، المصدر السابق ، ص 72 . 73 ؛ عبد الرحمن بن خلدون ، تاريخ ... ، ج7 ، ص 339 ؛ إسماعيل بن الأحمر المصدر السابق ، ص 52 ؛ العمري ، المصدر السابق ، ص 205 وما بعدها ؛ ABD Al hamid Hajiate, op. cit, P126 ابن مريم ، البستان في ذكر الأولياء والعلماء بتلمسان ، ديوان المطبوعات الجامعية ، الجزائر 1986، ، ص. 185 .

كما عهد أبو الحسن المريني إلى قطع الطريق الرابط بين تلمسان وبين هنين لمنع كل الامدادات من الأموال والسلع التي تأتيها عن طريق البحر [1] .

وفي سنة **752ه / 1353م** وإلى غاية **758ه / 1356** كانت حملة السلطان أبو عنان على المغرب الأوسط وما تبعته من أعمال الحرق خاصة بمدينة قسنطينة وقت حصارها [2] وأيضا سنة **754ه / 1353م** الغلاء الشديد الذي كان بمدينة قسنطينة عند حصار بني مرين لها [3] .

أدت هذه الحالة أي حالة الحرب شبه الدائمة إلى تعطيل الإنتاج الزراعي وعدم الاطمئنان إلى حصاد محصوله بسبب تقلب الأحوال وهذه الظروف لا تشجع المنتجين على توسيع دائرة نشاطهم الاقتصادية والاكتفاء بالقليل [4] ، وذلك ما أدى بطبيعة الحال إلى تدهور الأوضاع الاقتصادية.

تنضاف إلى ذلك السياسة الضريبية المضطربة،والتي أفقرت قطاعا واسعا من الشغب حيث أصبحت بعض تلك الضرائب تشمل أبسط الأمور حيث ألغى السلطان المريني أبو الحسن عقب حملته على تلمسان (**737ه / 1336م**) إذ أنها لم تراعي الضرورات الاقتصادية والإنتاجية ومستوى الحياة الاجتماعية وإنما كان يهمها ضمان دخل قوي لتعزيز حركة الدولة حتى تستطيع أن تتفوق على الحروب والفتن الداخلية إلا لدى عدد محدود من السلاطين [5] وما عزز من حدة تلك الأزمات في كثير من الأحيان الأزمات والكوارث الطبيعية منها الزلازل والأعاصير والجفاف والتي تؤدي إلى حدوث مجاعات وحتى انتشار أوبئة كمظاهر تعكس رداءة الأوضاع الاقتصادية ومن ذلك على سبيل المثال انتشار الغلاء الشديد والقحط والجراد ، وقد كان ذلك سنة **617ه /**

1- سمية مزدور ، المرجع السابق ، ص.95 .
2- الزركشي ، المصدر السابق ، ص. 93 وما بعدها ؛ ابن مريم ، المصدر السابق ، ص 50 وما بعدها ؛ مؤلف مجهول ، زهر البستان في دولة بني زيان (760- 764هـ / 1359- 1363م) ، السفر (2)، الأصالة للنشر والتوزيع ، تلمسان، 2011 ، ص.50 وما بعدها.
3- سمية مزدور ، المرجع السابق ، ص .92. 93 .
4- عبيد بوداود ، المرجع السابق ، ص. 179 .
5- عبيد بوداود ، المرجع نفسه ، ص 185. 186 .

1222م [1] والجراد الذي كان سنة **624ه / 1228م** والذي أتى على المحاصيل بجميع أنواعها فارتفع ثمن القمح ومختلف المواد الغذائية وتكرر قدومه سنة **630ه / 1232م** ، حيث انعدمت فيه الأقوات وقلت مردودية الأرض وذهب معظم الإنتاج [2] .

وتجدر الإشارة أيضا إلى ذلك الوباء الذي ضرب شمال إفريقيا سنة **739ه / 1348م** والذي أطلق عليه الأوربيين " الطاعون الأسود " انتشر في بلاد المغرب مخلفا الكثير من الضحايا لتفشيه في طبقة العامة بين الناس واشتداده على الفقراء [3] ، والطاعون الذي ضرب تلمسان ومدن المغرب سنة **750ه / 1349م** والذي قضى هو الآخر على خلق كثير من الناس وفتك بعائلات بأكملها مثلما حدث لأسرة حفيد العالم التفريسي التلمساني [4] ، ويذكر المؤرخون أنه سنة **776ه / 1375م** ضربت ريح عاصفة هوجاء المغرب الأوسط فأهلكت الحرث والنسل لم يطق الناس تحمل هذه المجاعة [5] .

ومن ذلك نذكر الطاعون الذي ضرب المغرب الأوسط سنة **845ه / 1442م** [6] والثلج الذي نزل في تلمسان في القرن التاسع الهجري الخامس عشر ميلادي والذي أفضى إلى خسائر عمرانية واقتصادية تمثلت في انهدام الديار وتعطل الأسواق [7] ، والطاعون الذي ضرب تلمسان سنة **871ه / 1466م** ، كما اجتاح تلمسان وباء جارف سنة **905ه / 1500م** ووهران تعرضت لوباء في سنة **915ه / 1510م** وفي أثنائه احتل الإسبان المدينة وظهر في المغرب الأقصى

1- علي بني أبي زرع الفاسي ، الأنيس ... ، ص 273 .
2- عبد العزيز فيلالي ، المرجع السابق ، ص .253 .
3- عبد الرحمنبن خلدون ، المقدمة ، ص 52 ؛ محمد بن مرزوق التلمساني ، المسند ... ، ص .264.265 ، والمناقب ... ، ص 187 .
4- عبد العزيز فيلالي ، المرجع السابق ، ص. 253 .
5- يحي بن خلدون ، المصدر السابق ، ج1 ، ص. 325. 326 ؛ عبد العزيز فيلالي ، المرجع السابق ، ص 251. ؛ سمية مزدور المرجع السابق ، ص. 117 ؛ عبد الرحمن الجيلالي ، المرجع السابق ، ج2 ، ص. 186 .
6- عبد العزيز فيلالي ، المرجع السابق ، ص .253 .
7- ابن مريم ، المصدر السابق ، ص .40 ؛ سمية مزدور ، المرجع السابق ، ص .116 .

وباء في صيف سنة **926ه / 1520م** والذي كان اقباله من ناحية تلمسان [1] ساهمت كلها في تراجع مظاهر الحياة الاقتصادية بجميع مكوناتها.

2- الأزمة التجارية الصحراوية : انحراف طرق تجارة الذهب

كان لتجارة الذهب [2] دور مهم في تاريخ إفريقيا الشمالية في العصر الوسيط ،فهي المحرك الأساسي لعديد التطورات التي شهدها المغرب ،وفي هذا الإطار يمكن اعتبار الصراع العنيف والحروب المستمرة بين دول المغرب على المدن التجارية : سجلماسة ، تاهرت ، سبتة ، تلمسان ، القيروان، ولكن مع مطلع القرن الثامن الهجري الرابع عشر الميلادي حدث تحول في المحاور التجارية نحو الجانب الشرقي من بلاد المغرب ؛إذ أن الطريق الغربي الذي كان يخترق دائما المغرب الأقصى من سوس حتى الريف أصبح مضطربا خلال النصف **(2) من ق 7ه / 13م** [3] ، ولارتباط المسالك التجارية كان لتلك تأثير على مستوى النشاط التجاري بالمغرب الأوسط وما يليه هذا الانحراف ،وإن خدم المغرب الأوسط على المدى القريب فإنه لن يكون كذلك فيما بعد خاصة بعد اتصال مصر المملوكية مباشرة بذهب الصحراء.

لاشك أن مصر المملوكية كانت أكبر المستفدين من انحراف الطرق التجارية الصحراوية نحو الشرق خاصة بعد سيطرتهم على منطقة أعالي النيل ؛وبالتالي تمكنهم من إقامة علاقة تجارية مع بلاد السودان الغربي، وتوثقت العلاقات التجارية بين مالي ومصر أكثر مع نهاية النصف الأول من

1- ابن مريم ، المصدر نفسه ، ص. 224؛ سمية مزدور ، المرجع السابق ، ص. 137 .

2- حيث كانت ترد تلك القوافل الوادرة من الجنوب ومن الصحراء تحمل معها الذهب فكان يؤتى به من أعالي نهر النيجر وأعالي بلاد السينغال والتمبوك ومن مالي إلى الشمال ، لتبادله ببضائع ضرورية مثل الملح عبر الصحراء ويذهب حتى جنوب إفريقية وإلى تافيلالت في أقصى الجنوب الشرقي من المغرب الأقصى ويعبر بالأساس عن طريق سجلماسة عاصمة التافيلالت والتي تنفتح قبل كل شيءعلى تلمسان ، فتعتبر سجلماسة باب الصحراء وإفريقيا السودان للتلمسانين وما يليه ، كما كانت تلمسان بالنسبة للقوافل المارة بسجلماسة همزة الوصل لعالم البحر الأبيض المتوسط ، ينضاف إلى الذهب تجارة الرقيق ، المطلوب خاصة في الدول الأوروبية ؛ ينظر : الإدريسي ، المصدر السابق ، ص 105 ؛ عمر سعيدان ، المرجع السابق ، ص.21.

3- محمد بن مرزوق التلمساني ، المناقب المرزوقية ، ص .47. 48 .

القرن الثامن الهجري بعد الرحلة الشهيرة التي قام بها سلطان مالي منسا موسى إلى مكة عن طريق مصر [1] ما كانت له عواقب وخيمة على التجارة المغربية السودانية [2] .

ومن جهة ثانية فإنه مع نهاية القرن التاسع الهجري شهدت المنطقة موجة من التحولات العميقة على مستوى حوض البحر المتوسط والصحراء حيث تحول المحور الثلاثي الأقطاب أوربا المتوسطية ، المغرب الغربي ، إفريقيا السوداء، إلى محور ثنائي الأقطاب : المغرب العربي ، إفريقيا السوداء فقط؛ذلك أنه عندما احتل الإسبان بعض سواحل غرب إفريقيا برزت محاور تجارية جديدة بحرية أساسا أفقدت المحاور القديمة العابرة للصحراء قيمتها وأهميتها ؛وأدت إلى كساد تجارتها ، حيث تحولت الأنظار عن الذهب الإفريقي إلى ذهب العالم الجديد الذي اكتشفه كريستوف كولومبس سنة **1492م** أي في نفس سنة سقوط الأندلس.

بذلك فقد حوض المتوسط والبلدان المحيطة به خاصة الواقعة في جنوبه أهميتهم نسبيا بالمقارنة مع السابق في التجارة والاقتصاد الدوليين لصالح المحيط الأطلسي وسواحل غرب أروبا ، فكان ذلك التغيير في الطرق التجارية العالمية ومحاورها وأقطابها الرئيسية بمثابة ثورة في الجغرافيا التجارية العالمية تسببت في تخلف المراكز والأقطاب التقليدية [3] ، وبالتالي تراجع الدور الاقتصادي الذي كان يقوم به المغرب الأوسط ولكن إلى أي مدى ساهم ذلك التراجع في تدفق ذهب السودان إلى بلاد المغرب في تدهورا اقتصاد المنطقة بصفة خاصة ومدى مساهمة الشق التجاري باعتباره من أهم المكونات الاقتصادية في الحفاظ على وضعية اقتصادية مزدهرة ؟

1- بودواية مبخوت ، العلاقات ... ، ص. 218. 230 ؛ شوقي عطا الله الجمل وعبد الله عبد الرزاق إبراهيم ، تاريخ المسلمين في إفريقيا ومشكلاتهم ، دار الثقافة للنشر والتوزيع ، القاهرة ، 1996 ، ص .90 وما بعدها ؛ ابتسام مرعي خلف الله ، العلاقات بين الخلافة الموحدية وشرق الإسلامي (564- 936هـ / 1130- 1569م)، دار المعارف ، مصر ، 1985 ، ص. 284 .
2- محمد بن مرزوق التلمساني ، المناقب ... ، ص. 48 .
3- فوزي سعد الله ، المرجع السابق ، ص .76 .

المبحث الثالث : التكامل الاقتصادي والأساس التجاري في اقتصاد المغرب الأوسط : الدور في التراجع الاقتصادي

المقصود بذلك محاولة التعرف على دور التجارة في عملية البناء الاقتصادي للمنطقة ومدى التكامل بين جميع مكونات الاقتصاد من صناعة وزراعة وتجارة في الحفاظ على قوة وازدهار الاقتصاد والتعرف أيضا على الوضعية التي آل إليها الاقتصاد خاصة بعد تراجع تجارة الذهب بهذه المنطقة وفقدان المنطقة لدورها التجاري القديم هذا إن كان فعلا تراجع تدفق الذهب العامل الرئيسي في تراجع الدور الاقتصادي.

إن البحث عن الخلفية الاقتصادية لذلك الصراع القائم بين دويلات منطقة المغرب الوسيط يدل على أنه كان صراعا من أجل الحصول على دور المراقب لطريق الذهب وأيضا السيطرة عليها وعلى الرغم مما يعترض هذه التغييرات من انتقادات فإنه يجب إهمالها أو التقليل من شأنها [1] .

وكما هو معلوم فإن تجارة الذهب لعبت دورا محوريا في ازدهار العديد من المدن على طول تلك المحاور التجارية وصولا إلى مدن ساحل المتوسط وحتى الدول الأوروبية والتي تطلعت دائما للوصول إلى مصادر ذهب الصحراء ، ولكن هل بالفعل يمكن اعتبار الشق التجاري وحده مسؤولا عن عملية بناء اقتصاد منطقة بكاملها وبمجرد تراجعه يكون الانهيار الاقتصادي دون وضع أي اعتبار للمكونات الاقتصادية الأخرى أي المواد الزراعية والصناعية والتي كانت من أسس ذلك التبادل التجاري.

يرى أحدهم أن توسع الملاحة البحرية حيث أصبحت الاتصالات مباشرة بين أوروبا وأسيا وأمريكا فيما بعد والتي تم ربطها فيما بعد بالانحطاط الحضاري الإسلامي ، طرح لا يخلو من الواقعية لإبرازه أهمية العامل الاقتصادي في البناء الحضاري كما يلفت الانتباه إلى التحول العميق

1- ا بن مرزوق التلمساني ، المناقب ... ، ص. 48. 49 .

الذي أحدثته الملاحة المباشرة عبر القارات ، لكن ذلك سيؤدي إلى نفي العوامل الاجتماعية والأنشطة الاقتصادية المتبادلة التأثير وفي الحقيقة لا يمكن نفي دور تجارة المبادلات والوساطة العالمية في ازدهار الحضارة الإسلامية فالعواصم المزدهرة على طول المبادلات لم تكن أسواقا وحسب وإنما كان انتاجها فائضا على عواصم الغرب المسيحي ومدن الشرق الأقصى [1] ومدن المغرب الأوسط من أهم المدن الواقعة على طول طريق المبادلات التجارية العالمية إذ اعتبرت حلقة وصل مهمة بين الشرق والغرب وشمال المتوسط وجنوبه وأيضا التوغل إلى أعماق الصحراء.

ولعل تنوع المواد الصناعية والمنتوجات الزراعية في قائمة السلع المصدرة أبلغ دليل على تشعب الاقتصادي وتكامله في نشاطاته ما بين الزراعة والصناعة والتجارة ، فكيف يمكن مع هذا التكامل الاقتصادي بين جميع القطاعات التي تؤدي عملية بناء اقتصاد منطقة معينة أن نتكلم عن عالم تزدهر حضارته بمحض تجارة الوساطة ، ثم يفاجئه الانحطاط بمحض تحول الطرق التجارية [2]، وتراجع التجارة بمادة من المواد التي يتم تبادلها وهي الذهب ، والتي لا يمكن انكار أهميتها ولكن من جهة أخرى هي تتجاهل الحركات الدقيقة للحياة الاقتصادية [3] بجميع مكوناتها.

ويذكر أحدهم أن مقدار الذهب السوداني لم ينقص لا في القرن الرابع عشر ولا في القرن الخامس عشر ،وقضية تحويل اتجاه طرق الذهب المسلم بها من قبل الكثير من المؤرخين الحاليين أنكرها بعض الباحثين في السنوات الأخيرة ، والذين كتبوا عدة مرات أنهم لا يؤمنون بتوقف وصول الذهب من الصحراء إلى المغرب ، وحسب رأيهم تثبت المستندات الإسبانية والإيطالية للقرن الخامس عشر استمرار هذا التيار [4] ، ثم إن مقدار الذهب الواصل إلى عواصم الشمال المغربي لم يكن بالكميات الضخمة والتي تستطيع تحويل بنيات اقتصادية من جذورها لمقدار

1- عبد الحميد مزيان ، النظريات الاقتصادية عند ابن خلدون وأسسها من الفكر الإسلامي والواقع المجتمعي ، وزارة الثقافة الجزائر، 2007 ، ص .101 .
2- عبد الحميد مزيان ، المرجع السابق ، ص .101. 102 .
3- عبد الحميد مزيان ، المرجع نفسه ، ص. 101.102 .
4- عطا الله دهينة ، الحياة الاقتصادية والاجتماعية لدولة بني زيان ، من كتاب الجزائر في التاريخ ، ص 487 ؛ جميلة بن موسى ، المرجع السابق ، ص .185 وما بعدها.

البضائع المحمولة ككل ومن ضمنها ثم مصاريف النقل تعويضات الحماية في النواحي المنتجة عن طاعة السلطان المركزي والحراسة والمؤونة[1].

ومن جهة أخرى يمكن القول بأن تطور التجارة البعيدة المدى قد ساهم في تطور الفلاحة وحتى الصناعة حيث أصبحت الكثير من المنتوجات تحتل مكانا بارزا في قائمة البضائع المتبادلة [2] ولكن من جهة ثانية يمكن اعتبار أن ذلك أمرا متبادل التأثير بمعنى أن التجارة لم تكن مزدهرة فقط بازدهار وتنوع العلاقات وإنما ذلك راجع إلى طبيعة ونوعية الاقتصاد نفسه ، فليست الطرق التجارية وحدها هي المسؤولة عن ذلك الازدهار بل تنوع المواد المعروضة وقوة الإنتاج المحلي، فإذن تراجع الدور الاقتصادي لم يكن بالأساس بتراجع الحركية التجارية وحسب وإنما الإنتاج الصناعي والزراعي هو في الحقيقة الذي شكل الغذاء الأساسي لاستمراريتها وما تراجعها إلا انعكاس لتراجع مستوى الإنتاج المحلي.

المبحث الرابع : مقارنة مظاهر التحولات الاقتصادية خلال العهدين الموحدي والزياني.

لتسهيل المقارنة بين تلك التحولات والمذكورة سابقا خلال عهد الموحدين وبني زيان لابد من التطرق لأهم ملامح التباين الاقتصادي بينهما ، حيث تشتمل المقارنة بالإضافة إلى ما تم ذكره من مظاهر للازدهار والتراجع على مجموعة من العناصر أهمها : السياسة الاقتصادية والمنتهجة وخاصة المالية ودورها في تطوير الاقتصاد والعكس ، والتنظيمات المستخدمة ودورها في ازدهار المجال الزراعي والصناعي وتنظيم المعاملات التجارية من حيث التوسع والانتشار وإبرام المعاملات ودورها في تحول الطرق التجارية البحرية.

1- عبد الحميد مزيان ، المرجع السابق ، ص. 101. 102 .
2- لحبيب الجنحاني ، دراسات ... ، ص. 112 .

كان للنظام المالي دورا بارزا في استقرار الحياة الاقتصادية ورفع الإنتاج أو خفضه والذي يتجسد أساسا من خلال مصادر الدخل والنفقات والذي نتميز فيه تغيرات واضحة ما بين بداية عهد الدولة والمعتمدة أساسا على ما أجازه الكتاب والسنة ، ثم بعد الاتساع وتزايد القوة والنفقات عادة ما تلجأ إلى فرض ضرائب جديدة [1] ، كان ذلك عند الموحدين وبني زيان مع الاختلاف في المقدار بينهما.

لقد شكلت الزكاة والعشور،وأخماس المعادن والغنائم [2] ، والخراج [3] ،مصادر دخل الدولة والتي شكلت في الواقع الأساس الذي تبنى عليه سياستها المالية ، وإن اعتبر المهدي بداية أراضي أعدائه المسلمين غنيمة واتبعه عبد المؤمن بن علي خطاه في بداية الأمر ، ولكن بعد رجوعه من غزوة **تونس (554ه – 1159م)** قام بتكسير أرض بلاد المغرب وفرض الخراج، وذلك من التنظيمات المستحدثة في المجال الزراعي والتي لم تكن موجودة من قبل.

وقد تقيد خلفاء دور الازدهار عند الموحدين وسلاطين بني زيان خاصة خلال الرخاء إلى درجة كبيرة بالمصادر الشرعية و لم يكلفوا الناس ضرائب غيرها ، كما نجد أن خلفاء الموحدين اتبعوا طريقتين أخيرتين لزيادة الدخل وهما: الاستثمار [4] والمصادرة [5] .

1- سامية مصطفى مسعد ، المرجع السابق ، ص .175. 168 .

2- الغنائم : لغة هياكل ما يناله الرجل والجماعة سبعي وشرعا هي كل ما أصابه المسلمون من الكفار عن طريق الحرب ؛ ينظر : الماوردي ، المصدر السابق ، ص 161 وما بعدها ؛ محمد عبد المنعم الجمال ، المرجع السابق ، ص 242 ؛ جودت يوسف عبد الكريم ، المرجع السابق ، ص 404 ؛ خلف محمد نجيب ، المرجع السابق ، ص. 118 .

3- الخراج : كما عرفه الماوردي ، هو ما " وضع على رقاب الأرض من حقوق تؤدي عنها " وثمة من رأي بأن الكلمة ليست عربية أصلية ، وإنما نقلت عن اللغة اليونانية عن طريق البيزنطيين أو هي تعريب الكلمة الآرامية (Choregia) والتي تعني الضريبة بصفة عامة ولكن اعتبرت بصفة عامة عربية بمعنى خراج الأرض يخرجه القوم في السنة بقدر معلوم ؛ ينظر : الماوردي، المصدر السابق ، ص 315 وما بعدها ؛محمد عبد المنعم الجمال ، المرجع السابق ، ص 281.283 ؛ صالح بن قرية ، تاريخ الجزائر ... ، ص 78 ؛الهادي د رقاش : " نظام الخراج من خلال كتاب الخراج لأبي يوسف القاضي " ، في مجلة : المورد ، المجلد 10 ، ع3-4 ، دار الجاحظ ، العراق ، 1402هـ / 1981م ، ص. 141. 142 .143 .

4- الاستثمار : والمتمثل في استصلاح الأراضي وزراعتها بالأشجار المثمرة فمنذ خلافة عبد المؤمن شرعت الدولة في عملية الاستثمار ؛ ينظر : عز الدين عمر موسى ، الموحدون في العرب ... ، ص. 286 . 287 .

5- المصادرة : شكلت مصادرة الأموال موردا دائما لاسيما من العمال المهمين بالتقصير في واجباتهم أو الخيانة في أعمالهم كما كانت أموال الثائرين على الدولة أو المؤيدين للأعداء والمعارضين تضم للمخزن ؛ ينظر : عز الدين عمر موسى ، الموحدون.... ص .286 . 287 ؛سامية مصطفى مسعد ، المرجع السابق ، ص. 178 .

والنظام الموحدي مستمد من النظام الإسلامي ومثله العبد الوادي والذي هو امتداد للنظام المالي الموحدي [1] ، مع بعض الاختلافات الشكلية خاصة ما تعلق منها بالعملة المتداولة وشكلها وحجمها والكتابات المدونة فيها.

وفي مقابل ذلك نجد ضرائب عصر الانحلال والتي أسهمت هي الأخرى في افقار العامة والتي عادة ما تكون بعد اضطراب حبل الأمن وتقلص وأراضي الدولة وانتشار الفتن ، وبعد أن نزلت المجاعات بالناس وتناهى الغلاء ففرضت مغارم ومكوس جديدة خاصة منها تلك المكوس المفروضة على التجارة الداخلية [2] ، ومنها مثلا على عهدين عبد الواد ذكرت الضريبة الجمركية [3] والحديث عن المكوس صعب عند بني عبد الواد لقلة الإشارات إليها والتي تدور في معظمها حول الضرائب أو المغارم التي كانت تتقل كاهل الرعية منها مثلا : ضريبة المرور المفروضة على المارين من هنين إلى تلمسان [4] ،طبقتها قبيلة المنبات.

وبما أنه قد كان للدولتين مصادر دخل فقد كانت لها نفقات [5] ،والتي تغيرت تبعا الحالة الاقتصادية السائدة حيث كان الأمن في مقدمة اهتمامات الدولة ، حيث أولتا الدولة الموحدية الجيش والأسطول اهتماما كبيرا موجها أساسا ضد أطماع نصارى إسبانيا [6] ، وحماية أيضا لطرق تجارتها الدولية من القرصنة البحرية [7] .

1- بوزياني الدراجي ، نظم الحكم ... ، ص. 219 .
2- صالح بن قربة ، عبد المؤمن ... ، ص .84 .
3- المفروضة على البواخر الأجنبية ، قدرها سلاطين بني زيان تعتبر قيمة السلع ؛ ينظر : بوزياني الدراجي ، نظم ... ص. 222. 223
4- بوزياني الدراجي ، نظم ... ، ص. 222.223 .
5- سامية مصطفى مسعد ، المرجع السابق ، ص 181 .
6- سامية مصطفى مسعد ، المرجع نفسه ، ص. 181 .
7- بوزياني الدراجي ، نظم ... ، ص 225 ..

وكنظيرتها العبداوية كانت لها نفقات تخص رواتب ومنح للموظفين وغيرهم وهدايا يمنحها الخليفة والسلطان وإعانات وصدقات ، مع مصاريف في على بعض المنجزات والمؤسسات والتجهيزات [1] .

واختص الموحدون بإعطاء الأشياخ الكبار رواتب تفرق عليهم طوال السنة سموها البركات[2]ومن المظاهر التي سهم في معرفة اقتصاد دولة ما السكة [3] ، والتي تعطي الصورة الحقيقية عن الأوضاع الاقتصادية والسياسية للدولة فهي تدل على مدى قوة الدولة أو ضعفها سياسيا واقتصاديا ، وتعتبر نوعا من أنواع تأكيد السيادة السياسية على الدولة [4] ، وقد ضرب الموحدون عملة صغرى أساسها الدرهم منها نصف درهم وربع وثمن ، والهدف من وراء ذلك كان تسهيل المعاملات حيث كانت دراهمهم مركنة غير أن الدينار ظل مدورا ، واختلف مقدار العملة باختلاف الخلفاء فلذلك كانت العملة تنسب إلى الخليفة الذي أمر سبكها فنجد مثلا الدرهم المؤمني واليوسفي أو اليعقوبي ، وقد توصف آخر عملة سكت بالجديدة [5] .

وما زاد من قوة السكة والتي أعطت بدورها قوة لاقتصاد الموحدين خاصة خلال مراحل الازدهار ، هو وزنها [6] ، والذي كان ضعف الدينار العادي ولهذا عرف باسم "دوبلا" (Dobla) عند النصارى ، حيث ضاعف المنصور الموحدي وزن عيار العملة ، لذلك قلده الأوروبيون فضربوا على شاكلها ما عرف باسم المليار (Milliars) ولكنه ذو قيمة منخفضة[7]

1- حيث ترتبت على عملية القرصنة ضياع جزء كبير من التجارة ، إلا أن الموحدين استطاعوا حل تلك القضايا المختلفة بأخذ قيمة ما استولى عليه القراصنة من أحوالهم المقيمين في الموانئ حسب الشريعة الإسلامية ، وذلك بحضور القاصي والأشياخ والشهود بالجامع الأعظم ، بل واستطاعت الدولة في مواضع أخرى حل تلك المشكلة عن طريق مراحلة حكام بيزة – مثلا- ليقوموا بأنفسهم بتوقيع العقوبات على هؤلاء القراصنة ؛ ينظر : ابتسام مرعي خلف الله ، المرجع السابق ، ص 276 .

2- ابن صاحب الصلاة ، المصدر السابق، ص. 42. 348 ؛ سامية مصطفى مسعد ، المرجع السابق ، ص. 403 .

3- السكة : هي الحديدة التي يطبع عليها الدينار والدرهم أو كما ذكر عبد الرحمن بن خلدون هي " النظر في النقود المتعامل بها بين الناس ؛ ينظر : المقدمة ، ص. 234 ؛ سامية مصطفى مسعد ، المرجع الاسبق ، ص. 190 .

4- حسن علي حسن ، المرجع السابق ، ص 225 ؛ سامية مصطفى مسعد ، المرجع السابق ، ص. 190 .

5- عز الدين عمر موسى ، الموحدون في .... ، ص 295 ؛ سامية مصطفى مسعد ، المرجع السابق ، ص .193. 194 .

6- بلغ وزن العملة الموحدية 4.729 غ (جراما) وهو الوزن الشرعي كما كان أيام سيدنا عمر الخطاب-رضي الله عنه- ؛ ينظر : حسن علي حسن المرجع السابق ، ص 229 ؛ عبد النبي بن محمد ، مسكوكات المرابطين والموحدين في شمال إفريقية والأندلس (رسالة لنيل درجة الماجستير في الحضارة الإسلامية في قسم الدراسات التاريخية والحضارية) ، مكة المكرمة 1978- 1979 ، ص. 43 وما بعدها .

7- جمال أحمد طه ، المرجع السابق ، ص. 18 ؛ أمبرو سيوهوثي ميرندا ، المرجع السابق ، ص. 320 .

وفي الواقع كانت تلك الزيادة حتى تتناسب مع ضخامة الدولة وثروتها وهي تشير إلى الرخاء الاقتصادي من جهة ووفرة الذهب بكثرة حتى تمكن الخليفة من زيادة وزن العملة [1] ، ولقوة تلك العملة استخدمت في إبرام المعاهدات التجارية التي عقدت بين بيزة وفلورنسا وأمراء المغرب[2] ، ومن جهتهم ورغم تعاملهم بالدينار والدراهم الموحدية إلى أن ذلك لم يمنع بني عبد الواد من صك نقود تخص دولتهم والذين تمكنوا من صك دنانير ودراهم في غاية الجودة وإن كانوا مقلدين في ذلك للموحدين حيث لم يبتكروا نماذج جديدة [3] ، وعموما تميزت حالة الخزينة العبداوية بصفتها الجيدة على الرغم من التغيرات المفاجئة التي كانت تطرأ على المحاصيل الزراعية من حين لأخر وكذلك التغيرات التي كانت تطرأ على الحدود بسبب الحروب مع الدولتين الحفصية والمرينية[4].

لقد ساعدت السياسة المالية المنتهجة وما تضمنت من إدارة مالية شكل أساسها الموازنة بين مصادر الدخل والنفقات في نسج علاقة مبنية على الثقة بين الحكام والرعية ، وذلك ما زاد من وتيرة الإنتاج وبالتالي افراز مراحل اقتصادية مزدهرة ، سواء خلال عهد الموحدين أو بني زيان ساهم في ذلك قوة العملة بالأخص على عهد الموحدين والذي تميز الاقتصاد على عهدهم بالقوة والتنظيم ولا يعني ذلك ضعف الاقتصاد الزياني ، ولكن الموحدين توفرت من عوامل القوة في اقتصادهم أكثر من بني زيان وعلى رأسها الأسطول الموحدي والذي حفظ في كثير من الأحيان توازن القوى في الحوض الغربي المتوسط وحماية خطوط التجارة البحرية ، خاصة وأن دولة بني زيان عرفت مراحل من الازدهار تخللها كثيرا مراحل تراجع وتدهور اقتصادي كبير صاحبه حدوث أزمات ومجاعات وكوارث طبيعية.

1- حيث كانت الثروات الضخمة من ذهب بلاد السودان من ضمن العوامل التي هيأت السيادة الاقتصادية ورفعت من قيمة النقود الإسلامية التي اعترف بها العالم أ جمع ؛ ينظر : حسن علي ، المرجع السابق ؛ ص 229 ؛ عبد البني بن محمد ، المرجع السابق، ص. 76 .

2- سامية مصطفة مسعد ، المرجع السابق ، ص 193 ؛ ولمزيد من التفصيل عن نقود الموحدين ؛ ينظر : عبد النبي بن محمد المرجع السابق ، ص. 41 وما بعدها ؛ رأفت محمد البنراوي ، النقود الإسلامية منذ بداية القرن السادس وحتى نهاية القرن السابع الهجري، زهراء الشرق ، القاهرة ، 2003 ، ص 271. وما بعدها.

3- بوزياني الدراجي ،نظم ... ، ص. 227 ؛ وعن نقود بني زيان ؛ ينظر : رأفت محمد البنراوي ، المرجع السابق ،ص. 313 وما بعدها ؛ Atallale Dhina, les étets…, P222 .

4- عطا الله دهنية ، الحياة الاقتصادية ... ، ضمن كتاب : الجزائر في ... ، ص. 487 .

ومن أبرز التنظيمات المستخدمة زراعيا وهو اعداد سجل المساحات والدخل المنظم للضرائب تجلى ذلك من خلال المسح الشامل للأراضي الشمال الإفريقي ، حيث أصبح هذا الإجراء قاعدة سار عليها خلفاء الموحدين من بعد ومصدرا من المصادر الثابتة لجباية الأموال حيث " ... أمر عبد المؤمن بتكسير بلاد إفريقية والمغرب وكسرها من بلاد إفريقية من برقة إلى بلاد نول من السوس الأقصى بالفراسخ والأميال طولا وعرضا فأسقط من التكسير الثلث في الجبال والشعراء والأنهار والسباخ والطرقات والحزون ، وما بقي قسط عليه الخراج وألزم كل قبيلة قسطها من الزرع والورق فهو أول من أحدث ذلك بالمغرب " [1] .

ولعل ذلك ساهم بتنظيم أكثر للضرائب لأن ذلك سمح للخليفة بمعرفة ما هي فائدة الضرائب بالنسبة للقبائل وما هو القدر الذي يجب أن تدفعه هذه القبائل ورغم أن الخراج لم يكن ضريبة قرآنية فقد تقبلها المكان المسلمون بدون إظهار الكثير من الإنتاج ، كما اهتم الخلفاء أنفسهم بتطوير الزراعة من خلال مد القنوات وتوفير مياه الري اللازمة ولم يكن هذا الاهتمام قاصرا على خلفاء الموحدين وحدهم بل كل السادة من ولاة بجاية وتلمسان وغيرها يعنون [2] بتطويرها ، كما فعل نظرائهم من سلاطين بني زيان والذي عملوا بدورهم على تطوير الشق الصناعي كما سبق الذكر.

وأما فيما يتعلق بالانتشار والتوسع التجاري باعتباره من أهم مظاهر الازدهار والرخاء الاقتصادي حسب ذلك التوسع ويمكن معرفته من خلال المعاهدات التجارية المبرمة ومدى قوة العلاقات التجارية وعلى الرغم من قوة الأسطول الموحدي ، إلا أنه لم يستطع السيطرة على غرب المتوسط [3] عموما ، حيث كانت تلك العلاقات رهنا بالعلاقات السياسية حيث عقد الموحدون

1- علي بن أبي زرع الفاسي ، الأنيس ... ، ص. 198. 199 .
2- حسن علي حسن ، المرجع السابق ، ص. 236. 237 ؛ عبد الحميد حاجيات ، الحياة الاجتماعية والاقتصادية في عهد المرابطين والموحدين ، ضمن كتاب ، الجزائر في التاريخ ... ص. 334 .
3- وذلك نظرا لجملة من العوائق اعترضت العلاقات الاقتصادية بين دولة الموحدين في المغرب والأندلس والممالك النصرانية منها قرارات المقاطعة من الجانبين حيث حرم الخلفاء الموحدون والملوك النصارى على رعاياهم معاملة رعايا الطرف الآخر تجاريا وكانت السلطة الإسلامية من جهتها تقرر التحريمات المتعددة ولاسيما فيما يخص القمح والمواد الغذائية والخيل والعتاد الحربي والرقيق من المسلمين ، ذلك كان الأمر بالنسبة لملوك النصارى ومنها قرارات البابوية التي حذرت النصارى من التعامل تجاريا مع المسلمين تنضاف إلى ذلك القرصنة البحرية ، حتى أنه كانت الممالك الإسبانية النصرانية تعترض طريق السفن الموحدية فتهاجمها

والزيانيون اتفاقيات تجارية تخدم المصالح التجارية لهما ، خاصة خلال مراحل الازدهار والقوةولكن بطبيعة الحال كان توسع تجارة الموحدين في المتوسط أكبر من توسع بني زيان القوة العملة والتي كانت أساس المبادلات التجارية وعند الحديث عن تجارة بني زيان يمكن القول بأنه قد كانت لهم مكانتهم في تجارة المتوسط والصحراء ونحو الشرق وموقع المغرب الأوسط شجع على مر العصور على المبادلات التجارية ، والتي كثيرا من تأثرت بالأوضاع السياسية ، ولكون دولة بني زيان لم تعرف الاستقرار إلا خلال مراحل محدودة فإن ذلك انعكس بدوره على درجة التوسع والانتشار التجاري إلا أن ذلك لم يكن عائقا أمام ابرام معاهدات تجارية متعددة [1] دون اغفال أهمية النشاط التجاري باتجاه الصحراء والذي كانت سلعه من أهم المواد التي يتم تبادلها مع الأوربيين وكذا بلاد المشرق.

وبالنسبة لبلاد الأندلس فقد ربطت بينها وبين البلاد المغربية خطوط بحرية تجارية حيث كانت السفن التجارية تنتقل بصفة دائمة بين سواحل الأندلس إلى بلاد المشرق والمغرب عبر البحر المتوسط حيث اقتضت صعوبة الاتصال بين مدن الساحل في البلاد الأندلسية برا أن يكون طريق البحر منى أهم وسيلة في تجارة بلاد الأندلس ، وأما الصحراء وعلى الرغم من عدم سيطرة الموحدين عليها كسابقتها إلا أنها ظلت تشهد نشاطا على طول الطرق الجنوبية على أن الموحدين نشطت الحركية التجارية عندهم على دول المناطق الساحلية إذا ما قورنت بالمناطق الداخلية.

تنضاف إلى توسع دائرة المبادلات التجارية تطور التقنيات المستخدمة في تلك المبادلات ما زادت في ازدهار الشق الاقتصادي ، حيث كان تجار جنوة ومرسيليا وغيرها من البلاد الأوربية

وتستولى عليها مع الإغارة على الموانئ والشواطئ ونهب وأسر من فيها ؛ ينظر في ذلك : أبو عبد الله بن سعيد العقباني ، المصدر السابق ، ص .214 ؛ هشام أبو رملية ، المرجع السابق ، ص .391 وما بعدها.

1- كان من أبرزها معاهدة تلمسان المؤرخة في سنة 286م / 686هـ المبرمة مع مملكة أراقون ومعاهدة تلمسان المؤرخة في سنة 1339م / 739هـ ميورقة ، عقدها أبو الحسن المريني ، حيث سمح لرعايا ميورقة بالتجارة في المغرب ، ولكن منع عليهم أن يصد روامنه القمح والسلاح والخيل والجلود المملحة والمدبوغة ومعاهدة بير بينيون المؤرخة في سنة 1362م / 762هـ ، لمدة خمس سنوات والمبرمة مع مملكة أرغونة أيضا ؛ ينظر : عطا دهنية ، الحياة الاقتصادية ... ، ضمن كتاب ، الجزائر في ... ، ص. 478. 479 ؛ محمد المنوني ، ورقات عن حضارة المرينين ، مطبعة النجاح الجديدة ، الدار البيضاء ، ط3 ، 2000 ، ص. 143

At Allah Dhina, opcit, P376 – 377 .

يتبعون في معاملاتهم مع المسلمين الأساليب نفسها والتي كانت متبعة في المعاملات التجارية في بلاد الإفرنج فكانوا يمارسون :

- **القروض العادية** : حيث كانوا يتقارضون مع المسلمين على أساس القرض المسمى بالبحري وفيه تحمل على رأس المال زيادات كبيرة لأن المستدين ينبغي أن يتحمل أخطار البحر [1] .

- **الكومندا (La Commenda)** : ذات المميزات الخاصة وترتيبها الموجز موضحة التنظيمات التجارية وأصناف التجار وقوانين الشراكة التجارية ، تنص أساسا على أن التاجر يشارك في أرباح التاجر المستدين ، ومثلا خلال القترة من **609ه / 1212م** حتى **642ه / 1246م** نجد أنه كان للتاجر الرأسمالي المرسلي (Manduel) عشرين عقدا من La Commenda خاصة باليهود المرتهنين لأعمال في النقل البحري إلى مدينة بجاية ، وهران وتلمسان وصقلية وإسبانيا وتونس [2] .

- **المشاركة (Societas)** : وفيه تقسم الأرباح على أساس رأس المال المقدم من كل الطرفين والجهد الذي يبذله كل منهما [3] ، ونجد في المعاملات إلى جانب العملة : استخدام السفاتج [4] ، والصكوك [5] وهي من وسائل المعاملات الهامة آنذاك .

تضاف إلى ذلك عملية شراء التجار للأسهم من السفن المسيحية ويبيعون أسهما من سفنهم إلى تجار الدول المسيحية ، وذلك تفاديا للقرصنة المسيحية فمثلا كان الوزير التلمساني

1- عبد الواحد المراكشي ، المصدر السابق ، ص. 231 .
2- عبد الواحد المراكشي ، المصدر نفسه ، ص .231 ؛ جمال أحمد طه ، المرجع السابق ، ص. 15. 17 .
3- عبد الواحد المراكشي،المصدر السابق،ص.231.
4- السفاتج : كلمة فارسية مفردها سفتجة ومعناها خطاب ضمان مالي ؛ ينظر : سامية مصطفى مسعد ، المرجع السابق ، ص. 194.
5- الصكوك : والصك معناه سند الدين وهي شبه في الوقت الحاضر الشيك ؛ ينظر : سامية مصطفى مسعد ، المرجع السابق، ص 194 .

هلال القطلاني مالكا لثلاثة أرباح لسفينة ميورقة وذلك ما يدلل على كثافة ومرونة العلاقات التجارية بين الدول المسيحية والدول الإسلامية للمنطقة الغربية للمتوسط [1] ،بحيث أنه وفي غمرة الانتقال من عصر دولة الموحدين إلى الدويلات الثلاث أرسيت قواعد للتجارة تقنن وتنظم ذلك الواقع من خلال تلك الاتفاقيات التجارية الثنائية مع الدول المسيحية [2] كتعبير على أهمية الدور التجاري الذي كانت تقوم به المنطقة في تجارة المتوسط وعدم انقطاعها بل توسعها وتجددها ، بالرغم من التغيرات السياسية التي عرفها المغرب الأوسط.

بالإضافة إلى ما سبق ذكره يمكن أن نلاحظ أيضا التشابه الكبير بين العوامل المؤثرة في اقتصاد المنطقة خلال مرحلتي الحكم الموحدي والزياني ما أعطى مراحل اقتصادية عرفت الازدهار والتراجع ولكن بدرجات متفاوتة من حيث طول الفترة الزمنية بحيث :

- عرفت دول الموحدين ذلك الازدهار خلال المراحل الأولى من عهدها وإن تخللت المراحل الأخيرة من حياتها فترات ازدهار واستقرار إلا أنها لم تكن بتلك القوة وطول الفترة الزمنية كسابقتها ، بينما الدولة الزيانية ما كانت لتدخل في مراحل ازدهار وبناء وتشييد حتى تفاجأ بمعاودة تهديدات الجارتين والقبائل المعادية ، تنضاف إليها في أواخر عمرها التهديدات الإسبانية المتكررة على السواحل بمدنها الاقتصادية المهمة ما قلص من مراحل الازدهار الاقتصادي خلال عمر هذه الدولة.
- كان من أبرز مظاهر الرخاء الاقتصادي بالمغرب الأوسط تطور العلاقات التجارية والتي توسعت باتجاه البر والبحر مع استقرار العملة واتساع مدى تداولها خاصة خلال مرحلة الحكم الموحدي إذا ما تم مقارنة ذلك الاستقرار مع مرحلة الحكم الزياني وإن ورث بنو زيان النظام المالي الموحدي مع بعض الاختلافات التشكيلية خاصة ما تعلق منها بشكل العملة والكتابة عليها وجودتها ، إلا أنه لم يكن بتلك القوة لإتباع نطاق دولة الموحدين

1- عطا الله دهنية ، الحياة الاقتصادية ... ، ص .481 .
2- عاشور بوشامة ، المرجع السابق ، ص .292 .

وتنوع مواردها الما انعكس بدوره على نشاط حركة البناء والتعمير مع حدوث العكس عند الخراب الاقتصادي ، خاصة ما تعلق بالشق الاقتصادي من إقامة لدور الصناعة في الموانئ وأرصفة للسفن وفنادق للتجار.

- كما أن تحول خطوط المبادلات التجارية واختلاف طبيعتها ساهمت هي الأخرى في تطور الأوضاع الاقتصادية بالإيجاب أو بالسلب وكان منها ما هو على مستوى طرق التبادل البري والبحري حيث شهدت أواخر ق **6ه / 12م** تحول الاهتمام إلى سواحل شمال إفريقيا بسبب تراجع سواحل شبه الجزيرة الأبيرية وازدهار تجارة المدن الإيطالية ما خدم المصالح التجارية للمغرب الأوسط ، ثم شهد النصف الأول من ق **7ه / 13م** تحول الاهتمام بمدن الغرب الإسلامي من المدن الإيطالية إلى المدن الفرنسية إلى رواج اقتصادي كبير في الحوض الغربي للمتوسط لكن النصف الثاني من ق **7ه / 13م** شهد فتورا في العلاقات التجارية والتي نشطت فيما بعد إبرام عديد المعاهدات التجارية وكان آخرها تحول طريق التجارة إلى الجهة الغربية من المحيط الأطلسي وانعكاساته على تجارة القوافل والذهب أواخر دولة بني زيان والتي اعتبرها بعض المؤرخين سببا في انحطاط الاقتصاد بل وتراجع الدور الحضاري للمنطقة ككل ، على أن دولة الموحدين تحكمت في كثير من الأحيان في تجارة المتوسط لقوة البحرية الموحدية ، بينما قام بنو زيان بدور الوسط التجاري لموقع المغرب الأوسط وإن أبرموا معاهدات تجارية مع أطراف أخرى إلا أنها لم تكن كسابقتها لتدخلات الموحدين بأسطولهم في البحر لحماية خطوط التجارة من القرصنة ، بل وحتى معاقبة المخالفين لبنود المعاهدات التجارية أحيانا كثيرة.

الفصل الثالث : آثار التحولات الاقتصادية على الحياة العامة اجتماعيا و حضاريا:

المبحث الأول : التأثير في المجتمع في حالة الرخاء الاقتصادي:

1- تحسن المستوى المعيشي.

2- التحول الاجتماعي للحياة المدنية

المبحث الثاني : الـــتأثير في المجتمع أثناء الأزمات الاقتصادية:

1- مظاهر تراجع المستوى المعيشي .

1-1- ارتفاع الأسعار.

2-1- التدهور الديمغرافي و العمراني.

2-دور السلطة في مواجهة الأزمات.

3-دور فئات مختلفة من المجتمع.

المبحث الثالث : دور الازدهار الاقتصادي في التطور الحضاري:

1- نشاط الحركة العلمية.

2- تطور حركة البناء و التعمير.

المبحث الرابع : ملامح التباين في درجة التأثر بالتحولات الاقتصادية اجتماعيا وحضاريا بالمغرب الأوسط الموحدي والزياني.

تمهيد:

كان من الطبيعي أن تكون لتلك التحولات الاقتصادية ، والتي كان المغرب الأوسط مسرحا لها آثارا في المجتمع الموحدي ثم الزياني ، من حيث تحسين المستوى المعيشي والعكس ،والذي سيكون له أكبر الأثر في النمو الديمغرافي ، أي تزايد تعداد السكان خلال مراحل الرخاء الاقتصادي ،يقابله تناقص في ذلك التعداد عند حدوث الأزمات ،و التي تبرز من خلالها ردود أفعال جميع فئات المجتمع وتتفاوت من السلطة ورجال الدولة،إلى الأولياء و الفقهاء و التجار وأصحاب الأموال ، و لم تقتصر تلك الآثار على فئات المجتمع و حسب، بل شملت نشاط الحركة العلمية، و تطور حركة البناء والتعمير بالتزامن مع تدفق الأموال أثناء ازدهار اقتصاد المنطقة؛ والخراب العمراني ،بعد حدوث الأزمات والفتن ذات الـــتأثير المباشر في الحياة الاقتصادية ، والتي كانت تشهدها المنطقة أثناء المرحلة المدروسة.

المبحث الأول : التأثير في المجتمع الموحدي و الزياني في حالة الرخاء الاقتصادي

تتجلى أبرز مظاهر ذلك التأثير في المجتمع ، من خلال تحسن المستوى المعيشي لدى الأفراد ؛ ما أدى إلى تزايد تعدادهم ، والذي رافقه التحسن في الظروف المعيشية بجميع جوانبها والتحول أيضا إلى الحياة المدنية ، الأكثر استقرارا.

1- تحسن المستوى المعيشي:

يرتكز المستوى المعيشي في مجتمع المغرب الأوسط ، وكباقي المجتمعات الأخرى على الوضعية الاقتصادية السائدة ، فيتحسن أوقات الرخاء ، ويتدنى في فترات الأزمات ، والمؤشر الأساس الذي يتحكم في ذلك المستوى هو قيمة الدخل والخرج [1]، أو كما قال عبد الرحمان بن

1- سمية مزدور، المرجع السابق ، ص . 41 .

خلدون : " ومتى عظم الدخل ، عظم الخرج وبالعكس ، ومتى عظم الدخل والخرج اتسعت أحوال الساكن ووسع المصر"[1] .

وعلى غرار دولة الموحدين ، شهدت دولة بني زيان فترات تطور فيها المستوى المعيشي كنتيجة الرخاء الاقتصادي ومن مظاهر ذلك التحسن استقرار الأسعار[2] ،والتمكن من ضبطها داخل الأسواق ، منعا لارتفاعها وما ينجر عن ذلك من إخلال ، بالحركة التجارية والمعاملات بين الناس والتجار ، خدمة للقدرة الشرائية لجميع الفئات.

والأسعار غالبا ما ترتبط بالوضع الفلاحي المتأثر بالنظام السياسي والظروف الطبيعية،فترتفع وتنخفض وفق ظروف العرض والطلب [3] ، وخلال مرحلة حكم الخلفاء الأقوياء ، برزت مظاهر تحسن المستوى المعيشي بشكل جلي ، وذلك من خلال استقرار العملة وصحة وزنها وإتساع مدى تداولها ، حيث كان موضع ثقة من ناحية الوزن وصفاء المعدن، كما سك الموحدون الدراهم والفلوس وهي العملة البرونزية الصغيرة ، فسهلت المعاملات التجارية في الدولة كلها [4] بين التجار والعامة والذين تمكنوا من اقتناء حاجياتهم دون عوائق؛ ومضاعفة العملة ، ما هو إلا دليل على مدى الرخاء المالي الذي كانت تعيشه الدولة ، وماله من أثر طيب على معيشة السكان.

1- عبد الرحمان بن خلدون، المقدمة ، ص . 366 .

2- كان المحتسب هو الذي يتولى تسعير الخضر والفاكهة في الأسواق ، ويفرض ذلك على أصحابها ، إذ جرت العادة أن يشتري الباعة هذه المنتجات الزراعية من أصحاب المزارع والبساتين دون سعر محدد ، ثم يقوم صاحب السوق بتحديد السعر بعد أن يعرف قيمة ما إشتروه ، ولا يدعهم يتشططون على الناس في الأرباح ، والعمل بذلك جرى قديما في أسواق بلدان المغرب وهو ما كان على عهد دولة الموحدين ثم بني زيان؛ ينظر: كمال أبو مصطفى ،جوانب من حضارة المغرب الإسلامي من خلال نوازل الونشريسي، مؤسسة شباب الجامعة ، الإسكندرية ، 1997 ص . 73 ؛ سامية مصطفى مسعد ، المرجع السابق ، ص . 152.

3- يحي ابو المعاطي محمد عباسي، المرجع السابق ، ص . 530.

4- عبد الواحد المراكشي، وثائق...، ص . 288.

ويمكن ملاحظة الترف الذي كانت تعيش البلاد عند القراءة عن المصحف العثماني[1] وما احتواه من جوهر نفيس ،وزمرد، وياقوت أحمر، وأصفر، وأخضر[2] ، و"البركة "أيضا ، والتي انتفع بها جنود الموحدين ذات يوم ، والتي فاقت بكثير "مليار من الفرنكات المغربية الحالية " [3].

وبالحديث عن المرحلة الانتقالية إلى الدولة الزيانية ، فإننا نجدها مصاحبة لأحداث سياسية وعسكرية وأمنية ، انعكست سلبا على الأوضاع الاقتصادية ، وبالتالي تدني مستوى المعيشة ؛ولكن بعد أن أرسى بنو زيان قواعد الحكم ، خاصة خلال مراحل معينة ، شهد المغرب الأوسط مراحل أخرى من الازدهار على مستوى معيشة السكان ، وظروف حياتهم ، وعلى اعتبار تلمسان وبجاية أكبر حواضر المغرب الأوسط آنذاك فإننا نجد مقاربة لأحوالهماعندما تحدث القلقشدي عن ذلك فقال : "وقد تقدم أن بجاية من المغرب الأوسط ، فتكون تلمسان في معناها ، وإن وقعت مخالفة في ترتيب المملكة ، فإنها تكون في القدر اليسير" [4] .

ويبقى الأمر نسبيا ؛ لأن قيمة الأسعار تتوقف على وجود السلع أو عدمها ، وعلى نشاط الأسواق ، أو ركودها ، وعلى قيمة المكوس المفروضة ، وهي تختلف من الأمصار الكبرى إلى الأمصار الصغرى ، وبين المدن والقرى والبوادي[5] ، وأيضا عند حدوث الأزمات الاقتصادية بسبب الأوبئة وتوالي سنوات القحط والجفاف ، و ما يلحقها عند حدوث المجاعات والسيول أيضا،فينخفض المعروض ويقل الإنتاج أو ينعدم ، فترتفع الأسعار حتى تستعصي على الفقراء وتعوز

1- وهو الذي كان عند الناصر لدين الله عبد الرحمان بن محمد، من خلفاء بني أمية بالأندلس، وكان في زمن الخليفة عبد المؤمن بن علي بجامع قرطبة، و الذي صنع له تابوتا، غلافه من الذهب، و رصعه بالياقوت الأحمر ، وكان فيه نفس الدر والياقوت والزمرد؛ ينظر: مؤلف مجهول، الحلل الموشية...،ص . 52 . 53 .

2- إبن صاحب الصلاة ، المصدر السابق ، ص . 53،301.

3- إبن صاحب الصلاة ، المصدر نفسه ، ص . 54.

4- القلقشندي ، المصدر السابق ،ج5 ، ص . 151 ؛ سمية ، مزدور ، المرجع السابق ، ص . 43.

5- سمية مزدور ، المرجع السابق، ص.43.

الأغنياء [1] وذلك ما أكده عبد الرحمان بن خلدون من خلال تحكم " قوى العرض والطلب "[2].

وبالنسبة لدولة بني زيان يمكن اعتبار سنوات (**707ه/1307م–738/1337م**) هامة نظرا للاستقلال التام الذي عرفته [3] ، حيث كانت الخزينة تزخر بالأموال ، وكانت للدولة معاهدات اقتصادية مع دول متعددة [4] ، ذلك ما أكسبها الثراء ، وعاد بعميم النفع على الرعية.

و كمظهر من مظاهر تحسن المستوى المعيشي ، هو تجمع الثروات في أيدي فئات التجار المختصين في التجارة البعيدة المدى أو "بروز فئات اجتماعية ثرية متخصصة في التجارة الكبرى"ولاسيما في اتجاه بلاد السودان [5] ، مصدر بضاعتين ثمينتين من بضائع العصر : الذهب والرقيق[6] ، حيث كان لهذه الفئة من المجتمع أدوارا معتبرة خلال مراحل الأزمات ، وفي تطوير وتنشيط الحركة الاقتصادية داخل المدن خلال مراحل الانفتاح.

ومن التلمسانيين الذين تحصلوا على ثروات ضخمة "أسرة المقريين" ، حيث كانوا يتمتعون بثقة ملك مالي ، الذي كان يعاملهم كأصدقاء أعزاء ، و بحضوة عند سلطان تلمسان الذي كانوا يثرون عاصمته و يملؤون خزينته بالرسوم التي يدفعونها [7] .

وفي الواقع ، شكل الإخوة المقريون همزة وصل بين سلاطين تلمسان، وملوك بلاد السودان في الميدان التجاري[8] ،"فمهدوا طريق الصحراء بحفر الآبار ، وتأمين التجار ، واتخذوا طبل الرحيل

1- يحيى أبو المعاطي محمد عباسي، المرجع السابق، ص . 537.

2- المقدمة ، ص367 ؛ أحمد فريد مصطفى و سهير محمد السيد حسن ، المرجع السابق، ص . 38.

3- عطاء الله دهنية، العصر الذهبي للزيانيين ، ضمن كتاب الجزائر في التاريخ ...،ص.383.

4- عطا الله دهنية، الحياة الإقتصادية...، ص. 489.

5- حيث كانت تتفرع الطرق التجارية ، بإتجاه سجلماسة، و منها إلى نواحي السوس و إلى تمبكتو، و تجلب قدرا عظيما من التبر ، ، جلود اللمط ،و هو نوع من الوعول غليظ الجلد، تصنع منه الدروع و سرج الخيل، و قد تبطن به السفن ، فكان الطلب عليه شديدا ، و كانت تجلب كذلك سن الفيل، وريش النعام و الخشب الصلب، و هي منتوجات ذات قيمة بالغة، و مصادر للثروة ، إذا ما تم الحصول عليها ، مضافة للذهب الوفير بتلك المناطق، المتصارف به، كما يتم التصارف بالملح لوفرته عند أهالي السودان ؛ ينظر : ابن بطوطة ، المصر السابق ، ص 441 ؛ حسين مؤنس ، ابن بطوطة ورحلاته ... ، ص . 32 ؛ ابتسام مرعي خلف الله ، المرجع السابق ، ص .288 .

6- الحبيب الجنحاني، دراسات ...، ص .142،217.

7- جورج ماسي ، المرجع السابق ص.98.

8- لطيفة بن عميرة ، "الرحلة التجارية بين تلمسان و ممالك بلاد السودان "، في مجلة :حولية المؤرخ ، ع5، دار الكرامة، الجزائر، 2008،ص.93.

الرحيل وراية التقدم عند المسير ، وكان ولد يحيي الذي كان أحدهم أبو بكر خمسة رجال ، فعقدوا الشركة بينهم فيما ملكوه وفيما يملكونه على السواء بينهم والاعتدال ، وكان أبو بكر ومحمد... بتلمسان وعبد الرحمان وهو شقيقهما الأكبر بسجلماسة ، وعبد الواحد وعلي ، وهما شقيقاهم الصغيران بأي والاتن فاتخذوا هذه الأقطار والحوايط والديار ، وكان التلمساني يبعث إلى الصحراوي بما يرسم له من السلع ، و يبعث إليه الصحراوي بالجلد والعاج والجوز والتبر... حتى اتسعت أموالهم ، وارتفعت في الفخامة أحوالهم..." [1] .

من ذلك ، يتضح أن أسرة المقريين تمكنت وبفضل النشاط التجاري ، من أن تصبح من أكبر الأسر الثرية ، وأصحاب الأموال ؛ وما ذلك إلا انعكاس لحيوية هذا الشق الاقتصادي ودوره في خلق مثل هذه الطبقة الاجتماعية ، والتي كثيرا ما تحكمت في المعاملات التجارية.

بالإضافة إلى ذلك يمكن القول بأن التزايد السكاني خير دليل على ذلك الرخاء الذي كانت تعيشه البلاد أثناء فترات الاستقرار ، فمثلا خلال مراحل عظمة دولة الموحدين ، وبفضل الازدهار الاقتصادي ، تزايد التعداد السكاني في مدن المغرب الأوسط.

وعلى عهد بن زيان تزايد تعداد سكان تلمسان بعد تناقصهم الكبير ، وعلى عهد السلطان أبي تاشفين الأول ، حيث بلغ عدد الدور فيها ستة عشر ألف دار مسكونة ، وساعد أخذ السلطان أبو حمو موسى الأول الرهائن ،وإسكانهم بالقصبة من تلمسان وسماحه لهم بالزواج على زيادة عدد السكان ، حيث وصل عدد السكان في المدينة في عهد أبي تاشفين الأول ما يزيد عن مئة ألف شخص على اعتبار أن معدل الأسرة الواحدة سبعة أفراد [2] .

1- لسان الدين بن الخطيب ، الإحاطة في أخبار غرناطة، تح: محمد عبد الله عنان، مكتبة الخانجي ، القاهرة ، 1973، ص .192.
2- مارمول كربخال ، المصدر السابق، ج2 ، ص. 302؛ بسام كامل شقدان، المرجع السابق ، ص161؛ عبد الرحمان جيلالي ، ، المرجع السابق ،ج2، ص .231.

كما تزايد تعداد سكان مدينة تلمسان ، بعد تناقصهم الكبير على عهد السلطان أبي حمو موسى الثاني ، المتميز بالرخاء والاستقرار ، حيث وصل عدد البيوت المسكونة إلى ثلاثة عشر ألف كانون أي دار [1] .

وللتدليل على المستوى المعيشي الجيد ، لابد من الإشارة إلى فخامة الاحتفالات على العهدين الموحدي والزياني ، فللوضع الاقتصادي المزدهر ، بطبيعة الحال ، أثر كبير على الحياة العامة، والاحتفالات المقامة لجميع المناسبات ، فكان منها احتفالات العسكرية والمدنية.

تلك الاحتفالات كان عبد المؤمن بن علي يحبها كثيرا ، حيث كانت تقام في كل مدينة يتزل بها الخليفة ، وذلك إحتفاءا به وتعظيما لشأنه ، وكانت توزع العطايا ، وتبركا بالقرآن الكريم قام الخلفاء بوضع مصحف عثمان بن عفان على جمل مرتفع عليه قبة حمراء لتصونه وهو منظم بالجوهر والياقوت الأحمر و الأصفر [2] .

هذا وكان تنصيب خليفة جديد ومبايعته أحد أسباب الاحتفال في سائر البلاد ، فكان أول ما فعله المنصور بعد توليه ، توزيع المال على الفقراء والمساكين ورد المظالم ، وإكرام العلماء والصلحاء وإجراء الإنفاق على أهل الفضل والصلحاء ، وتفريق الأموال على الجند، " ولما تمت له البيعة وأطاعته الأمة كان أول شيء فعله أنه أخرج مئة ألف دينار ذهبا من بيت المال ففرقها في الضعفاء من بيوتات بلاد المغرب وكتب إلى جميع بلاده في تسريح السجون ورد المظالم التي فعلها العمال في أيام أبيه وأكرم الفقهاء وراعا الصلحاء والفضلاء وأجرا على أكثرهم الإنفاق من بيت المال... وتفقد أحوال بلاده ورعيته ... وفرق في الموحدين وسائر الأجناد أموالا كثيرة " [3] .

لقد تعددت تلك الاحتفالات من الاحتفال بالمولد النبوي الشريف إلى الاحتفال بختم القرآن أو جزء منه ، والاحتفال بالأعياد ، العروض العسكرية ، وحتى تدشين مؤسسة أو مدرسة

1- الوزان ، المصدر السابق ، ج2،ص.19.
2- إبن صاحب الصلاة ، المصدر السابق ، ص. 301.
3- علي بن أبي زرع الفاسي، الأنيس...، ص. 217.

أو مسجد، أيضا الاحتفال بسباق الخيل ، وعلى غرار الموحدين ، كان لبني زيان نصيب من تلك الاحتفالات ؛ من ذلك مثلا ماذكره التنسي عند الحديث عن السلطان أبي حمو موسى الثاني في احتفالاته بالمولد النبوي الشريف ، حيث اكتسى على عهده حلة جميلة وطابعا شعبيا ورسميا منذ توليه العرش الزياني سنة **760ه/1359م**[1] إذ قال :

"وكان يقوم بحق ليلة مولد المصطفى – صلى الله عليه و سلم – ويحتفل لها بما هو فوق سائر المراسيم ، يقيم مدعاة يحشر لها الأشراف والسوقة ، فما شئت من نمارق مصفوفة وزرابي مبثوثة وشمع كالأسطوانات ، وأعيان الحضرة على مراتبهم ، تطوف عليهم ولدان ، قد لبسوا أقبية الخز الملون وبأيديهم مباخر ومرشات ، ينال منها كل بحظه... "[2] .

وكان احتفال العامة في تلمسان بالمولد النبوي الشريف بتقديم الشموع والتزين بأجمل الثياب وركوب الدواب ، والإكثار من الصدقات على الفقراء والمساكين وإعداد الأطعمة [3]، ونفس الأمر كان عند السلطان أبي تاشفين الثاني والذي "كان يحتفل لليلة المصطفى – صلى الله عليه وسلم – بأعظم الاحتفال ، ونسجه ونسج أبيه في ذلك على منوال..." [4] .

وقد كان للجيش الموحدي ، احتفالات عسكرية فخمة ، وكان الهدف من ذلك إبراز مدى قوة جيوشهم ، لإثارة حماس الناس وترغيبهم في الجهاد ، حيث كان يتم ذلك أما م كافة أفراد الشعب ؛مما كان له الأثر الكبير في المساندة المعنوية للجيوش المجاهدة [5] .

وقد اتبع الموحدون عادة العرض العسكري حيث كانت من الأشياء المحببة إلى نفس الخليفة عبد المؤمن بن علي ، حيث كان يجلس ويعرض جنوده وكتائبه ، وما يلحق بهذه المواكب

1- عبد العزيز فيلالي ، المرجع السابق ، ص. 281.
2- المصدر السابق ، ص. 162.
3- عبد العزيز فيلالي ، المرجع السابق ، ص 281؛ بسام كامل شقدان ، المرجع السابق ، ص. 169.
4- التنسي ، المصدر السابق ، ص 186 .
5- ليلى أحمد نجار ، المغرب و الأندلس في عهد المنصور الموحدي – دراسة تاريخية و حضارية (580-595ه/1184م-1198م)، (بحث مقدم لنيل درجة الدكتوراة في التاريخ الإسلامي في جامعة أم القرى)، مكة المكرمة، 1401ه/1989م، القسم الثاني ، ص278.

العسكرية أيضا من احتفالات بالنصر بمعركة من المعارك ، حيث كانت الفرحة تعم البلاد ويخرج الناس الأموال تصدقا على الفقراء وشكرا لله[1].

ومن جهة ثانية ، كانت ضخامة وفخامة تلك الاستعراضات تثير الرعب في قلوب النصارى لاظهار مدى تفوق الجيش الموحدي في عصره ، وكثرة عدد أفراده ، ومدى الاستعدادات المتوفرة له[2].

ومن ذلك أيضا ، حرص الخليفة المنصور على تأكيد قوة الدولة في نفوس الناس قبل خروجه لأية غزوة ، كسبا للتأييد المادي والمعنوي من الشعب ، من خلال تلك الاستعراضات والاحتفالات المرافقة لها ، وإثارة لحماس الجنود ، للتفاني في خدمة الدولة[3] .

ومن تلك الاحتفالات ، نجد الاحتفالات الدينية ، على اختلافها ، والمعروفة عند عامة المسلمين ، فمثلا في بعض الأعياد ، وأثناء مراحل الرخاء المالي ، كان الخليفة يفرق الأغنام على من حوله ، وذلك ما فعله الخليفة يوسف بن عبد المؤمن في عيد الأضحى لسنة **576ه/1171** بحيث وزع كباشا على إخوته ، و أشياخ الموحدين ووجوه دولة ، وقد بلغ عدد الأغنام التي فرقها المنصور الموحدي في عيد سنة **594ه/1197م** ، ثلاثا وسبعين ألف شاة من ضأن وماعز وزعها على الأمراء والجند والفقراء[4].

كما أقام الجيش الزياني عروضا عسكرية حضرها السلطان وكبار الموظفين في الدولة ، وأيضا العامة ، وذلك بهدف رفع المعنويات للشعب ، وتعريفهم بقوة الدولة والسلطان.

ومن ذلك العرض العسكري الذي شهدته تلمسان سنة (**625ه/1254م**) ، والذي حضره السلطان يغمراسن بن زيان في باب القرمادين ، وأيضا ايام السلطان أبو حمو موسى الثاني

1- حسن علي حسن، المرجع السابق، ص. 421.، 425.
2- ليلى أحمد نجار ، المرجع السابق ، ص. 280.
3- ليلى أحمد النجار ، المرجع نفسه ، ص .382.
4- حسن علي حسن ، المرجع السابق، ص. 420.

(**767ه/1365م**) [1] ، كما أقام بنومرين عروضا عسكرية في تلمسان ، وذلك بهدف إخافة الرعية وإبراز قوة بني مرين ، حيث أقام السلطان أبو عنان عرضا عسكريا مشهودا في تلمسان[2] .

وقد كان أهل تلمسان يخرجون في حفل وابتهاج ، إلى ظاهر المدينة لاستقبال السلطان أو أحد أفراد أسرته ، عند قدومه ، من سفر أو حرب ، ذلك ما ذكره صاحب كتاب زهر البستان عند استقبال أبي حمو موسى الثاني ، لوالده أبي يعقوب أثناء عودته من بلاد المغرب الأقصى ، بحمل الرايات والطبول ، وكان خروج الناس كأيام الأعياد[3].

وفي ذلك قال : "وعندما حل بالظاهر المذكور ، وأمر المولى أبو حمو بركوب جيشه المنصور.

ثم أخرج الطبول والعلامات وأمر أهل تلمسان بالزينة والخروج للملاقات فخرج الناس كالخروج للأعياد ، وركب الجيش في أحسن الاستعداد ، ولم يبق بتلمسان حاضر ولا بادي ولا رائح ولا غادي إلا وخرج نشد هذا القدوم العظيم و يحظر هذا الملتقى الجسيم . ثم خرج المولى أبو حموا في موكبه الباهر و جيشه المنصور الوافر إلى أن حل بظاهر البلد... فكان يوم لم يشهد في إقليم و لا يقع بمثله في الزمن القديم"[4]

2-التحول الاجتماعي للحياة المدنية:

رافق الازدهار الاقتصادي ، الذي شهدته المنطقة ، تحولا كبيرا في حياة سكانها الاجتماعية ودخلوا الحياة المدنية على نطاق واسع بعد أن غلبت عليهم البداوة ، شاملة الزراعة والرعي وأكتسبوا المعارف والخبرات الفنية ، ولم يعد البربري ، ذلك الذي عرفه الأندلسي محترفا للمهن

1- يحيى بن خلدون، المصدر السابق، ج2،ص81 و ما بعدها؛ بسام كامل شقدان، المرجع السابق،ص.166.
2- إبن الحاج النميري، فيض العباب و إفاضة قداح الأداب في الحركة السعيدة إلى قسنطينة و الزاب ، دار الغرب الإسلامي، بيروت ، 1990،ص484 ،485.
3- عبد العزيز فيلالي،المرجع السابق،ص.287.
4- مؤلف مجهول ، زهر الشبان...،ص 102.103 .

اليدوية بل أصبح يخشاه أرباب المال وأصحاب المهارات الفنية من الأندلسيين على أوضاعهم نتيجة لهذا التحول[1].

وقد ساهم في إنعاش حال السكان ، تشجيع الموحدين للعاملين في الزراعة والصناعة والتجارة ، وكثرة الرواتب وانتظام خروجها ، تنضاف إلى ذلك مساعدات الدولة ، فالمنصور عمل مثلا عمل على المساعدة الفقراء والمحتاجين بالعطايا الكثيرة [2].

ومن مظاهر ذلك التنافس ، في محاولة للرقي بالمستوى المعيشي ، نمط المعيشة فتلمسان مثلا ومن خلال مختلف مظاهر الحياة اليومية ، عمل سكانها على تطوير الصناعات المختلفة ، منها الأثاث الفاخر وتجارته ، وخياطة وطرز الملابس الزاهية ، دل على ذلك جودتها ، كما برزت الحفلات العائلية في المناسبات الدينية والاجتماعية [3] .

وما ساهم أيضا في ذلك التحول ،إلى حياة أكثر مدنية هو اشتغال الأندلسيين في كافة المجلات الحياتية ، وصبغ المدن التي نزلوا بها بالطابع الحضاري الأندلسي ، تجلى ذلك أساسا من خلال الفضاءات العمرانية ، في مختلف البناءات الدينية والدنيوية ، وفي التراث الفني والشعري وتلمسان من أبرز النماذج في ذلك ، فضلا عما كانوا يتمتعون به، من حرف متطورة وصناعات وفنون مختلفة ، طمعت النهضة المغربية وغذت معظم روافدها [4] .

1- عز الدين عمر موسى، النشاط ...،ص344،342 .
2- عز الدين عمر موسى ، المرجع نفسه، ص.345 .
3- جمال يحياوي، المرجع السابق،ص.92.
4- عبد العزيز فيلالي، المرجع السابق،ص.181.

المبحث الثاني : التأثير في المجتمع الموحدي و الزياني أثناء الأزمات الاقتصادية

1- مظاهر تراجع المستوى المعيشي:

1-1- ارتفاع الأسعار:

لا يمكن معرفة تأثير تلك الأزمات على المجتمع ، إلا من خلال مستوى المعيشة ، كما يبق ذكر ذلك ، وليس أدل على ذلك من القدرة الشرائية لدى العامة ، والتي كثيرا ما تأثرت أثناء تراجع الأوضاع الاقتصادية ، كان ذلك من خلال ارتفاع الأسعار ، والتي كانت تعرف ارتفاعا خاصة فيما يتعلق بالمواد الأساسية التي يعتمد عليها الناس من معيشتهم ، وحتى الدور والعقار ، فقد هيأت الصراعات ظرفا مواتيا ومناخا صالحا لتفكك الجهاز الإداري وانهياره ، وتبع ذلك تفشي الثورات والفتن به [1] ، والتي ما يتبعها عادة أزمات اقتصادية ، بسبب تدمير وسائل الإنتاج.

وقد أدى ذلك الوضع إلى تقلص أراضي الدولة وخراب الوضع الاقتصادي [2]، ما ساهم في الانهيار الاقتصادي المريع الذي رافق فترة انحلال الدولة الموحدية ، حيث قلت موارد الدولة وشحت فكانت الخزينة خاوية في أكثر الأحيان[3] ، وبالتالي كان تراجع العملات الاقتصادية للتجار والعامة فسجل ارتفاع القفيز [4] من القمح من **3** إلى **3.5** دنانير أي ما يعادل **35** درهما

1- عز الدين عمر موسى ، دراسات ...،ص.86.
2- عز الدين عمر موسى ، المرجع نفسه،ص.86.
3- نفسه،ص114.
4- القفيز: هو ستة عشر ويبة، كرويبة إثنة عشر مدا قرويا يقارب المد النبوي، و قد يساوي القفيز الصاع النبوي، و يتالف الصاع من أربعة امداد و سعته 4.215 لترا؛ ينظر سمية مزدور، المرجع السابق،ص43.

ببجاية وإفريقية[1]، خلال القرن **التابع الهجري/13م** ، ومن ثم خرقة من الصوف بلغت ببجاية **30** درهما خلال القرن **التابع الهجري/13م** [2] .

وخلال النصف الأول من القرن **الثامن الهجري/14م** ، بلغ القفيز من القمح خمسة دنانير أي ما يعادل **50** درهما . وأبلغ مظاهرا ارتفاع الأسعار ، هو أثناء حدوث تلك الحضارات المتكررة على حاضرة بني زيان ، فكثيرا ما كانت تنعدم الأقوات ، وترتفع الأسعار بالنسبة للسلع، إن توفرت داخل المدينة المحاصرة ، فبأيام الحصار الطويل"...تضاعف بتلمسان الجهد ، ونفذت الأقوات إلا ما خطر له... فكانت مدة هذا الحصار الأكبر والخطب الشديد ثماني سنين وثلاثة أشهر وخمسة أيام ، بلغ فيها عدد الموتى أهل تلمسان قتلا وجوعا زهاء مئة ألف وعشرين ألف وثمن صاع قمحهم إلى دينارين وربع الدينار ، وصاع شعيرهم إلى نصف ذلك... "[3] .

تضاف إلى ذلك مجموعة من المظاهر ، رافقت ذلك التدهور الاقتصادي ، من انتشار للغش من الباعة والتجار والصناع بالأسواق ، ما كان يعرضهم لعقوبة المحسب أو صاحب السوق ومن ذلك بيع الخبز ناقص الوزن وقيام صاحب الفرن بخلط القمح الرديء بالطيب وخلط العمل الجيد بالرديء ، والزيت القديم بالجديد ، ومزج اللبن بالماء وتبييض الأكسية بالكبريت و دهن التين بالزيت ، وقيام الجزارين بخلط اللحم السمين بالمهزول أو النفخ في اللحم وغير ذلك [4] .

وذلك ما أكده العقباني أيضا ، في مواضع متفرقة ، وتعدى الغش في ذلك إلى الغش في الدراهم والدنانير[5] ونسوق ذلك النماذج ذكرها الونشريسي ، ففي حديثه عن حكم الخلط العمل الجيد بالرديء والزيت ، تقديم بالجديد ، قال : " هذا من الغش ، قال مالك : وكذلك

1- سمية مزدور، المرجع السابق ،ص44،43.
2- الغبريني، المصدر السابق،ص.161.
3- يحيى بن خلدون، المصدر السابق، ج1، ص.211.
4- الونشريسي، المصدر السابق،ج6،ص54، 202 ،278 ،409، 410 ،412،413، 414 ،416،431 ؛كمال أبو مصطفى السيد، المرجع السابق ، ص.73.
5- المصدر السابق، ص 215، 234،233،232،227.

السمن والزيت ، إلا أن يخلطه ليأكل "[1] . وذكر في موضع أخر ، أحكام نفخ الجزار اللحم ، وخلطه لحم الضأن بلحم المعز وبيعة وجعل النفخ في اللحم مكروه عند أهل العلم ، فلينهوا عنه أشد النهي ، فإن عادوا أخرجوا من السوق[2] .

وفي نفس السياق ذكر:"حكم الجزار يخلط الهزيل بالسمين ، والخباز يبيع الخبز الناقص"[3] ومما انتشر أيضا من مظاهر الغش في الأسواق ، و هو بيع اللحم مخلوطا مع الدوارة والشحم ،حيث كتب إلى عبد الله بن أحمد بن طالب بعض قضائه يقول : وقد نهيت الجزارين أن يخلطوا الفؤاد مع اللحم . فما يقول القاضي في البطون مثل المصران والكرش وشحم البطون والدوارة هل ترى أن أسنعهم من خلطه ، فكتب ابن طالب بخط يده : أما اللحم فلاأ رى أن يبيعوا معه فؤادا ولا بطنا ولا يسعر عليهم "[4]، فالفقهاء نهوا ومنعوا انتشار مثل هذه المظاهر ، التي تضر في النهاية بمصلحة العامة.

أيضا وجود ظاهرة احتكار السلع ، حيث يذكر الونشريسي لجوء بعض التجار الجشعين إلى احتكار الطعام في السوق ؛ مما يؤدي إلى ارتفاع الأسعار وإضرار بالناس ، ولذا كان المحتسب يأمر بيع الطعام لهم و يكون للمحتكر رأس ماله ، أما الربح،فيصدق به على ذوي الحاجة أدبا له، وإذا عاد التاجر أو البائع إلى انتهاج هذه السياسة مرة أخرى يضرب ويطاف به في الأسواق ويسجن عقوبة له [5]، وكان أن شاعت ظاهرة الرشوة ، بعد ضعف قوة وهيبة الدولة ، حتى بين بين أمناء الأسواق الذين كانوا يتولون جباية المكوس أو الضرائب[6] .

ولم يقتصر ارتفاع الأسعار على المواد الغذائية أو الملابس ، بل تعداها إلى العقار ، والذي يمكن ربطه بتعداد السكان،إذ أنه وبعد أن كان ثمن الدار يقدر بـــــــــــ **60** دينارا خلال

1- المصدر السابق، ج6، ص413.
2- المصدر السابق،ج6 ،ص. 414.
3- الونشريسي،المصدرالسابق،ص .416.
4-ا لونشريسي،المصدر نفسه،ص431..
5- كمال أبو مصطفى السيد، المرجع السابق، ص.73.
6- سمية مزدور ، المرجع السابق،ص148.

القرن **التاسع الهجري/15م** بتلمسان ، أصبح ثمن العرصة ، أي باحة الدار فقط في أواخر القرن **التاسع الهجري/15م** يقدر ب **60 دينارا** ، ويمكن ربط ذلك بالاحتلال الإسباني لشواطئ المغرب الأوسط[1] ، بعد أن أصبحت الزراعة ، والتي كانت تشكل النشاط الاقتصادي الرئيسي للسكان تعاني من الاضطراب وعدم الاستقرار الناجمين عن التجزؤ والتفكك القائم بين الوحدات اليائسة الصغيرة.

يضاف إلى ذلك الغزو الإسباني ، والغارات التي كانت تستهدف المدن ؛ وقد أدى ذلك إلى تقلص المساحات المزروعة ، فهجر الفلاحون أراضيهم غير الآمنة إلى الأماكن أكثر أمنا [2] ،حيث شملت المناطق الساحلية ، أكثر منها المناطق الداخلية.

وقد كانت حركة السكان ، ونزوحهم إلى المدن الداخلية ؛ لذلك ارتفعت أسعار العقار بوتيرة متسارعة[3] ، كما كانت تحدث بالإضافة إلى ذلك خصومات بين الباعة والمشترين وبين الأجراء والمستأجرين.

لم يقتصر ذلك على القطاع الزراعي فقط ، بل طالت القطاعين التجاري والحرفي أيضا وأصبح التجار والحرفيون يدعون الأزمة كلما عانوا من الكساد أو الخسارة حتى يتملصوا من دفع ما عليهم من الكراء [4].

2-1- التدهور الديمغرافي و العمراني :

جاء التدهور في التعداد السكاني ، عقب الأزمات المختلفة ، كنتيجة حتمية لما كانت تخلفه من عواقب وخيمة على سير الحياة الطبيعية بالمغرب الإسلامي عامة والمغرب الأوسط خاصة ، حيث تأثر تعداد السكان بالحركات العسكرية والغزوات المستمرة ، والصراع الذي طبع حياة

1- سمية مزدور،المرجع نفسه،ص.47.
2- سمية مزدور،المرجع السابق،ص.47.
3- عمار بن خروف، المرجع السابق، ص.18.
4- سمية مزدور ، المرجع السابق ،ص.147.

مجتمع المغرب الأوسط ، خلال المرحلة المدروسة ، باستثناء المراحل التي شهدت الاستقرار الأمني والرخاء الاقتصادي.

منذ وفاة يوسف المستنصر كثرت المجاعات وغلت الأسعار ، فكان الخراب الاقتصادي والعمراني من جهة ، ومن جهة أخرى ، توالي المجاعات ،وسنوات القحط، والجفاف ،وغلاء الأسعار فكان الانهيار الديمغرافي كنتيجة ذلك [1] ، وتوقفت حركة العمران التي اشتهر بها الخلفاء الأربعة الأول ومرت المنشات القديمة [2].

ومن أهم المعارك التي صورت لنا من خلالها المصادر ، التريف البشري ، معركة حصن العقاب والتي فقد فيها الموحدون قوى بشرية كبيرة ، فوجد الموحدون "المغرب... قد باد أهله ورجاله ، وفني خيله ، وحماته وأبطاله ، وقتلت قبائله وأقياله ، قد استشهد الجميع في غزوة العقاب ، فأفقرت بلادهم فعمرها اليوم السباع والذئاب" .

وما ذلك إلا نموذج عن النتائج المترتبة عن تلك المعارك التي كان المغرب الأوسط خاصة،مسرحا لها ، والإسلامي عامة ، إضافة إلى النتائج المترتبة على الكوارث الطبيعية ، وما كان يلحقها من تدهور في تعداد السكان ، والأمثلة على ذلك كثيرة ، منها أن"عم الموات ببجاية"، بسبب استفحال الوباء والمجاعة ، كان ذلك سنة **588ه/1192م**[3] ، وفي سنة **635ه/1237م** أكل الناس بعضهم بعضا في المغرب [4]، وفي سنة **766ه/1364م** كانت الزلزلة العظمى بالجزائر[5] كما شهدت سنة **776ه/1374م** بربوع المغرب الأوسط ،وعموم المغرب ،مجاعة شديدة بسبب هبوب الرياح ذات إعصار [6] ، وإذن على طول القرون المتتالية،شهد المغرب الأوسط كوارث ومجاعات لم تكد تنتهي، و لم يكن الأمر بأحسن حالا على العهد الزياني أيضا ،

1- سمية مزدور ، المرجع السابق،ص.146.
2- إبن عذاري المراكشي، المصدر السابق،ج3 ، ص 265 و ما بعدها ؛ عز الدين عمر موسى ، دراسات ...،ص. 114 .
3- عز الدين عمر موسى ، دراسات ...،ص. 114 .
4- إبن عذاري، المصدر السابق،ص.180.
5- علي بن أبي زرع الفاسي، الأنيس...،ص.362،255.
6- يحيى بن خلدون، المصدر السابق،ج1 ،ص. 325،ص.326.

وتجدر الإشارة أيضا إلى تأثر حاضرة بني زيان بكل حصار يقع على أهلها وخاصة الحصار الطويل، ثم حصار سنة **735ه-737ه/1336م-1338م** ، حيث قتل السلطان يوسف بن يعقوب المريني خلقا من أهلها ونازلها أياما،و ارتفعت الأسعار بها[1].

وقد بلغ عدد سكان تلمسان قبل الحصار الطويل أكثر من مئة وعشرين ألف شخص ؛لأن عدد السكان الذين قتلوا فيه بلغ حوالي مئة وعشرين ألف شخص ، قتل معظمهم أثناء الحصار ، ولا يستبعد أن يفقد سكان تلمسان هذا العدد ، لأن السلطان أبو يعقوب المريني شدد الحصار على تلمسان بعد بناء المنصورة ، فأصبح الخروج من المدينة أمرا صعبا ، حيث"يترل شديد العقاب والسطوة لمن يجيرها ويأخذها بالمرصاد على من يتسلل ، بالأقوات إليها[2]" .

يضاف إلى ذلك ، خروج أعداد من أهل ، تلمسان في بداية الحصار ، قبل بناء مدينة المنصورة ، مما أفقدها عددا كبيرا من السكان[3].

كما تناقص تعداد السكان في تلمسان مرة أخرى بصورة كبيرة بعد دخول بني مرين إلى المدينة سنة **737ه/1377م** ، حيث قتلوا ما يزيد على ثمانين ألف شخص داخل المدينة[4].

وقد أعتبر القرن الثامن الهجري الموافق للرابع عشر ميلادي من أسوأ العصور التي عرفها الحوض المتوسطي ، لكثرة أزماته ، وقد وصف بأنه قرن مطبوع بالكوارث ، وعلى رأسها الطاعون الأسود ، الذي اجتاح البلاد المغاربية، وأوروبا الغربية إبتداءا من سنة **749ه/1348م** حيث تقدر بعض الدراسات الخسائر البشرية التي خلفها الطاعون الأسود ما بين ثلث أو نصف سكان المغرب الإسلامي ، ما دفع أحدهم للقول بأن المغرب عرف نزيفا ديمغرافيا من جراء الطاعون الأسود[5].

1- عبد الرحمان بن خلدون، المصدر السابق،ج7،ص. 227.
2- عبد الرحمان بن خلدون، المصدر نفسه، ص127..
3- بسام كامل، شقدان، المرجع السابق ،ص.161.
4- عبد الرحمان بن محمد الجيلالي، المرجع السابق،ص.59.
5- إبن مرزوق، المناقب...،ص. 49.

وقد وصف لنا عبد الرحمان بن خلدون ذلك قائلا : هذا إلى ما نزل بالعمران شرقا وغربا في منتصف هذه المئة الثامنة من الطاعون الجارف ، الذي تحيف الأمم ، وذهب بأهل الجيل وطوى كثيرا من محاسن العمران ومحاها ، وجاء للدول على حين هرمها وبلوغ الغاية من مداها ، فقلص من ظلها ، وقل من حدها ، وأوهن من سلطانها،و تداعت إلى التلاشي والاضمحلال أحوالها وانتفض عمران الأرض بانتفاض البشر فخربت الأمصار والمصانع ، وتبدل الساكن [1] ".

ويرى بعضهم أن الأزمة العمرانية التي أشار إليها عبد الرحمان ابن خلدون ، والتي عاشها المغرب الإسلامي بصفة عامة ، خلال القرن **الثامن الهجري / الرابع عشر ميلادي** ، والتي أصابت مدنه بالتقلص الديمغرافي ، والتدهور العمراني إنما بدأت حقيقة الأمر منذ منتصف القرن الخامس **الهجري/11م** ، لتصل إلى ما وصلت إليه عامي الطاعون الجارف **(748ه-749ه/1348م-1349م)** [2] ، فالتدهور العمراني إمنا جاء كنتيجة لقرون توالت عليها الأزمات والكوارث ، حتى وصل العمران إلى ما وصل إليه خلال القرن الثامن الهجري و ما يليه.

وعليه فقد استمر التناقص السكاني خلال القرن **التاسع الهجري/15م** ، كنتيجة للصراعات والاضطرابات الداخلية والحروب الخارجية التي لم تنقطع في البر والبحر ، تضاف إليها أثار الآفات الطبيعية من أوبئة ومجاعات على السكان [3] .

ولم تكن انعكاسات ذلك الطاعون تقتصر على الجانب الديمغرافي والاقتصادي ، وإنما طالت حتى الجوانب الدينية والنفسية ، وعلى رأسها تقوية الشعور الديني ، وإقبال الناس على المتصوفة واعتقادهم في الصلحاء والأولياء ، وقد جاء ذلك حسب مستوى التفكير والوجهة التي كانت تسيطر على الأبناك المغاربي لهذه المرحلة ، حيث اعتبر أن ذلك غضبا من الله يقتضي التوبة

1- عبد الرحمان بن خلدون، المقدمة،ص .406.
2- الحبيب الجنحاني ، دراسات ... ، ص . 150 .
3- الزركشي، المصدر السابق،ص 147،141،95،52 ؛عاشور بوشامة، المرجع السابق،ص. 300.

حيث وجد في الميل إلى العزلة والانقطاع للعبادة ، وسيلة للتهرب من هذه الحياة المليئة بالكثير من التناقضات والتحديات للصراعات [1] .

2- دور السلطة في مواجهة الأزمات :

لابد أن للأزمات الاقتصادية المختلفة الأسباب ، تأثيرا شديدا على العامة ، كما على السلطة والحكام ، فالدور السلطوي في المجتمع زمن حدوثها ، كان نابعا من منطق رغبة السلطان في تثبيت أركان ملكه ، وذلك بغية الحصول على شرعية الحكم [2]، ومن ذلك مثلا الجهود التي قام بها الخليفة المنتصر الموحدي لتفادي المجاعة الواقعة بالمغرب سنة **616ه/1219م** ، حيث أمر بفتح مخازن الطعام الذي جمعه طوال سنوات الرخاء والخصب وتفريقه ،على أن تكون بثمن للأغنياء ، ومجانا للفقراء والمحتاجين ، فكانت صدقاته كثيرة حتى استطاع الناس تجاوز هذه المحنة[3].

ويسجل في هذا الإطار اتخاذ السلطة لعديد الإجراءات ، للتخفيف من حدة تلك الأزمات،خاصة ما تعلق منها بنقص المحاصيل الزراعية،فكان اتخاذ المطامير[4]، فعند زيادة الإنتاج يتم شراؤه من المزارعين لخزنه فيها لأوقات الحرب والحصار ، و تلك المواد المخزونة ، كانت تعود بفائدة اقتصادية واجتماعية [5] كبيرة عند اشتداد الأزمات داخل مدن وقرى المغرب الأوسط،و قد كان منها مدينة قسنطينة ، والتي شهد لها الإدريسي ، وأعجب بأمر الحنطة تقيم بها في مطاميرها مئة سنة لا تفسد[6].

1- إبن مرزوق، المناقب ...،ص.50؛عبيد بوداود، المرجع السابق،ص.187 .
2- سمية مزدور، المرجع السابق،ص.146.
3- إبن عذاري، المصدر السابق،ص.267،266.
4- المطامير:ج مطمورة:و التي كانت جزءا لا يتجزء من مرافق الكثير من الأسر في المغرب الأوسط في مدنه و بواديه، على حد سواء، و التي كانت تستخدم لتخزين الفائض من الزرع،تحسبا لسنوات الشدة، و أوقات البرد و الثلج؛ ينظر:إبن مرزوق، المناقب...،ص.160.
5- بسام كامل شقدان، المرجع السابق،ص.174.
6- الإدريسي ، المصدر السابق .ص.

وحتى أثناء فترات الازدهار ، تبقى طبقات فقيرة ، والتي كانت تعيش من الصدقات ومن عائدات الأحباس ، ومن أموال وغلات ، كما أن السلطة لم تتوانى عن مساعدتهم ، كلما سنحت الفرصة [1] .

ومما جاء في ذلك أن عبد المؤمن بن علي كان يقوم مرة أو مرتين في الشهر بتوزيع النقود، وكان دائما يستطلع أخبار الناس ، وعند مجيئهم لقصره ، لقضاء حاجاتهم ،كان أحيانا يغلق باب قصره ، ويحسب الناس الحاضرين ، ويعطي لكل واحد منهم عشرة دنانير ، وقد كان يكرر هذا الفعل عدة مرات في السنة وحتى في كل شهر [2] .

ومن جهتهم عمل سلاطين بني زيان ، على توفير كل ما تحتاجه الرعية ، باللجوء إلى الادخار مثلما فعل السلطان أبو حمو موسى الأول ،بحيث "لم يدع ما يحتاج إليه المحاصر لعدة سنين كثيرة حتى حصله من الأقوات والآلات حتى سليت الشحوم ، وتمليت بها الصهاريج وملئت أبراج المدينة بالملح والفحم والحطب ، واختزن أرضا داخل المدينة كلها زرع ، ومات أبو حمو وولي بعده أبو تاشفين فزادها تحصيلا من الأقوات ، وتحصينا من الأسوار والآلات ، وبنى بها البناءات العجيبة الشكل... [3] . أيضا ولولا تلك السياسة المنتهجة من طرف عديد سلاطين بني زيان،لما تمكنوا من اجتيازعديد الأزمات ، التي قلت فيها الأقوات وكادت أن تقضي على الحياة في أكبر حواضرها ، من خلال الاعتداءات المتكررة على المدن التابعة لها من طرف الجارتين الحفصية والمرينية.

ومن جهة أخرى فقد وفرت دخلا جيدا عند طرحها للبيع بالأسواق ، في الأوقات العصيبة كما حدث **776ه/1374م** ، حيث طرحت الدولة ما هو موجود بالمخازن بأسعار

1- سمية مزدور، المرجع السابق،ص.70.
2-عبد الحميد حاجيات،الحياة الإجتماعية والإقتصادية فيعهد المرابطين والموحدين ، ضمن كتاب الجزائر في التاريخ...،ص.333.
3- العمري، المصدر السابق،ص.204.

منخفضة فقد : " أمر أيده الله بفتح أهراء الزرع وإباحة بيعه للناس بعد الحط من سعره رفقا بالناس وحفظا لنظام الحياتهم " [1] .

وتجدر الإشارة أيضا ، إلى أن تأثر الزراعة كان له تأثير بطبيعة الحال ، على مستوى التغذية لدى السكان ، حيث كانت المزروعات عرضة للدمار والسلب والنهب من قبل المهاجمين [2] ولذلك عملت السلطة على توفير الأمن من جهة ، ومحاولة الحفاظ على الحد الأدنى من الأمن الغذائي ما أمكنها ، من جهة ثانية ، ومن ذلك ، ما ذكر عن هجوم مجموعة من اللصوص على مكان للزرع وسرقوا ما فيه ، بالإضافة إلى قطع السبل ،والإفساد في الأرض ونهب أموال وبضائع التجار والمسافرين[3].

ومما ذكر أيضا أن أبا الحسن المريني أعطى لضعفاء أهل تلمسان اثنا عشر ألف دينار واثنا عشر ألف كساء ، ومن الطعام مطامير لا تحصى كثرة[4] ، كان ذلك عند دخوله إليها.

وقد ذكر ابن مريم أن السلطان محمد بن أبي تاشفين قد زار الشيخ أبا الحسن أبركان وترك عنده دراهم كثيرة ، ليفرقها كيفما شاء ، ونفس المهمة كلف بها هذا الشيخ من طرف السلطان أبي فارس المريني عندما دخل تلمسان[5].

وتجلى اهتمام السلاطين ، بالأمر ذاته ، من خلال الوصايا لأبنائهم ، والتي كان منها الوصية الملكية للسلطان أبي حمو موسى الثاني لابنه وولي عهده ، وذلك بقوله:"إن كان زمن القحط ومحل مجاعة واقعة وأزل ، فتفرق بهم في المخازن والمجابي ، وتحسن لضعفائهم المحتاجين وتحابي وتؤثرهم مما ادخرته لشدائدهم في زمن الرخاء من فوائدهم،فتعمر أسواقهم بما اختزنته من

1- يحي بن خلدون ، المصدر السابق ، ج2 ، ص . 326 .
2- بسام كامل شقدان، المرجع السابق،ص.175.
3- كمال أبو مصطفى، المرجع السابق، ص50.
4- إبن مرزوق، المسند....،ص.193،192.
5- إبن مريم، المصدر السابق،ص.90،89.

الطعام مما يقام به أود الناس في ذلك العام ، فإذا كنت يا بني عاملا على هذا الأسلوب جبلت على محبتك كل القلوب..."[1].

كما كانت وصيته على الادخار بقوله : "ينبغي ألا تفارق ذخيرة من الذخائر ، مما غلا ثمنها وخف حملها ، كاليواقيت والجواهير الثمينة العظيمة التي لها نفاسة وخطرا وقيمة تصادر بها أعداءك وتصلح بها آراءك ، فإن إقتناء الذخائر عونة على الشدائد والضرائر"[2].

3- دور فئات مختلفة من المجتمع :

تباينت أدوار فئات المجتمع المختلفة عند حدوث الأزمات ، نقتصر على ذكر أهمها من الفقهاء والأولياء والصالحين ، وحتى التجار ، ومعاملاتهم مع العامة ، الذين تباينت تصرفاتهم كل حسب أهوائه ومصالحه ، و ما يميله عليه ضميره.

إن الدور الريادي الذي قام به شخص الولي جعله لأن يكون بمثابة الزعيم الروحي في المجتمع فالاعتقاد به ، والإيمان العميق بكل الطقوس الصادرة عنه،من كرامات وخوارق ومكاشفات،ظلت ذهنية راسخة في نفوس أفراد المجتمع حكاما ومحكومين ، والإيمان ببعض الخوارق ، ربما يفسر مدى الجهل وتدني المستوى الثقافي عند كثير من سكان المغرب الأوسط من جهة ، أو ربما كان التفاف العامة حول رجال التصوف ، للتعبير عن تذمرهم ، ذلك لأن رجال التصوف كانوا يهتمون بمشاكل الفقراء والمساكين ، ويخرجون من أموالهم لأولئك الفقراء[3].

ولعل الدور السياسي والاجتماعي الذي جسده الولي في المجتمع ، تجلى أكثر في أوقات الأزمات على اختلاف طبيعتها ، من خلال محاولة تحسين المستوى المعيشي ، والتقليل من حدة

1- سعيد بن حمادة:"الخطاب الإسلامي في تلمسان خلال القرن8ه/14م من خلال واسطة السلوك لأبي حمو موسى الزياني"، في مجلة : عصور الجديدة،ج2،وهران،2011،ص.306.
2- سعيد بن حمادة، المرجع السابق،ص.306.
3- التادلي، المصدر السابق،ص124،87،84،144،129؛عبيد بوداود، المرجع السابق،ص.193؛عز الدين عمر موسى ، النشاط...،ص.347.

الفقر عن طريق الأداء الكرامي أو الدعاء أو تشجيع الصدقة،وسياسيا فتجلى في معارضة السلطة وأعوانها خصوصا المكلفين منهم بجميع الضرائب [1].

وخلال حكم الموحدين ، حاول الطامحون إلى الحكم ، استثمار الموجة الصوفية خاصة في خلافة المنصور والناصر ، فادعوا الهداية وهاجموا التباين المادي والحرمان الاجتماعي، والظاهر أن المنصور شعر بتذمر العامة وخطورة التباين الاجتماعي ، فحاول التقرب من العامة بمشروعاته وعطاياه المالية واستقطب المتصوفة حوله[2] ، وذلك لعلمه الكبير بدورهم الهام داخل المجتمع خاصة أثناء حدوث الأزمات ، وبالتالي كسبهم لامتصاص غضب العامة.

ومما جاء أيضا أدوار الأولياء عند الأزمات ،مثل ما جرى لأهل بلد قسنطينة عندما حاصرهم بنوغانية ، فلجئوا إلى وليهم أبي الحسن علي بن خلوف ليستسقي لهم فلبى ذلك وأمطرهم الله مطرا غزيرا ، تحطم به سد بني غانية ، وخلص أهل قسنطينة من هذا الحصار[3].

والمجتمع الزياني ،شهد هو الأخر تضامن الأولياء والفقهاء ، أثناء حدوث الأزمات ، وكان منهم أبو العباس أحمد بن مرزوق ، الذي كانت له مطامير من القمح والفحم والخليع والزيت،والذي كان يفتحها أمام الفقراء والمحتاجين ، ويتصدق بها طوال يومه فلا يعود إلى مترله ، إلا بعد أن يفرغ المطامير[4]، حيث كانت عائلة المرازقة التلمسانية تشتغل بالعلم ، والتجارة والفلاحة ، كما كانت عائلة العقباني ، تعد من العائلات الميسورة الحال بمدينة تلمسان ، تحترف العلم والوظيف والتجارة ، وعائلة النجار التلمسانية ، التي كانت تمتلك أموالا وثروة [5] ، لم تتوانى في تقديم المساعدات للفقراء والمحتاجين.

1- سمية مزدور، المرجع السابق،ص.151.
2- عز الدين عمر موسى، النشاط...،ص . 349.
3- سمية مزدور، المرجع السابق،ص.151.
4- عبد العزيز فيلالي ، المرجع السابق ، ص . 255 .
5- عبد العزيز فيلالي، المرجع نفسه، ص.255.

وكان الفقيه الولي الصالح أبو زيد عبد الرحمان بن يعقوب،يفضل أن يقدم طعامه وطعام عياله للمساكين والمحتاجين ، الذين تأثروا بالمجاعة ، وهذا ما يدل على أن المتصوفة اقرب إلى قلوب الناس ، خاصة الفئة الضعيفة ، لأنهم يؤازرونهم وقت المحن[1].

كما ذكر الغبريني عن الولي أبي الحسن الحرالي **637ه/1239م** ، أنه عندما أصاب الناس جفاف ببجاية دعا الله بان يمطرهم ، فاستجاب الله له وأمطرهم مطرا غزيرا [2] ، ولعل ذلك يدل على المكانة الكبيرة التي حظي بها الأولياء عند العامة ، خاصة أثناء حدوث الأزمات ودور الفقهاء الكبير في مساعدة الفئات الأكثر تضررا عند حدوث الأزمات ،ومن ذلك أيضا الجهود المبذولة على مستوى التشريع الفقهي بتقديم بعض الرخص ، أو على المستوى الفعلي للتخفيف من آثار هذه الأزمات ، حيث أجاز الفقهاء بيع بعض الأراضي المحبسة على الفقراء وصرف ثمنها عليهم زمن الشدة خوفا عليهم من الهلاك جوعا[3] ،وقد منع الفقهاء والقضاة ايضا على التجار أيام المحن احتكار السلع [4].

كما شددوا النكير على متلقي السلع في الفنادق ،وألزموهم بإنزالهم إلى الأسواق ليدركها الضعيف والقوي ، كما منعوا الناس من بيع القمح والشعير زمن الشدائد للأعراب ، حتى لا تفوق شوكتهم المسلمين[5] .

وأما التجار فقد كان لهم دور كبير أثناء حدوث الأزمات ولم يكن يتجه دائما توجها سلبيا والذي تجلى أساسا في إغتنامهم الفرصة ، لتغلية أو احتكار السلع وعدم إخراجها في الأسواق ومن ذلك الموقف الذي قام به الولي يحي أبي علي الزواوي **611ه/1214م** إبان المجاعة الواقعة ببجاية سنة **611ه/1214م** ،حيث قصد أعيان بجاية لجمع المال منهم حتى يتمكن من

1- إبن مرزوق الخطيب، المناقب...،ص147؛ عبد العزيز فيلالي، المرجع السابق،ص.214.
2- عبد العزيز فيلالي ، المرجع السابق،ص.255.
3- الغبريني، المصدر السابق،ص.151.
4- سمية مزدور، المرجع السابق،ص.146 و ما بعدها.
5- العقباني ،المصدر السابق،ص131،127.

كراء الفندق يجمع فيه المساكين والمحتاجين لمساعدتهم ، كما برز دور العامل في الفندق للمساهمة في هذا الموقف النبيل من خلال طلبه من الولي أن يحسب كراء الفندق عليه لكن قوبل طلبه هذا بالرفض وفضل هذا الولي أن يدفع له ما جمعه من المال[1]

المبحث الثالث : دور الازدهار الاقتصادي في التطور الحضاري

يبرز ذلك التطور الحضاري من خلال نشاط الحركة العلمية ، وتطور حركة البناء والتعمير:

نشاط الحركة العلمية :

يساهم انتشار الأمن والعدل في العادة ، في تسهيل سبل التبادل العلمي ، إضافة إلى توفر الموارد المالية الضرورية لذلك التواصل العلمي ، مما ساعد على خلق حركية علمية ، وهذا ما شهده المغرب الأوسط الموحدي والزياني خلال مراحل الازدهار وعند هذا المقام نقتصر على ذكر نماذج للتدليل على ذلك .

إن الاستقرار الأمني وسهولة التنقل أعطى دفعا للعلماء ولطلبة العلم في الاستزادة والتنقل بحثا عن التحصيل المباشر من العلماء أنفسهم ، فعلى عهد المنصور مثلا وصلت النهضة العلمية إلى أوج ازدهارها بعد استقرار طويل ، نتيجة جهود كبيرة من جده ثم والده ، وساهم تدفق الأموال في تلك الفترة على إقرار ذلك الرقي الذي وصلته البلاد في عهد في كافة المجالات [2] .

وبالفعل فإن عبد المؤمن بن علي لم يترك من رسائل التشجيع وأسباب التنشيط شيئا إلا وفعله، واستحدث في ذلك أساليب خاصة وكيفيات لم يتبع مثلها أحدا [3] ، ومن خلال إنشاء

1- سمية مزدور ، المرجع السابق،ص.48،47.
2- ليلى أحمد النجار ، المرجع السابق ، ص . 170 .
3- عبد الله كنون ، النبوغ المغربي في الأدب العربي ، المغرب ، ط2 ، 1960 ، ج1 ، ص . 112 . 113 .

المدارس والمساجد ، وغيرها من المؤسسات العلمية ، فازدهرت بذلك المعارف بالمغرب وجل المناطق التي توسع فيها الموحدون [1] .

وبالحديث عن بني زيان ، فقد ساهموا هم أيضا من جهتهم في تشجيع الحركية العلمية بتقريب العلماء، وإجراء الأرزاق عليهم وحتى اقطاعهم ، ومنهم العالم أبو إسحاق إبراهيم بن يخلف عبد السلام التنسي ، الذي أقطعه يغمراسن بن زيان بعد رفضه عودته إلا بلاده بقوله : " نحن لا ندعك ترجع ولكن نرسل إلى أهلك من ينقلهم إلينا " ، فكان كذلك وأقطعه أمير المسلمين اقطاعات من جملتها تيرشت التي اقطعت بعد انقراض عقبه لأبني الإمام [2] .

ولم يكن لهم ذلك لولا الرخاء المالي الذي كانت تعيشه الدولة خلال مراحل معينة وقد كانت المنافسة قائمة بالمغرب الإسلامي ككل ، بين ملوك ربوعه في مجال العلوم والآداب [3] وعنايتهم بإنشاء المؤسسات العلمية واستدعاء أشهر العلماء للتدريس فيها [4] .

وقد استخدمت أموال عصر الازدهار في البناء والتشييد ، ومن ذلك كان بناء المؤسسات التعليمية والمساجد ، حيث أسست في عهد بني زيان مدارس تلمسان الخمس ، فكانت معاهد عليا للتعليم ولتكوين الإطارات في شتى المجالات ، على غرار المدارس النظامية التي أنشأت في المشرق ، وما تم تشييده بعدها في سائر أنحاء العالم الإسلامي [5].

1- محمد المنوني ، حضارة الموحدين ، دار تو بقال ، الدار البيضاء ، 1989 ص . 17 ؛ محمد مبارك الميلي ، المرجع السابق ، ج2 ، ص. 335 وما بعدها .
2- التنسي ، المصدر السابق ، ص . 127 .
3- مريم سكاكو ، المرجع السابق ، ص . 40 وما بعدها .
4- ابن مرزوق ، المناقب .... ، ص . 202 ؛ محمد بوشقيف ، تطور العلوم ببلاد المغرب الأوسط خلال القرنيني الثامن والتاسع الهجريين (14- 15م) ، أطروحة دكتوراه في التاريخ الوسيط ، قسم التاريخ والآثار ، جامعة تلمسان ، 1432ه / 2011م ، ص . 55- 56 ؛ عبد العزيز فيلالي ، المرجع السابق ، ص . 141 وما بعدها
5- عبد الحميد حاجيات ، " الحياة الفكرية بالجزائر .... ، ص . 428 .

2-تطور حركة البناء والتعمير :

يعتبر البناء والتعمير المرآة الصادقة التي تعكس بحق أحوال الدول ومجتمعاتها خاصة في الجانب الاقتصادي ، كما يتبين صدق التطور والازدهار الذي بلغته والعكس .

لقد اهتم الموحدون بالبناء والتعمير والذي نال اهتمامهم بالمغرب أو بالأندلس ، والتي استلزمت أموالا كثيرة ، فقد كان من أبرز سمات عصر الموحدين في طور ازدهاره العمران الواسع ، من خلال إنشاء الكثير من المدن الجديدة وتزويدها بكل ما تحتاجه من منشآت وإصلاح المدن القديمة ، كما عملوا على إصلاح الطرق ، ومد الجسور وتشييد المساجد والمدارس والمستشفيات [1] ، ولعل أبرز معالم النهضة العمرانية في هذه الفترة هو العمل على جلب المياه للمدن أو المؤسسات والمزارع [2] وتلمسان مثلا في نظام الري اشتهرت بتنظيمها الدقيق فيه ، بحيث كان المزارعون يتعاونون فيما بينهم على سقاية الأرض على نحو بالغ للغاية في الترتيب [3]،من خلال القنوات المقامة لذلك وأيضا في الفنون الجميلة كالترويق وعمل الفسيفساء والحصون والمنارات [4]

سار على نهج تشجيع والتعمير خلفاءه عبد المؤمن بن علي ، ولما جاء المنصور عرفت حركة البناء والتشييد ازدهارا كبيرا ، يقول المراكشي : " كان مهتما بالبناء وفي طوال أيامه لم يخل قصره يستجده أو مدينة يعمرها " [5] ، حيث حققت الدولة على عهده انتصارات كبيرة استخدمت عائداتها في البناء.

وبعد المنصور عرفت حركة البناء والتعمير نوعا من التراجع ، ويعود ذلك إلى أفول دولة الموحدين ، وتراجع سلطانها ، ومداخيلها .

1- مجهول ، الاستبصار ... ، ص . 137، 138، 139، 140، 180، 181 ؛ عز الدين عمر موسى الموحدون في الغرب ... ص . 53 .
2- عز الدين عمر موسى ، الموحدون ... ، ص . 53 .
3- كمال أبو مصطفى ، المرجع السابق ، ص . 63 .
4- عز الدين عمر موسى ، الموحدون ... ، ص . 53 .
5- مراجع عقيلة الغناي ، سقوط دولة ... ، ص. 166 .

وعموما فقد حافظت دولة الموحدين على ما قبلها من عمران وحضارة ، غير أن عنايتها بالأندلس والمغرب الأقصى ، كانت أكثر من عنايتها ببقية المغرب ومن أبرز ما تركه الموحدون على أرض المغرب الأوسط ، إعادة بناء مدينة البطحاء بالشمال الشرقي من غليزان ، والتي كانت تعرف بالدرة حوالي سنة **555ه / 1159م** [1] .

كما أمر عبد المؤمن بن علي بناء أسوار تاجرا مسقط رأسه وأعلى الأسوار ، وحصن المدينة وبنى جامعها ، كما قام الموحدون بإصلاح الجامع الكبير بتلمسان ، وبتأسيس قبة أبي مدين والتي شهدت إصلاحات عديدة ، حتى أنه من الصعب تحديد تاريخ الإصلاح الذي يعود إلى العهد الموحدي ، إضافة لدار الصناعة لمرسى هنين التي ساهمت في صنع مراكب عديدة [2] .

وقد عرفت منطقة الغرب الإسلامي توسعا كبيرا في بناء المنازل ،والقصور داخل المدن وخارجها وهذا يعود إلى الاستقرار الذي عرفته البلاد والازدهار الاقتصادي الكبير الذي سجل في عهد الموحدين ، كما عملوا على إنشاء القلاع والحصون ، خاصة الخلفاء المتأخرين منهم لأنهم كانوا في فترة تراجع وانحطاط ، حيث اشتدت عليهم الأخطار في الداخل والخارج معا ، ومن ذلك كان الحصن الذي بناه الموحدون قريبا من تلمسان [3]

كما اهتم خلفاء بني زيان بالبناء والتعمير ، اشتهر منهم عبد الرحمن أو تاشفين الأول (**718ه– 1318م / 737خ– 1337م**) ، والذي "كان مولعا بتحبير الدور ، وتشييد القصور مستظهرا على ذلك بآلاف عديدة من فعله الأساري ، بين نجارين وبنائين وزليجين وزواقين فخلد آثارا لم تكن لمن قبله ولامن بعده ، كدار الملك ودار السرور ، وأبي فهر والصهريج الأعظم ... وحسن ذلك كله ببنائه المدرسة الجليلة العديمة النظير التي بناها بإزاء الجامع الأعظم ... " [4] .

1- البيدق ، المصدر السابق ، ص . 38 ؛ محمد بن مبارك الميلي ، المرجع السابق ، ج2 ، ص . 333. 334 .
2- رشيد بوروبية ، "الحياة الفنية في عهد المرابطين والموحدين" ، ضمن كتاب : الجزائر في التاريخ ، ص . 351 ؛ محمد بن مبارك الميلي ، المرجع السابق ، ص. 333 .
3- حسن علي حسن ، المرجع السابق ، ص . 388 .
4- التسيني ، المصدر السابق ، ص . 140 . 141 .

وعموما ترك بنو زيان آثارا عديدة عكست طبيعة العمران الذي عرفته دولتهم خاصة خلال مراحل البناء والتشييد ، ومن ذلك نجد المباني العسكرية ، من أبرزها معسكر "تامزدكت" بأمر من السلطان أبي تاشفين الأول في سنة **525ه / 1325م** ، أثناء حصاره لمدينة بجاية وهي تحت سيطرة الحفصيين آنذاك [1] .

ومن ذلك أيضا نجد المباني الدينية أشهرها مسجد سيدي أبي الحسن ،وأولاد الإمام وسيدي إبراهيم وقبتي سيدي مرزوق ، وسيدي إبراهيم وعددا كبيرا من المآذن [2] وأيضا المدارس ، منها مدرسة أولاد الإمام ، والمدرسة اليعقوبية والمدرسة التاشفينية [3] ، دون إغفال المباني التي شيدها بنو مرين عند دخولهم تلمسان أهمها : مسجد ومصلى المنصورة ، ومسجد وقبة ومدرسة سيدي أبي مدين ومسجد سيدي الحلوي [4] ، والقصور أيضا منها : دار السرور ، ودار الملك ، ودار أبي فهر ، كما سبق الذكر ،ومن قصر المشور الذي شيده يغمراسن مازال منه إلا السور الذي أدخلت عليه إصلاحات عديدة [5] .

المبحث الرابع : ملامح التباين في درجة التأثر بالتحولات الاقتصادية اجتماعيا وحضاريا بالمغرب الأوسط الموحدي والزياني

إن الآثار التي خلفتها تلك التحولات الاقتصادية في المجتمع الموحدي والزياني تشابهت في معظمها ، فارتفع المستوى المعيشي لدى السكان وتحولت حياتهم إلى الاستقرار والمدينة أكثر من ذي قبل خاصة مع تزايد الهجرة الأندلسية إلى المغرب الأوسط الزياني ، فاقتبس منهم السكان

1- رشيد بوروبية ، " الحياة الفنية في عهد الزيانيين والمرينيين" ، ضمن كتاب الجزائر في التاريخ ، ص . 495 ؛ بوزياني الدراجي ، نظم الحكم ... ، ص . 116 .
2- رشيد بوروبية ، المرجع السابق ، ص . 496 وما بعدها .
3- رشيد بوروبية ،المرجع نفسه ، ص . 498 وما بعدها .
4- عبد العزيز فيلالي ، المرجع السابق ، ص . 145 وما بعدها .
5- رشيد بوروبية ، المرجع السابق ، ص . 504 .

المحليون الكثير مما طوروه من نظمهم وشؤون تسيير حياتهم ،وظهر ذلك جليا في الإدارة والصناعة، ونظم التعامل التجاري والعمران ، وطورت الزراعة حيث استفادت هذه الأخيرة من خبرتهم وتقدمت أشواطا.

وبالمقابل وبالحديث عن الأزمات الاقتصادية ، فغالبا ما كانت تشهد الأسواق ارتفاعا كبيرا في أسعار سلعها ، وهذا ما أثر على القدرة الشرائية للسكان ، وكثيرا ما أعقب تلك الأزمات التدهور الديمغرافي ، وتراجع النشاط الاقتصادي والذي ينعكس بدوره على النشاط العمراني ، والذي كثيرا ما تراجع من جراء تناقص موارد الدولة .

وسجل أثناء حدوث مثل تلك الأزمات مواقف عديدة للحد منها ، وأحيانا أخرى من أطراف معينة لقضاء مصالحها وحسب ، فالسلطة الحاكمة سواء الموحدين أو بني زيان قد تدخلت للحيلولة دون استفحال تلك الكوارث ، من خلال تقديم المساعدات وفتح المخازن والمطامر للسكان وتشجيعهم أوقات الرخاء على التخزين ، كما تدخل صلحاء وفقهاء المجتمع لمساعدة الفقراء خاصة أولئك العلماء الذين نشطوا في الشق الاقتصادي، فساعدهم ثراؤهم على التدخل في أوقات المحن.

ولعل الرخاء الاقتصادي ، وعموم الأمن الذي كانت تشهده البلاد ساهم بقسط وافر في تنشيط الحركة العلمية ، وتنقل والعلماء عبر الأقطار ، حيث شجعهم في ذلك الخلفاء والسلاطين ، بل وتنافسوا في استقطابهم ، وإجراء الأرزاق عليهم ، كما انعكس ذلك الازدهار الاقتصادي على حركة البناء والتعمير ، والتي شهدت هي الأخرى وتطورا ملحوظا في كلا العهدين ، خلدتها تلك الآثار الباقية ،على أن دولة الموحدين كان لها النصيب الأكبر من تلك الحركة ، تحدثت عنها تلك القصور والمنازل ، ومختلف المباني المشيدة في المغرب والأندلس.

خـــاتـــمة

خاتمة :

من خلال ما سبق ذكره يمكن القول أن الدولة الموحدية عرفت نموا وقوة اقتصادية أكبر منها خلال مرحلة الحكم الزياني للمغرب الأوسط ، وذلك للاعتبارات التالية :

- طول فترة المراحل التي شهدت فيها الدولة الموحدية الاستقرار الأمني والسياسي، ما أتاح لها الفرصة للبناء والتعمير، وتطوير الاقتصاد والذي لا يقوم إلا بانتشار الأمن ، وتمكن الحكام من القضاء على الثورات والفتن ذات التأثير المباشر على الانتاج، وطرق المواصلات وخطوط المبادلات التجارية ، والتي كثيرا ما هددتها الغارات المرينية أو الحفصية المتكررة على أراضي المغرب الأوسط خلال مرحلة الحكم الزياني ، وكذا تهديدات الأوروبيين لسواحل المتوسط الجنوبية وأيضا القبائل المعادية لحكم بني عبد الواد.
- إن قوة العملة الموحدية أعطت مراحل اقتصادية أكثر قوة وعمرا ،مقارنة بعملة الدولة الزيانية ؛لكون هذه الأخيرة عرفت مراحل ازدهار قصيرة ، إذا ما قورنت بالأولى وعلى اعتبار حجم المبادلات التجارية الكبيرة التي حظيت بها دولة الموحدين ،والتي كانت فيها عملة هذه الأخيرة أساس التعامل بها ؛ ولكن ذلك لا ينفي نشاط و ازدهار المبادلات التجارية على عهد بني زيان، والذين قاموا في الغالب بدور الوسيط التجاري؛ إلا أن تحول اقتصاد المنطقة ككل من اقتصاد دولة واحدة مسيطرة على الطرق التجارية البحرية بأسطولها القوي ، إلى اقتصاد دويلات متناحرة حال دون تحقيق ذلك الازدهار خلال المرحلة السابقة ، حيث قام الموحدون بدور محوري، أو كانوا المحرك الأساسي لتلك المبادلات والطرف الفاعل فيها، ينضاف إلى ذلك عدم امتلاك بني زيان لذلك الأسطول الذي استخدم في كثير من الأحيان لحفظ التوازن في الحوض الغربي للمتوسط.

وتجلى دهاء المسلمين في الحفاظ على مصالحهم التجارية من خلال امتلاك أسهم في مراكب تجارية مسيحية ضمانا لعدم الاعتداء عليها ، إضافة إلى مجموعة من التقنيات والأساليب المستخدمة في التبادل التجاري الموحدي أو الزياني .

- وعموما عرفت مدن المغرب الأوسط تطورا كبيرا في علاقاتها التجارية ،وقد جاء ذلك من خلال تلك المعاهدات التجارية التي حددت معالم المعاملات التجارية ، وحتى أنواع البضائع التي يجب تبادلها مع احترام الحقوق بين الطرفين ، وضمان الأمن والتي كانت تزدهر والعكس تبعا للأوضاع والعلاقات السياسية والاقتصادية.
- كما شهدت المنطقة مرحلة المرور من اقتصاد زراعي إلى اقتصاد متعدد ، وذلك بفعل التطور التجاري خلال مراحل الازدهار والانفتاح ، كما عرفت تطورا في المجال الصناعي باستخدام تقنيات وآلات جديدة مستخدمة في الأعمال الصناعية ، ونفس الأمر متعلق بالمجال الزراعي ساهم في ذلك بقسط وافر التأثير الخارجي على تلك التقنيات، والأساليب المستخدمة.
- عرف اقتصاد المنطقة مراحل كان التصدير فيها إلى الخارج ،بالمقابل عرف مراحل تدهور اقتصادي ، خاصة خلال مرحلة ضعف الدولتين والذي اتضح بشكل جلي خلال مرحلة حكم بني زياني في إطار الصراع الدائر بين دويلات المغرب الإسلامي من جهة، ودويلات الضفة الشمالية للمتوسط والسعي للوصول لمنابع الذهب ، ومن ذلك كان الصراع على المدن ذات الأهمية الاقتصادية، والتجارية خاصة مع تكرر حملات الجارتين والتي كانت تهدف إلى التخريب وإخضاع القبائل لبسط النفوذ السياسي ، والإضرار بالحركة التجارية.
- ثم إن تحول الطرق التجارية خلال المراحل الأولى من عمر دولة الموحدين ساهم بشكل إيجابي في التطور الاقتصادي خاصة بعد أن تحول الاهتمام التجاري من المدن الإيطالية إلى المدن الفرنسية ، والتي أصبحت مدن المغرب الأوسط خاصة والإسلامي عامة محطتها المفضلة تجاريا ،وما زاد من قوتها قوة الدولة الموحدية اقتصاديا خلال مراحل ازدهارها .

وفي المقابل، إن تحول طرق تجارة الذهب في أواخر دولة بني زيان وعلى رأي الكثيرين قد ساهم في تراجع الدور الاقتصادي للمنطقة ككل ، بل وحتى تراجع دورها الحضاري ، فهل يمكن اعتبار هذا الطرح ذا قيمة ، إذا ما أخذنا بعين الاعتبار أهمية جميع مكونات الاقتصاد في عملية البناء الاقتصادي ؟.

الملاحـــــق

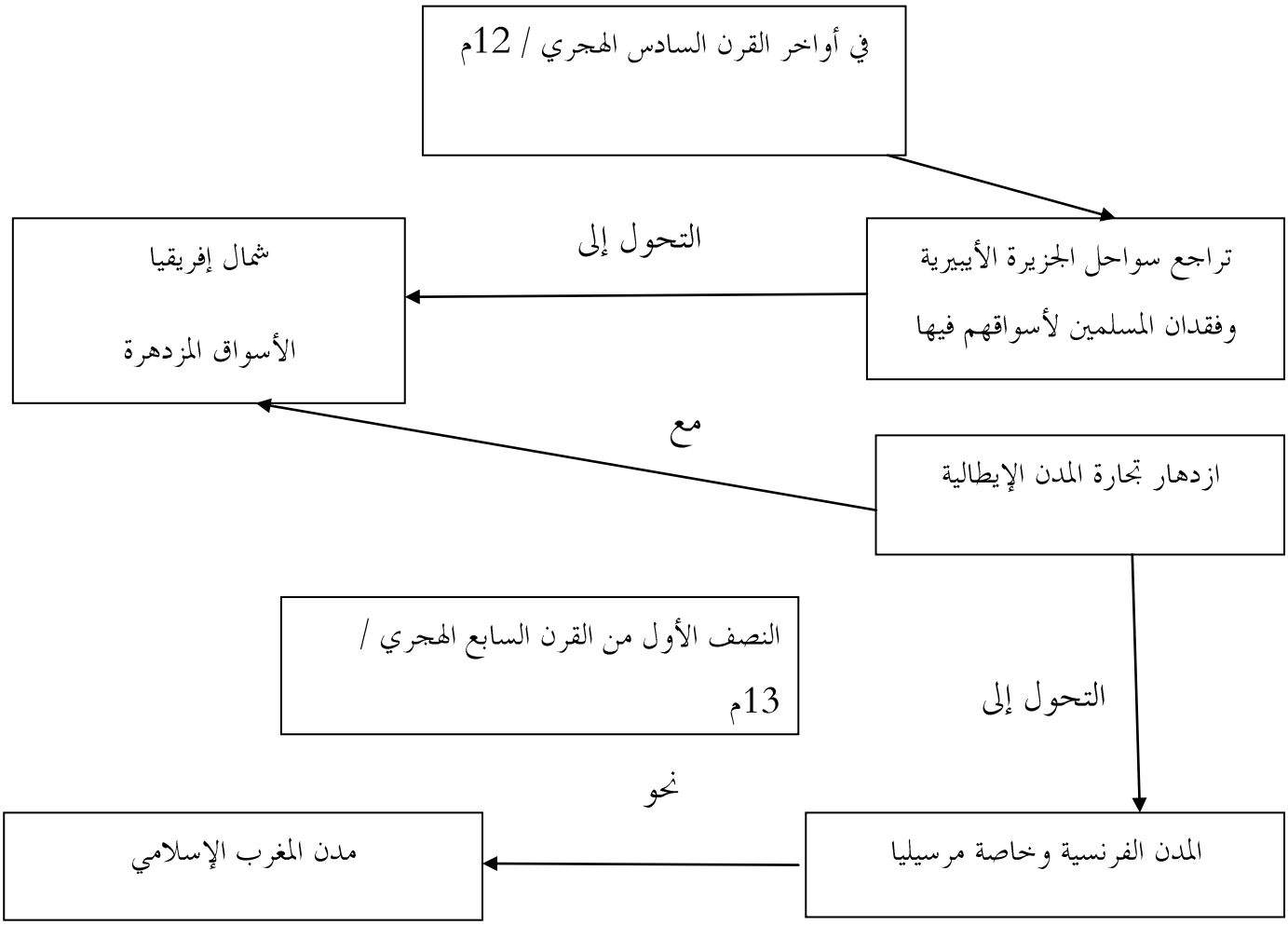

النصف الثاني من القرن السابع الهجري / 13م : فتور العلاقات التجارية وصمت المصادر الأروبية ؛ولكن عادت بالتدريج بفضل المعاهدات التجارية ، شكلت معاهدة سنة 669ه / 1270م بداية العودة لها.

النشاط التجاري خلال القرون 8ه – 14م وإلى بداية أواخر 9ه – 15م

↓

تحول الطرق التجارية عن بلاد المغرب أواخر ق 9ه / 15 م

↓

فقدان دور الوسيط التجاري والتراجع الاقتصادي

ملحق رقم (01) : تخطيط يوضح مراحل ازدهار وتراجع النشاط التجاري ببلاد المغرب من ق 6ه / 12م إلى أواخر ق 9ه / 15م ومطلق ق 10ه / 16م .

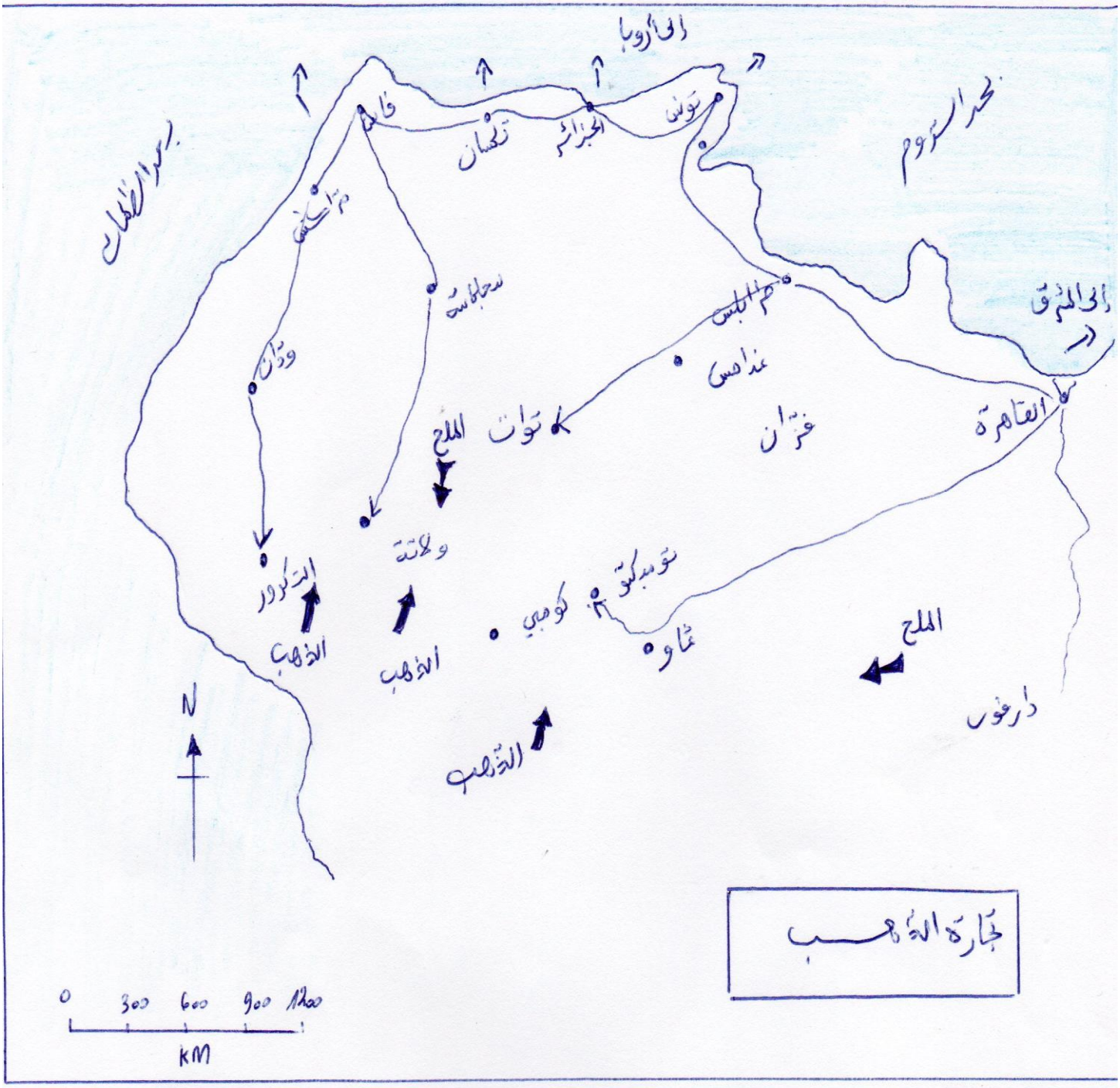

ملحق رقم (02) : خريطة توضح طرق تجارة الذهب المتوجهة لبلاد السودان؛ينظر:عز الدين عمر موسى،النشاط...،ص.310بتصرف.

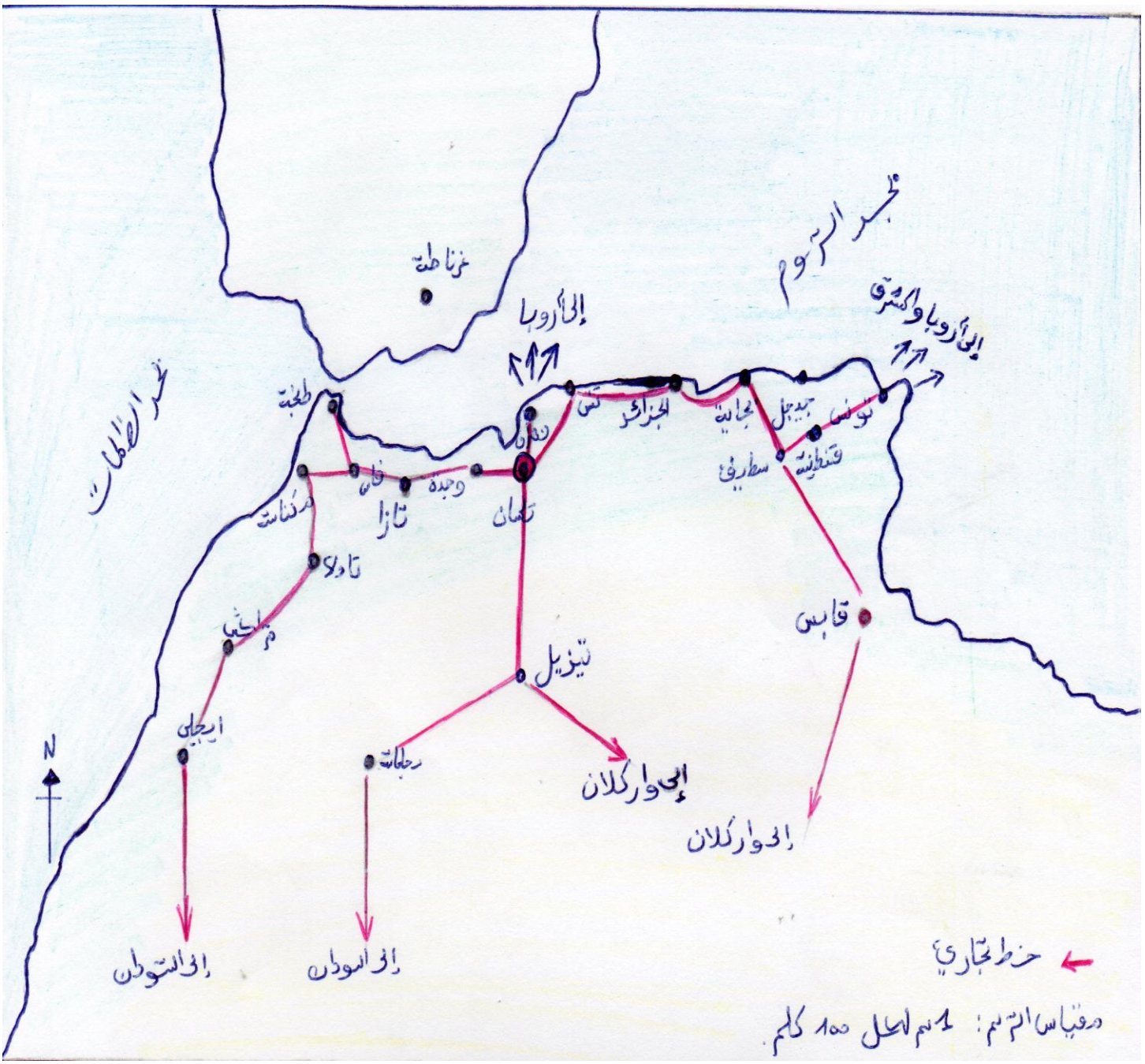

ملحق رقم (03) :

خريطة توضح مركز تلمسان كمحطة تجارية هامة على طول الخط التجاري الرابط بين الشرق والغرب وانفتاحه على أوروبا والصحراء ؛ينظر:عز الدين عمر موسى؛النشاط...،ص.310بتصرف.

نوع السلعة ومقدارها	السعر	
برشالة القمح	12.5 مثقال	برشالة = 12.5 رطل
برشالة الشعير	6 مثقال	
أوقية الزيت	12 درهم	
أوقية السمن	12 درهم	
أوقية العسل	2 دينار / الرطل	
أوقية الفول	20 درهم	
الحطب	10 درهم	
الخس / واحد	20 درهم	
الفقوس / واحد	40 درهم	
البطيخ	30 درهم	
التين / حبة	2 درهم	
ثمن الدار	60 دينار – بتلمسان وكان ذلك خلال ق 9ه / 15م	
كراء قطعة أرض	7 دنانير – بتلمسان ، وكان ذلك خلال ق 9ه / 15م	

ملحق رقم (04) : جدول يوضع بعض السلع وأسعارها أيام الغلاء وقت الحصار لمدينة تلمسان خاصة والمغرب الأوسط عامة.

المراجع المعتمدة :

بسام كامل شقدان ، المرجع السابق ، ص 178 ؛ سمية مزدور ، المرجع السابق ، ص 43 وما بعدها .

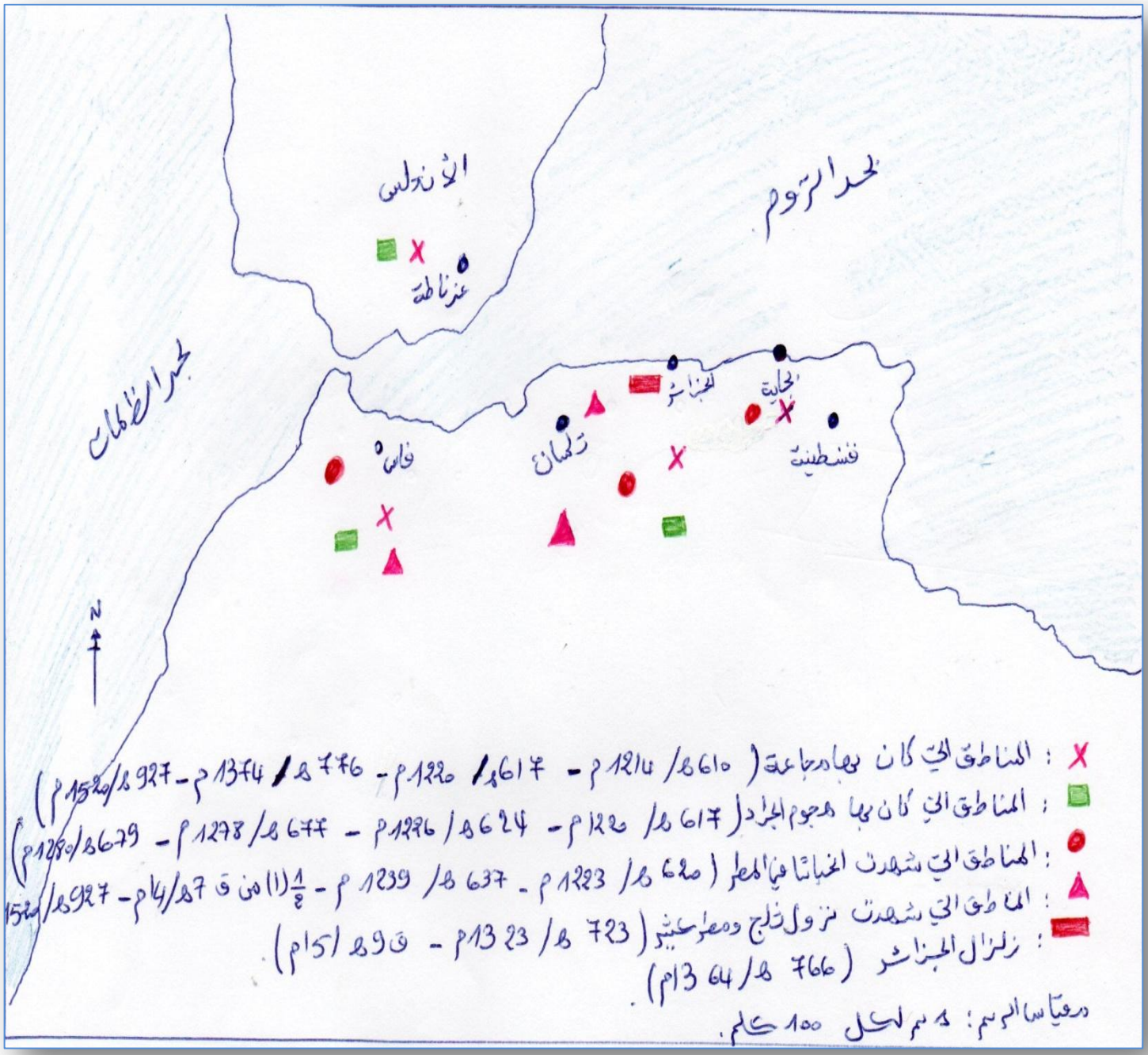
الأندلس
غرناطة
بحر الروم
بحر الظلمات
الجزائر
بجاية
قسنطينة
تلمسان
فاس
N

ملحق رقم (05) :

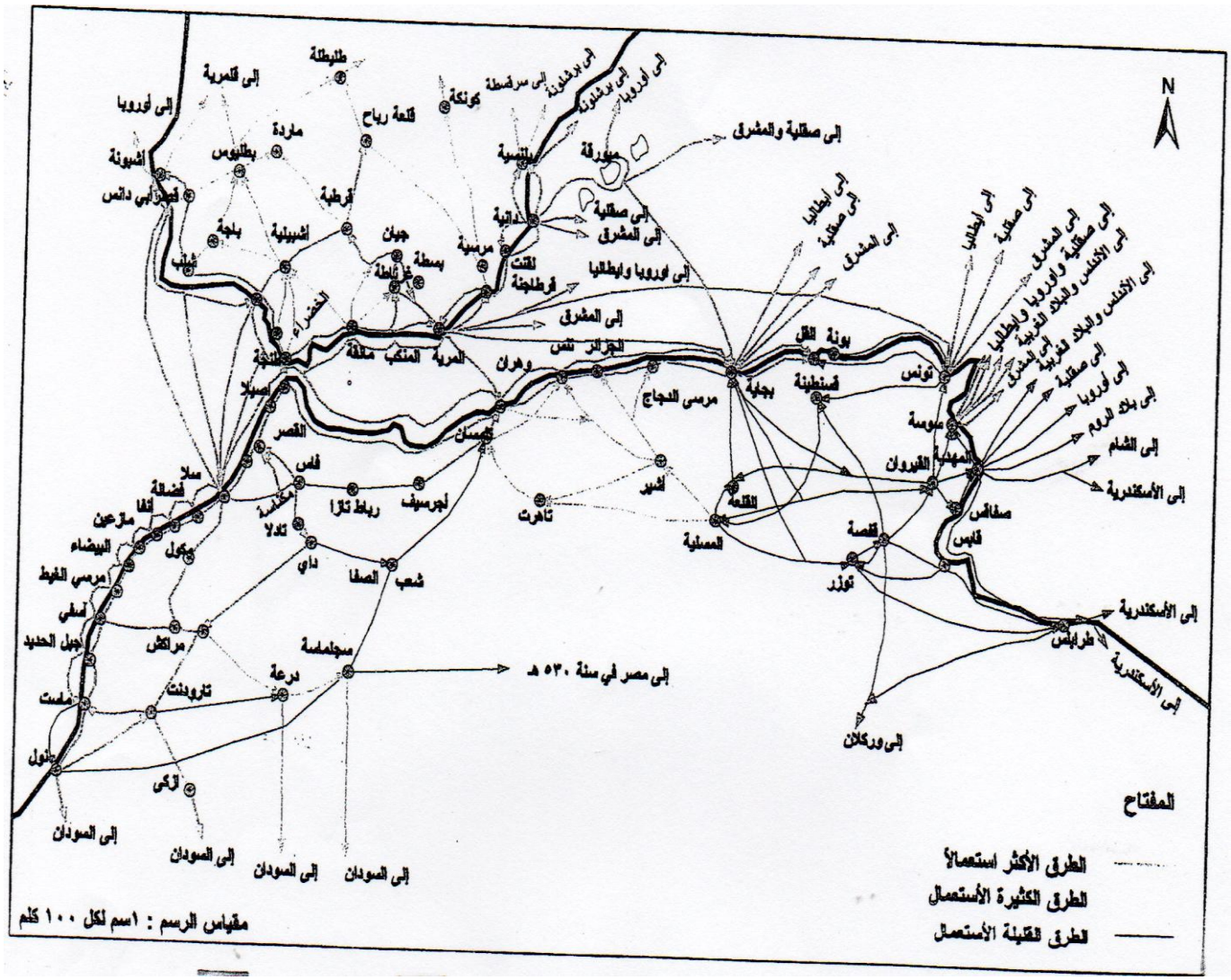

خريطة توضح أهم الجوائح بما فيها المجاعات وهجوم الجراء والجفاف والزلزال ، ونزول المطر الكثير التي خربت بعض مناطق المغرب الإسلامي ؛ينظر :سمية مزدور،المرجع السابق،ص.127.128ومابعدهابتصرف.

ملحق رقم (06): الطرق التجارية في النصف الأول من القرن السادس .

ينظر : عزالدين عمر موسى ، النشاط .... ، 309 .

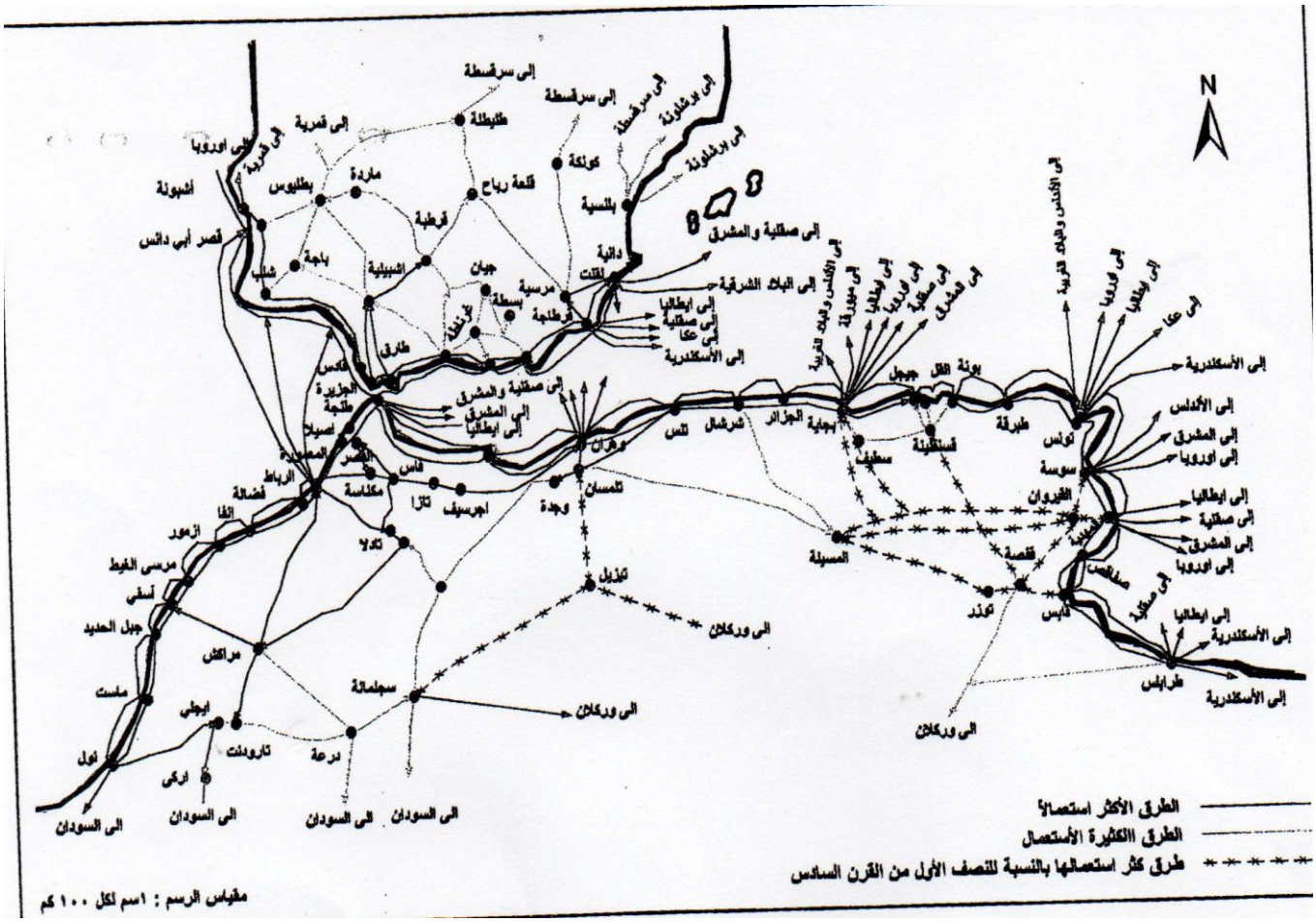

ملحق رقم(07): الطرق التجارية في العصر الموحدي .

ينظر : عز الدين عمر موسى ، النشاط ... ، ص 310 .

قائمة المصادر

والمراجع

القرآن الكريم

- **قائمة المصادر والمراجع :**

1- المصادر :

1-ابن الأحمر (أبو الوليد إسماعيل)(ت:807ه-1404م) ، روضة النسرين في دولة بني مرين ، المطبعة الملكية ، الرباط ، **2008** .

2-ابن الأثير (أبو الحسن علي بن أبي الكرم)(ت:630ه-1238م)، الكامل في التاريخ ، تح : أبو الفداء عبد الله القاضي ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، **1987** .

3-الإدريسي (أبو عبد الله الشريف)(ت:560ه-1164م) ، المغرب وأرض السودان ومصر والأندلس - مأخوذة من كتاب نزهة المشتاق في اختراق الأفاق ، مطابع بريل ، ليدن ، **1865** .

4- (_____) ، نزهة المشتاق في اختراق الأفاق ، مكتبة الثقافة الدينية ، مصر ، (ب.ت).

5-ابن بطوطة (محمد بن عبد الله اللواتي الطنجي)(ت:776ه-1373م) ، رحلة ابن بطوطة المسماة تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار ، دار الكتاب اللبناني ، بيروت (ب.ت)

6- البكري أبو عبيد الله(ت:487ه-1094م) ، المغرب في ذكر بلاد إفريقية والمغرب وهو جزء من كتاب المسالك والممالك ، المطبعة الحكومية ، الجزائر ، 1274ه / 1857م .

7- البيدق (أبو بكر بن علي الصنهاجي)(ق6ه) ، أخبار المهدي بن تومرت ، تح : عبد الحميد حاجيات ، المؤسسة الوطنية للكتاب ، الجزائر ، ط2 ، 1986

8- التنسي (محمد بن عبد الله)(ت:899ه-1493م)، تاريخ بني زيان ملوك تلمسان – مقتطف من النظم الذر والعقيان في شرف بني زيان ، تح : محمود بو عياد ، م.و.ك ، الجزائر ، **1985** .

9- الحميري (محمد بن عبد المنعم) (ت:866ه-1461م)، الروض المعطار في خبر الأقطار ، تح : إحسان عباس ، مكتبة لبنان ، بيروت، **1975** .

10- ابن الخطيب لسان الدين(ت:776ه-1374م) ، الإحاطة في أخبار غرناطة ، تح : محمد عبد الله حنان ، مكتبة الخانجي ، القاهرة، **1979** .

11- ابن خلدون عبد الرحمن(ت:808ه-1406م) ، تاريخ ابن خلدون ، دار الفكر، بيروت، **2000** .

12- (_____) ، التعريف ابن خلدون ورحلته غربا وشرقا ، تح : محمد ابن تاويت الطنجي، وزارة الثقافة ، **2007**.

13- (_____) ، المقدمة ، دار الفكر ، بيروت ، **2007** .

14- ابن خلدون يحي(ت:780ه-1378م) ، بغية الرواد في ذكرالملوك من بني عبد الواد ، تح : عبد الحميد حاجيات، الطباعة الشعبية للجيش ، الجزائر ، **2007** .

15- (_____) ، بغية الرواد في ذكر الملوك من بني عبد الواد ، مطبعة بونطانة ، الجزائر، **1910** .

16- ابن خلكان (أبو العباس شمس الدين)() ، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان ، تح : إحسان عباس دار صادر ، بيروت ، **1968**.

17- ابن خليل عبد الباسط ، رحلة عبد الباسط بن خليل إلى بلاد المغرب الأوسط وتونس ، نشرها روبرت برونشفك ، باريس ، **1936** .

18- الراشدي (أحمد محمد بن علي بن سحنون ، الثغر الجماني في ابتسام الثغر الوهراني ، تح : المهدي البوعبدلي ، مطبعة البعث ، قسنطية ، **1973**.

19- الزركشي (أبو عبد الله محمد بن إبراهيم)(كان حياسنة 894ه-1488م) ، تاريخ الدولتين الموحدية والحفصية ، تح : محمد ماضود ، المكتبة العتيقة ، تونس ، **ط2** ، **1933** .

20- ابن أبي زرع الفاسي(ت بعد:712ه-1312م) ، الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس ، دار المنصور للطباعة والوراقة ،الرباط، **1972** .

21- (ــــــــــــــ) ، الذخيرة السنية في تاريخ الدولة المرينية ، دار المنصور الرباط ، **1392ه / 1972م** .

22- ابن صاحب الصلاة عبد الملك(ت نهاية ق6ه) ، المن بالإمامة – تاريخ بلاد المغرب والأندلس في عهد الموحدين ، تح : عبد الهادي التازي ، دار الغرب الإسلامي ، **ط3 ، 1987** .

23- العبدري البلسني(ت أواخرق7ه-13م) ، الرحلة المغربية ، مؤسسة بونة للبحوث والدراسات ، الجزائر ، 2007 .

24- العقباني (عبد الله محمد أحمد بن قاسم بن سعيد)(ت:871ه-1467م) ، كتاب تحفة الناظر وغنية الذاكر في حفظ الشعائر وتغيير المناكر ، تح : علي الشنوفي ، المطبعة الكاثوليكية ، لبنان ، **1967** .

25- العمري (شهاب الدين أحمد بن فضل الله)(ت:748ه-1374م) ، مسالك الأبصار في ممالك الأمصار – ممالك اليمن والغرب الإسلامي وقبائل العرب ، تح : حمزة أحمد عباس ، دار الكتب الوطنية ، الإمارات **2003** .

26- الغبريني (أبو العباس أحمد بن أحمد)(ت:704ه-1304م) ، عنوان الدراية فيمن عرف من العلماء في المائة السابعة ببجاية ، تح : رابح بونار ، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع ، الجزائر ، **1981**

27- ابن القطان المراكشي(ت:628ه-1230م) ، نظم الجمان لترتيب ما سلف من أخبار الزمان ، تح : محمود علي مكي، دار الغرب الإسلامي ، بيروت ، **ط2 ، 1990**.

28- القلقشندي (أبو العباس أحمد بن علي) (ت:821ه-1418م)، صبح الأعشى في صناعة الإنشا ، المؤسسة المصرية العامة ، مصر، (ب.ت).

29- كربخال مارمول ، إفريقيا، تر : محمد حجي وآخرون ، مكتبة المعارف ، الرباط ، **1984**

30- الماوردي (أبو الحسن علي بن محمد بن حبيب)(ت:450ه)، الأحكام السلطانية والولايات الدينية ، تح : أحمد مبارك البغدادي ، دار ابن قتيبة ، الكويت ، **1989** .

31- المغيلي المازوني أبو زكريا (**ت. 883ه / 1478**) ،الذرر المكنونة في نوازل مازونة ، تح : حساني مختار ، الجزائر ، 2004 .

32- ابن مريم التلمساني(ت بعد1025ه-1616م) ، البستان في ذكر الأولياء والعلماء بتلمسان ، ديوان المطبوعات الجامعية ، الجزائر ، **1986** .

33- المقري أحمد بن محمد التلمساني(ت:1041ه-1632م) ، نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب ، تح : إحسان عباس ، دار صادر ، بيروت ، **1988** .

34- المراكشي ابن عذاري(ت أواخر ق7ه) ، البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب – قسم الموحدين ، تح : محمد إبراهيم الكتاني وآخرون ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت ، **1985** .

35- المراكشي عبد الواحد(ت:647ه-1249م) ، المعجب في تلخيص أخبار المغرب ، تح : محمد سعيد العريان ، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية ، القاهرة **1963** .

36- (ــــــــــــــــــ) ، وثائق المرابطين والموحدين ، تح : حسين مؤنس ، مكتبة الثقافة الدينية مصر ، (ب.ت).

37- ابن مرزوق (أبو عبد الله محمد التلمساني) (ت:781ه-1379م)، المناقب المرزوقية ، تح : سلوى الزاهري ، منشورات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية ، المطبعة المغربية ، **2008** .

38- (ــــــــــــــــــ) ، المسند الصحيح الحسن في مآثر ومحاسن مولانا أبي الحسن ، تح : ماريا خيسوس بيغيرا ، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع ، الجزائر ، **1981** .

39- مؤلف مجهول ، الحلل الموشية في ذكر الأخبار المراكشية ، تح : سهيل زكار وعبد القادر زمامة ،دار الرشاد الحديث ، الدار البيضاء ، **1979** .

40- (ــــــــــــــــ) ، كتاب الاستبصار في عجائب الأمصار ، دار النشر المغربية ، الدار البيضاء ، **1985** .

41- (ــــــــــــــــ) ، زهر البستان في دولة بني زيان ، تقديم : محمد بن أحمد باغلي ، الأصالة للنشر والتوزيع ، الجزائر ، **2011** .

42- (ــــــــــــــــ) ، مفاخر البربر ، تح : عبد القادر بوباية ، دار أبي رقراق الرباط ، **2005** .

43- (ــــــــــــــــ) ، رسائل موحدية ، مجموعة جديدة ، تح : أحمد عزاوي ، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية بالقنيطرة ، المغرب ، **2001** .

44- النويري (شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب)(ت:733-1390م) ، نهاية الأرب في فنون الأدب ، تح : عبد المجيد ترحيني ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، (ب.ت) .

45- الوزان بن محمد الحسن (المعروف بليون الإفريقي)(ت بعد957ه-1550م) ، وصف إفريقيا ، تر : محمد حجي ومحمد الأخضر ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت ، **ط2** ، **1983** .

46- الونشريسي (أبو العباس أحمد)(ت:914ه-1511م) ، المعيار المعرب والجامع المغرب عن فتاوى علماء إفريقية والأندلس والمغرب ، تح : محمد حجي، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، الرباط ، **1983** .

2- المراجع :

47- بلعربي خالد ، الدولة الزيانية في عهد يغمراسن ، دراسة تاريخية وحضارية (**633- 681ه / 1235- 1282م**) ، دار الألمعية للنشر والتوزيع ، قسنطينة ، **2011**.

48- بوداود عبيد ، ظاهرة التصوف في المغرب الأوسط ما بين القرنين السابع والتاسع الهجريين (**ق 13- 15م**) – دارسة في التاريخ السوسيو – ثقافي ، دار الغرب ، وهران ، **2003** .

49– بوتشيش إبراهيم القادري ، إضاءات حول تراث الغرب الإسلامي وتاريخيه الاقتصادي والاجتماعي ، دار الطليعة للطباعة والنشر ، بيروت ، **2002** .

50– بورويبة رشيد وآخرون ، الجزائر في التاريخ – العهد الإسلامي من الفتح إلى بداية العهد العثماني ، المؤسسة الوطنية للكتاب ، الجزائر ، **1984** .

51– بوعياد محمود ، جوانب من الحياة الاقتصادية في المغرب الأوسط في القرن التاسع الهجري (**15م**) ، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع ، الجزائر ، **1982** .

52– ابن بية محمد محمود عبد الله ، الأثر السياسي للعلماء في مصر المرابطين ، دار الأندلس الخضراء ، السعودية ، **2000** .

53– الجحمة نواف عبد العزيز ، رحالة الغرب الإسلامي وصورة المشرق العربي من القرن السادس إلى القرن الثامن الهجري ، دار السويدي ، الإمارات ، **2008** .

54– جودت يوسف عبد الكريم ، الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية في المغرب الأوسط خلال القرنين الثالث والرابع الهجريين (**9–10م**) ، ديوان المطبوعات الجامعية ، الجزائر ، **1992** .

55– الجنحاني الحبيب ، دراسات في التاريخ الاقتصادي والاجتماعي للمغرب الإسلامي ، دار الغرب الإسلامي ، لبنان، **1986** .

56– الجيلالي عبد الرحمن ، تاريخ الجزائر العام ، ديوان المطبوعات الجامعية ، الجزائر ، **1995**.

57– جوليان شارل أندري ، تاريخ إفريقيا الشمالية ، تع : محمد مزالي والبشير بن سلامة الدار التونسية للنشر ، تونس ، **1979** .

58– الجيوسي سلمى الخضراء ، الحضارة العربية الإسلامية في الأندلس ، مركز دراسات الوحدة العربية ، بيروت ، **1998** .

59– حاجيات عبد الحميد ، تاريخ ندرومة ونواحيها ، أعلام ، وشخصيات ، دار الكتاب العربي ،الجزائر ، **2005** .

60- (ــــــــــــــ) ، أبو حمو موسى الزياني – حياته وآثاره ، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع ، الجزائر ، **1974** .

61- حاجيات عبد الحميد وآخرون ، كتاب مرجعي حول تاريخ الجزائر في العصر الوسيط منشورات المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر **1954** ، الجزائر ، ط خاصة ، 2007 .

62- الحريري محمد عيسى ، تاريخ المغرب الإسلامي والأندلس في العصر المريني (**610ه / 1213م / 869ه / 1465م**) ، دار القلم ، الكويت ، **ط2** ، **1987** .

63- حسن علي حسن ، الحضارة الإسلامية في المغرب والأندلس – عصر المرابطين والموحدين - مكتبة الخانجي ، مصر ، **1980**

64- ابن خروف عمار ، العلاقات السياسية بين الجزائر والمغرب في القرن **العاشر الهجري / السادس عشر ميلادي** ، دار الأمل ، الجزائر ، **2006** .

65- خلف الله ابتسام مرعي ، العلاقات بين الخلافة الموحدية والمشرق الإسلامي (**564-936ه / 1130- 1569م**) ، دار المعارف ، مصر ، **1985** .

66- الدراجي بوزياني ، نظم الحكم في دولة بني عبد الواد الزيانية ، ديوان المطبوعات الجامعية ، الجزائر ، **1993** .

67- (ــــــــــــــ) ، القبائل الأمازيغية – أدوارها ، مواطنها ، أعيانها ، دار الكتاب العربي ، الجزائر ، **2007** .

68- أبو رميلة هشام ، علاقات الموحدين بالممالك النصرانية والدول الإسلامية في الأندلس ، دار الفرقان ، الأردن ، **1984**.

69- السائح الحسن ، الحضارة الإسلامية في المغرب ، دار الثقافة ، الدار البيضاء، **ط2** ، **1986**.

70– سعد الله فوزي ، يهود الجزائر هؤلاء المجهولون ، شركة دار الأمة ، الجزائر، **1996** .

71– سعيدان عمر ، علاقات إسبانيا القطلانية بتلمسان في الثلثين الأول والثاني من القرن **14م** ، منشورات ثالة ، الجزائر ، **2011** .

72– السلاوي ، (أبو العباس أحمد بن خالد الناصري) ، الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى ، دار الكتاب ، الدار البيضاء ، **1954** .

73– السيد أبو مصطفى كمال ، جوانب من الحياة الاجتماعية والاقتصادية والدينية والعلمية في المغرب الإسلامي من خلال نوازل وفتاوى المعيار المعرب للونشريسي ، مركز الإسكندرية ، مصر **1997** .

74– السيد عبد العزيز سالم ، المغرب الكبير – العصر الإسلامي ، دار النهضة العربية ، بيروت **1981** .

75– (ــــــــــــ) ، في تاريخ وحضارة الإسلام في الأندلس ، مؤسسة شباب الجامعة ، الإسكندرية ، **1975** .

76– السيد محمود ، تاريخ دولتي المرابطين والموحدين ، مؤسسة شباب الجامعة ، الإسكندرية ، **2004** .

77– سيسالم عصام سالم ، جزر الأندلس المنسية – التاريخ الإسلامي لجزر البليار (**89– 685ه / 708– 1287م**) ، دار العلم للملايين ، بيروت ، **1984** .

78– شحاتة عطا علي محمد رية ، اليهود في بلاد المغرب الأقصى في عهد المرينيين و الوطاسيين، دار الكلمة ، دمشق ، **1999** .

79– شاوش محمد بن رمضان ، باقة السوسان في التعريف بحاضرة تلمسان عاصمة دولة بني زيان ديوان المطبوعات الجامعية ، الجزائر ، **1995** .

80- الصلابي محمد علي ، صفحات من التاريخ الإسلامي – دولة الموحدين ، دار البيارق للنشر، عمان ، **1994** .

81- أبو ضيف مصطفى أحمد عمر ، القبائل العربية في المغرب في عصري الموحدين وبني مرين ، ديوان المطبوعات الجامعية ، الجزائر ، **1982** .

82- الطمار محمد بن عمرو ، تلمسان عبر العصور ، دورها في سياسة وحضارة الجزائر ، المؤسسة الوطنية للكتاب ، الجزائر ، **1984** .

83- طه جمال أحمد ، دراسات في التاريخ الاقتصادي والاجتماعي للغرب الإسلامي ، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر ، الإسكندرية ، **2008** .

84- عبدلي لخضر ، التاريخ السياسي لمملكة تلمسان في عهد بني زيان ، الديوان الجهوي للمطبوعات الجامعية ، وهران ، **2007** .

85- علام علي عبد الله ، الدولة الموحدية بالمغرب في عهد عبد المؤمن بن علي ، الطباعة الشعبية للجيش ، الجزائر ، **2007** .

86- علال خالد كبير ، أخطاء المؤرخ ابن خلدون في كتابه المقدمة ، دار الإمام مالك للكتاب ، الجزائر ، **2005** .

87- الغناي مراجع عقيلة ، قيام دولة الموحدين، دار الكتب الوطنية ، ليبيا ، **ط2** ، **2008** .

88- (_____) ، سقوط دولة الموحدين ، دار الكتب الوطنية ، ليبيا ، **2008** .

89- فيلالي عبد العزيز ، تلمسان في العهد الزياني ، موقم للنشر ، الجزائر ، **2002** .

90- أبو الفضل محمد أحمد ، تاريخ مدينة ألمرية الأندلسية في العصر الإسلامي ، دراسة في التاريخ السياسي والحضاري ، دار المعرفة الجامعية ، مصر ، **1996** .

91– ابن قربة صالح ، عبد المؤمن بن علي موحد بلاد المغرب ، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية ،الجزائر ، **1985** .

92– ابن قربة صالح وآخرون ، تاريخ الجزائر في العصر الوسيط من خلال المصادر ، منشورات المركز الوطني للدراسات والبحوث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر **1954** ، الجزائر ، **2007** .

93– قيقائو أنطون بشارة ، جدول السنين الهجرية وما يرافقها من السنين الميلادية، دار المشرق بيروت ، **1997** .

94– كنون عبد الله ، النبوغ المغربي في الأدب العربي ، المغرب ، ط**2** ، **1960** .

95– لقبال موسى ، الحسبة المذهبية في بلاد المغرب العربي – نشأتها وتطورها ، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع ، الجزائر ، **1971** .

96– لومبارد موريس ، الجغرافيا التاريخية للعالم الإسلامي خلال القرون الأربعة الأولى ، تر : عبد الرحمن حميدة ، دار الفكر ، دمشق ، **1979** .

97– مارسي جورج ، تلمسان – مدن الفن الشهيرة ، تر : سعيد عثماني ، دار النشر التل ، البليدة ، **2004** .

98– مزيان عبد الحميد ، النظريات الاقتصادية عند ابن خلدون وأسسها من الفكر الإسلامي والواقع المجتمعي ، وزارة الثقافة ، الجزائر ، **2007** .

99– مسعد سامية مصطفى ، الحياة الاقتصادية والاجتماعية في إقليم غرناطة في عصري المرابطين والموحدين من **484** إلى **620**ه / **1092** إلى **1223**م ، مكتبة الثقافة الدينية ، القاهرة ، **2003** .

100– مصطفى أحمد فريد وسهير محمد السيد حسن ، تطور الفكر والوقائع الإقتصادية ، مؤسسة شباب الجامعية ، الإسكندرية ، **2000** .

101 – موسى عز الدين عمر ، دراسات في تاريخ المغرب الإسلامي ، دار الشروق ، بيروت ، **1983** .

102– (ــــــــــــ) ، الموحدون في الغرب الإسلامي – تنظيمهم ونظمهم ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت ، **1991** .

103– (ــــــــــــ) ، النشاط الاقتصادي في المغرب الإسلامي خلال القرن السادس الهجري ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت ، **2003** .

104– المنوني ، ورقات عن حضارة المرينيين ، مطبعة النجاح الجديدة ، الدار البيضاء ، ط3 **2000** .

105– (ــــــــــــ) ، حضارة الموحدين ، دار توبقال للنشر ، المغرب ، **1989** .

106– ميراندا أمبرو سيوهويثي ، التاريخ السياسي للإمبراطورية الموحدية ، تر : عبد الواحد أكمير منشورات الزمن ، المغرب ، **2004** .

107– هيك جين ، الجذور العربية للرأسمالية الأوروبية ، الدار العربية للعلوم ، بيروت ، ط**6** ، **2007** .

3– الرسائل والأطروحات الجامعية :

108– بوتشيش أمينة ، بجاية دراسة تاريخية وحضارية بين القرنين السادس والسابع هجريين ، (مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في تاريخ المغرب الإسلامي في العصر الوسيط) ، تلمسان ، **2007/ 2008** .

109– بوحسون عبد القادر ، العلاقات الثقافية بين المغرب الأوسط والأندلس خلال العهد الزياني (**633– 962**ه / **1235– 1554**م) ، (مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في تاريخ الغرب الإسلامي) ، تلمسان ، **2007 / 2008** .

110- مبخوت بودواية، العلاقات الثقافية والتجارية بين المغرب الأوسط والسودان الغربي في عهد دولة بني زيان ، (رسالة مقدمة لنيل درجة دكتوراه دولة في التاريخ) ، تلمسان ، **2005 – 2006 / 1426- 1427ه** .

111- بوزياني الدراجي ، العصبية القبلية وأثرها على النظم والعلاقات في المغرب الإسلامي (من القرن السادس إلى القرن التاسع الهجري) ، رسالة ماجستير ، الجزائر ، **1987** .

112- بوشامة عاشور ، علاقات الدولة الحفصية مع دول المغرب والأندلس (**626- 981ه / 1228- 1573م**) ، (رسالة مقدمة للحصول على درجة الماجستير في التاريخ الإسلامي) ، القاهرة ، **1411ه / 1991م** .

113- بوشقيف محمد ، تطور العلوم ببلاد المغرب الأوسط خلال القرنيين الثامن والتاسع الهجريين (**14 و 15م**) ،(أطروحة دكتوراه في التاريخ الوسيط)، جامعة تلمسان ، **1432ه / 2011م** .

114- بلعربي خيرة ، المسالك والدروب وأثرها في تفعيل الحركة التجارية والثقافية في المغرب الإسلامي (**5- 10ه / 11- 16م**) ، (مذكرة تخرج لنيل شهادة الماجستير في التاريخ) ، تلمسان **1430ه – 1431ه / 2009- 2010م** .

115- راكة عمر ، علاقات الدولة الموحدية بالإمارات الإسلامية والممالك المسيحية في الأندلس ، (مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الإسلامي)، ، جامعة تلمسان ، **2010/ 2011** .

116- سكاكو مريم ، مكانة علماء تلمسان في المجالس العلمية السلطانية المرينية بفاس ما بين القرنيين الثامن والتاسع الهجريين (**14- 15م**) ، (مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الإسلامي) ، تلمسان ، **2011 / 2012م** .

117- شقدان بسام كامل، تلمسان في العهد الزياني (**633- 962ه / 1235- 1555م**) ، (رسالة مقدمة لنيل درجة الماجستير في التاريخ) ، فلسطين ، **1422ه / 2002م** .

118- عباسي أبو المعاطي محمد ، الملكيات الزراعية و آثارها في المغرب والأندلس (**238- 488**ه) (**852- 1095**م) - دراسة مقارنة ، (رسالة مقدمة لنيل درجة الدكتوراه)،**1421**ه / **2000**م .

119- لعرج عبد العزيز ، المباني المرينية في إمارة تلمسان الزيانية – دراسة أثرية ومعمارية وفنية ، (أطروحة دكتوراه دولة في الآثار الإسلامية) ، جامعة الجزائر ، **1420**ه / **1999**م .

120- مزدور سمية ، المجاعات والأوبئة في المغرب الأوسط (**588- 927**ه / **1192- 152**م) ، (مذكرة مقدمة لنيل الماجستير في التاريخ الوسيط) ، جامعة قسنطينة ، **1429- 1430**ه / **2008- 2009**م .

121- ابن مصطفى إدريس ، العلاقات السياسية والاقتصادية للمغرب الأوسط مع إيطاليا وشبه الجزيرة الأيبيرية في عهد الدولة الزيانية ، (مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ) ، تلمسان ، **2006 / 2007** .

122- مكيوي محمد ، العلاقات السياسية والفكرية المغاربية للدولة الزيانية منذ قيامها حتى نهاية عهد أبي تاشفين الأول (**633**ه – **1236**م / **737**ه – **1337**م) ، (أطروحة مقدمة لنيل درجة الدكتوراه في الفنون) ، تلمسان ، **1427- 1428**ه / **2008- 2009**م .

123- ابن محمدعبد النبي ، مسكوكات المرابطين والموحدين في شمال إفريقية والأندلس ، (رسالة مقدمة لنيل درجة الماجستير في الحضارة الإسلامية) ، مكة ، **1398- 1399**ه / **1978- 1979** م .

124- النجار ليلى ، المغرب والأندلس في عهد المنصور الموحدي ، دراسة تاريخية وحضارية (**580- 595**ه / **1184- 1198**م) ، (بحث مقدم لنيل درجة الدكتوراه في التاريخ الإسلامي)، مكة المكرمة ، **1409**ه / **1989**م .

4- المجلات والدوريات والملتقيات :

125- مبخوت بودواية : "الحياة الاقتصادية بالمغرب الأوسط في العهد الزياني "، في مجلة : قرطاس الدراسات الحضارية والفكرية ، ع تجريبي ، تلمسان ، ديسمبر - **2008** .

126- حاجيات عبد الحميد : " الحياة الفكرية بتلمسان في عهد بني زيان " ، في مجلة : الأَصالة ع**26** ، مطبعة البعث ، قسنطينة ، **1975** .

127- (ــــــــــــــــ) :" تطور العلاقات بين تلمسان وغرناطة في العصر الوسيط "، في مجلة : عصور الجديدة ، ع**2** ، جامعة وهران ، **2011** .

128- درقاش الهادي : "نظام الخراج من خلال كتاب الخارج لأبي يوسف لقاضي" ، في مجلة : المورد ، م**10** ، ع**3-4** ، دار الجاحظ ، العراق ، **1402**ه / **1981**م .

129- سعيدي العربي : " تنظيم الأسواق والحرف في بلاد المغرب الأوسط خلال العهد الزياني من القرن (**13 إلى القرن 16م**) "، في : المجلة المغاربية للدراسات التاريخية والاجتماعية ، ع**3** ، مكتبة الرشاد ، سيدي بلعباس ، **2011** .

130- ابن عميرة لطيفة : " تلمسان من نشأتها إلى قيام دولة بني عبد الواد " ، في مجلة : الدراسات التاريخية ، ع6 ، الملكية للطباعة والنشر والتوزيع ، الجزائر ، **1413**ه / **1992** .

131- (ــــــــــــــــ) :" الأوضاع الاقتصادية في الإمارة الزيانية" ، في مجلة : الدراسات التاريخية ، ع**8** ، معهد التاريخ ، الجزائر ، **1993**م / **1994**م .

132- مباركي عبد المجيد : "جورج مارسي – المدينة التجارية والحرفية "، في مجلة : قرطاس الدراسات الحضارية والفكرية ، ع تجريبي ، تلمسان ، ديسمبر ، **2008** .

133- يحياوي جمال : "آثار الهجرة الأندلسية على تلمسان "، في مجلة : الوعي ، العدد المزدوج (**3-4**) ، الجزائر ، **1432**ه / **2011**م .

134– رزقي شرقي :"المتحف الأثري بمدينة تلمسان .... مسيرة حافلة وآفاق واعدة "، محاضرة ألقيت خلال يوم دراسي حول اليوم العالمي للمتاحف تحت شعار : "المؤسسة المتحفية بالجزائر "، تلمسان ، يوم السبت **18 ماي 2013** .

5- الموسوعات :

135– الجمال محمد عبد المنعم ، موسوعة الاقتصاد الإسلامي ، دار الكتاب المصري – دار الكتاب اللبناني ، القاهرة ، بيروت ، **1986** .

136– الغنيمي عبد الفتاح مقلد ، موسوعة تاريخ المغرب العربي – المغرب العربي بين بني حفص وبني زيان وبني مرين – دراسة في التاريخ الإسلامي ، مكتبة مدبولي ، القاهرة ، **1994** .

6- المراجع باللغة الأجنبية :

137 – Dhina (A) , Les états De L'occident musulman au **13** , **14** , **15** , siècles , o . p . u , alger , **1984**

138_ Faure biguet , Histoire De L'afrique septentrionale sous la domination musulmane , paris (S. D)

139 – Hajiàt Abd elhamid , Le Maghreb central sous le règne du sultan zianide abou H'ammou Mousa I (**760 – 91** / **13 59 – 89**) Édition erached , Alger , **2009**

140 – Lachachi Omar , Le passe prestigieuse de Tlemcen – Ancienne capitale du célèbre berbère ya Ghomrac'en , Editions Ibn – khaldoun , tlemcen , **2002**.

141 – Le on geley , L'espagne Des Goths et des arabes , Librairie L'eopold , Paris , (S.D)

142 – Mas Latrie , relations et commerce de L'afrique septentrionale au Maghreb avec les nations chrétiennes , paris **1886**

فهرس الموضوعات

فهرس الموضوعات

المقدمة ..... أ

المدخل.....12

الفصل الأول: الحياة الاقتصادية بالمغرب الأوسط خلال العهدين الموحدي والزياني (بين المؤثرات الداخلية والخارجية).....23

المبحث الأول : مكونات الاقتصاد الموحدي والزياني 23

1-الفلاحة.....24

2-الصنائع.....29

3-النشاط التجاري.....30

المبحث الثاني : المؤثرات الداخلية في اقتصاد المغرب الأوسط 34

1-الخصائص الطبيعية.....34

2-الأوضاع الأمنية والسياسية: 35

2-1الصراعات الداخلية.....36

2-2ضغط القبائل البربرية والعربية.....38

3-التحول العمراني.....45

المبحث الثالث : المؤثرات الخارجية في اقتصاد المغرب الأوسط 47

1-الضغط الخارجي (المنافسة على المجالات الاقتصادية).....47

2-الهجرةالأندلسية ودروها في التطوير الاقتصادي.....51

المبحث الرابع : دور المؤثرات الداخلية والخارجية في اقتصاد المغرب الأوسط : (مقارنة في درجة التأثير ما بين العهدين الموحدي والزياني).....52

الفصل الثاني : مظاهر التحولات الاقتصادية (مراحل الازدهار ومظاهر تراجع الدور الاقتصادي).....57

المبحث الأول : مراحل الازدهار الاقتصادي 57

1-العوامل والمقومات 57

2-مظاهرالازدهارالزراعي والصناعي : التحول إلى الاقتصاد المتعدد.....64

2-1الانفتاح التجاري 70

2-2السيطرةعلى المنافذ الساحلية والطرق البرية.....70

3-2تحول الطرق التجارية : الدور في الانفتاح الاقتصادي.....74

المبحث الثاني : مظاهر تراجع الدور الاقتصادي.....77

1-الأزمات الاقتصادية.....77

2-أزمةالتجارة الصحراوية: إنحراف طرق تجارة الذهب.....85

المبحث الثالث : التكامل الاقتصادي والأساس التجاري في اقتصاد المغرب الأوسط : الدور في التراجع الاقتصادي.....87

المبحث الرابع : مقارنة مظاهر التحولات الاقتصادية خلال العهدين الموحدي والزياني.....89

الفصل الثالث: آثار التحولات الاقتصادية على الحياة العامة اجتماعيا وحضاريا.....100
المبحث الأول : التأثير في المجتمع في حالة الرخاء الاقتصادي 100
1-تحسن المستوى المعيشي.....100
2-التحول الاجتماعي للحياة المدنية.....108
المبحث الثاني : الـــتأثير في المجتمع أثناء الأزمات الاقتصادية.....110
1-مظاهر تراجع المستوى المعيشي.....110
1-1ارتفاع الأسعار.....110
1-2التدهور الديمغرافي و العمراني.....113
2-دور السلطة في مواجهة الأزمات.....117
3-دور فئات مختلفة من المجتمع.....120
المبحث الثالث : دور الازدهار الاقتصادي في التطور الحضاري.....123
1-نشاط الحركة العلمية.....123
2-تطور حركة البناء و التعمير.....125
المبحث الرابع : ملامح التباين في درجة التأثر بالتحولات الاقتصادية اجتماعيا وحضاريا بالمغرب الأوسط الموحدي والزياني.....127

الخاتمة.....**130**
الملاحق.....134

قائمة المصادر والمراجع.....142

فهرس الموضوعات.....159

الملخص:

تبحث هذه الدراسة في التحولات الإقتصادية بالمغرب الأوسط خلال مرحلة الحكم الموحدي، ثم مرحلة الحكم الزياني من (ق6 هـ-10هـ/12م-16م)-دراسة مقارنة، حيث تطرقنا فيها لأسباب تلك التحولات، ثم مظاهرها، وآثارها الحضارية والإجتماعية، مع المقارنة بينها، لتقريب صورة الحياة الإقتصادية بجميع تطوراتها، بالإنتقال من مراحل الإزدهاروالتطور إلى التراجع، والتقهقر، والعكس، مع إبراز دور الجانب الإقتصادي في تفعيل، وتنشيط بقية المجالات الحياتية الأخرى .

الكلمات المفتاحية :

الدولة الموحدية ، الدولة الزيانية ، الصنائع، الفلاحة، الأسواق، التجارة الداخلية ، التجارة الخارجية، التحولات ، الإزدهار ، التراجع.

Résumé:

Les recherches qui ont étés réalisées dans cette étude concerne essentiellement les changements économiques du Maghreb Central durant la période du pouvoir Almohades et du pouvoir Zianides et ce du 6ème au 10ème siècle de l'hégire, et du 12ème au 16ème siècle après (J-C).

Dans cette thèse nous avons parlé des causes de ce changement et de ses impacts civilisationnels et sociaux pour arriver à connaître l'image de la vie économique avec toutes ses phases d'évolution ; du développement au dégradation et vice-versa, tout en montrant que le domaine économique joue un rôle dans l'évolution et l'animation du reste des domaines de la vie.

Les mots clés:

L'état des almohades, l'état des Zianides , sanaia (الصنائع) ,l'agriculture , souks , commerce intérieure ,extérieure ,changements , floraison, régression .

Summary:

The searchs which were realised in this study concern the economics changements of the Central Maghreb during a period of Almoravid power and Zianid power, from 6th to 10 century of hegira, and from 12 to 16th century before (J-C).

In this memory we talked about causes of this changement, and their civilisationels and socials impacts in order to know the real picture of the economic life with all their development or developing steps, showing that the economic field play a role in the evolution and animation of all the rest of fields.

Key words:

Almohad state , zianid state , sanaia(صنائع), agriculture, foreign mercantile affair, enter mecantile affairs , souks, transformations, prosperity , regression.